العلامة سيد سليمان أشرف وكتابه "المبين فى فقه اللغة العربية"

دراسة تحليلية

أطروحة قدّمت إلى جامعة جواهرلال نهرو، نيودلهي،

تكميلا لمتطلباتها لمنح شهادة:

الماجستيرماقبل الدكتوراة

الإعداد

محمد معراج الحق

الإشراف

البروفيسور/سيد إحسان الرحمن

مركزالدراسات العربية والإفريقية

مدرسة دراسات اللغة، والأدب، والثقافة

جامعة جواهرلال نهرو، نيودلهي

الهند ١١٠٠٦٧

٢٠٠٨م

مركز الدراسات العربية و الإفريقية
Centre of Arabic and African Studies
School of Language, Literature and Culture Studies
Jawaharlal Nehru University, New Delhi - 110067
जवाहरलाल नेहरू विश्वविद्यालय, नई दिल्ली–110067

July 21, 2008

DECLARATION

I declare that the material in this thesis entitled "***Syed Sulaiman Ashraf in the light of his works with special reference to Almubeen fi fiqh al-lugha al-arabiah: An Analytical Study***" submitted by me is in the partial fulfillment of the requirements of the award of the degree of **Master of Philosophy** of this University. This is my original research work and it has not ever been previously submitted for any other degree of this or of any other University/Institution.

Mohd Merajul Haque

(Mohammad Merajul Haque)
RESEARCH SCHOLAR

(Prof. S.A. RAHMAN)
SUPERVISOR
CAAS/SLL&CS/JNU

(Prof. S.A. RAHMAN)
CHAIRPERSON
CAAS/SLL&CS/JNU

Chairperson
Centre of Arabic & African Studies
School of Languages
Jawaharlal Nehru University
New Delhi--110067.

Gram : JAYENU Tel. : 2670 4253 Telex : 031-73167 JNU IN Fax : 91-11-26742525

المقدمة

الحمد لله خالق الألسن واللغات، واضح الألفاظ للمعانى بحسب ما اقتضته حِكمه البالغات، الذى علم آدم الأسماء كلها، وأظهر بذلك شرف اللغة وفضلها، والصلوٰة والسلام على سيدنا محمد أفصح الخلق لسانا، وأعربهم بيانا، وعلى آله وصحبه، أكرم بهم أنصارا وأعوانا.

أما بعد

فقد جعل الله اللغة العربية لغة خير أمة فى العالم، "كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر" (آل عمران) ولكونها تحمل فى ذاتها من محامد وخصائص ودلائل اعجاز قد انتقاها جل وعلا لتتربع على قمة رفيعة من حيث البلاغة والفصاحة والدلالة والأسلوب والصياغة والصناعة.

فالقرآن الكريم يعد دليلا قاهرا على تخليد هذه اللغة إلى أبد الدهور، إذ قال تعالى: "إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون" (الحجر، ٩) فاللغة العربية ستبقى رأيتها مرفرفة عالية خفاقة فى سماء المجد مادامت تستمد روحها وغذاءها من منبع القرآن الأصيل، وتشفى غليلها من معينه العذب.

هذا، وقد جرت العادة الإلهية أنها نظمت أفواجا من علماء العربية وفطاحلتها عاشوا فى جنى ثمرات هذه اللغة الحية، وقطف خيراتها وثرواتها التى لا تنفد عجائبها، فلم يدخروا وسعا فى كشف القناع عن وجه هذه اللغة الوضاءة، وإزاحة اللثام عن حقائقها بإبداعاتهم واكتشافاتهم وخبراتهم، رغم اختلاف عصورهم وجنسياتهم. وأن

فهرست هؤلاء لطويلة، فهم قاموا بخدمات جبارة ومساعى مشكورة كتبت بأحرف من الذهب فى صفحات التاريخ، وإننى – هنا – لست فى سرد أسماءهم.

ظهرت فى الهند أمثال هؤلاء العباقرة شخصية العلامة سيد سليمان أشرف البهارى رحمه الله (١٩٣٩- ١٨٢٨م) رئيس كلية الشريعة بجامعة عليجره الاسلامية الأسبق، فقد سطعت أنوار معارفه الخلابة فى كل ربوع الهند، فعمت وطغت، وبهرت عيون الفضلاء والمثقفين وأصحاب العلم والمعرفة على السواء.

وانطلاقا من إعجابى بهذه الشخصية العبقرية الفذة، وماثرها العلمية الحافلة وددت أن أجعل حياته وبالأخص كتابه "المبين" فى فقه اللغة العربية موضوع بحثى ودراستى لنيل شهادة ما قبل الدكتوراة من مركز الدراسات العربية والإفريقية (كلية الدراسات فى اللغة والأدب والثقافة) جامعة جواهر لال نهرو، نيو دلهى، لعلى أستخرج بعض الكنوز والدرر الغالية من بحار معارفه عن طريق دراسة تحليلية، بالتركيز على كتابه المعنون ترجمة وتعليقا.

لماذا اخترت هذا الموضوع؟

إن موضوعى فقه اللغة وعلم اللغة العربية من الموضوعات العلمية والفنية والتاريخية، المترامية الأنحاء ومتشعبة الأطراف، وخاض فى بحارها أعلام من المسلمين والعرب قديما وحديثا أمثال الخليل بن أحمد الفراهيدى (٧٨٦م) وابن دريد (٩٣٣م) وابن جنى (١٠٠٢) وفخر الدين الرازى (١٢١٠) والسيوطى (١٥٥٠م) وأحمد فارس الشدياق (١٨٠٤) والدكتور على عبد الواحد وافى وحاتم صالح الضامن وغيرهم.

كما نجد بعض اللغويين الغرب بعد عصر النهضة الحديث ألفوا فى هذا الباب، فلهم فضل لا ينسى أمثال وتنى (Withney) ودارمستيتر (Darmestete) وبريال (Michel Breal)، والبرت دوز، (Albert Dauzat) الألمانى، وكروس (Crose) الإيطالى، وفندريس وفونديک وميكس مولر ودوسور وغيرهم.

أما العلامية سيد سليمان أشرف فهو أول عالم هندى – فى ضوء دراستى – امتطى صهوة هذا الموضوع، فأحرز قصب السباق، وخرج من غماره متكلا بالنجاح، ومتوجا بالفخر والانتصار، فله الأسبقية فى تفنيد الشبهات والآراء التى افتعلها جرجى زيدان (١٩١٤- ١٨٦١م) فى كتابه "الفسفة اللغوية والألفاظ العربية" راميا إلى تطبيق النظرة الداروينية على اللغة العربية، ليتمكن من المساس بلغة القرآن الكريم، فتصدى العلامة سيد سليمان أشرف لهذا المؤلف المسيحى بما جادته أقلامه، مستمدا بآراء وأقوال العلماء والفضلاء من اللغويين البارزين خير التصدى.

ومما لا يختلف فيه اثنان أن الأساليب البيانية الهادئة المطمئنة لجرجى زيدان قد توحى للقراء بأن اللغة العربية هى أقل منزلة وأحط مكانة من العبرانية والسريانية وحتى السنسكريتية دلالة وأسلوبا، كما لا يرتاب أحد فى أن المؤلف هذا لم يقم بطرح آرائه ونزعاته فى الكتاب المذكور إلا مدفوعا بميوله الدينية المسيحية الخاصة، فكأنه قام بوضع السم المذاب فى كأس شراب لذيذ وقدمه للقراء، وهذا ما أهاج سيد سليمان أشرف فاسشاط عليه زعلا، وبالتالى شمر عن ساق الجد للذب عن حياض العربية، وهو شئ نتلمسه من خلال عملية التصفح للكتاب بين حين وآخر.

ومتأثرا بدافع المصنف الإيمانى والروح الاسلامية الجياشة فى نفسه، قد وجدت فى نفسى جراءة أن أقوم بنقل هذا التراث العلمى الذاخر الأصيل إلى الأوساط العلمية بعد تنقيحه وتهذيبه والتعليق عليه، وبهذا أتمكن من تأدية بعض واجباتى ماينوء بها كاهلى، ولعلى أكون من الذين دافعوا عن العربية والعقيدة جل طاقاتهم، والله من وراء القصد.

تبويب الرسالة:

إن منهجى فى تبويب الرسالة فهو عبارة عن مقدمة وثلثة أبواب وخاتمة.

الباب الأول ينقسم إلى فصلين:

الفصل الأول: التعريف بأحوال العلامة سيد سليمان أشرف ونشاطاته الدينية والسياسية، ومن أهم مؤلفاته وماثره العلمية الأخرى.

الفصل الثانى: عبارة عن دراسة تحليلية لكتاب المبين، فذكرت فيه خلاصة المباحث الواردة موجزا، وما يحتوى عليها من قضايا ومسائل لغوية.

الباب الثانى، ينقسم إلى الفصلين أيضا:

الفصل الأول: نبذة عن حياة جرجى زيدان الإبداعية، ذكرت فيه حياته واثاره العلمية، وآراءه ومواقفه، كما تتطرقت إلى الانتقادات التى واجهها من قبل معاصريه، لقاء مواقفه ونظرياته العلمية واللغوية المنحازة.

الفصل الثانى: دراسة تحليلية عن كتابه "الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية" فذكرت فيه خلاصة المباحث الواردة فى الكتاب، وأوردت آراءه الموجودة بنوع من التفصيل.

الباب الثالث: أفردت فيه "المبين" بعد نقله من الأردية إلى العربية، حسب المباحث والأبواب التي أوردها العلامة سيد سليمان أشرف، وهو ينقسم إلى سبعة مباحث.

أما الخاتمة، فتحتوى على أهم النتائج التي وصلت إليها خلال عملية البحث والترجمة.

أسلوبى فى الترجمة والتعليق على الكتاب:

مما لا ريب فيه أن الترجمة أصعب من التأليف، نظرا إلى ما تقتضيه من دقة وأمانة فى تأدية المعنى المقصود الذى يريده المصنف أو القائل، وبناء على ذلک عانيت بعض المعاناة فى نقل عبارات من الأردية وما تلائمها فى العربية من كلمات، لكن التحفيزات والتشجيعات الغالية من قبل أستاذى المشرف الكريم كانت تنفخ روح الحماسة والمثابرة فى كياني، فتعبت وسهرت وراء نقل هذا الكتاب.

قد انتهج المصنف رحمه الله تعالى عليه فى كتابه منهج الكتاب المؤلفين الذين سبقوه، وهو يلخص بما يلى:

١. ذكر المؤلف كثيرا، اسم الكتاب الذى يستدل به دون الإشارة إلى الصفحة والمطبعة وغيرها.

٢. ذكر قولا ونصا دون أن يسنده إلى قائله، وهذا ما يؤدى إلى إحراج كبير.

٣. أسس البحث العلمى المتبعة فى زمننا هذا لم يلتزم بها الكتاب والمصنفون السابقون، مثل الاهتمام بالعمود والتهجي، وثبت قائمة المصادر والمراجع، وترجمة الشخصيات والوفيات وغيرها.

٤- ذكر المصنف رحمه الله تعالى الأحاديث الشريفة، دون إسنادها إلى الكتب التى أثرت منها، كما يذكر الآيات القرآنية دون ذكر عنوان الآية ورقم السورة لها.

أما أنا فقد سعيت - أولا - إلى نقل الكتاب بأسره إلى اللسان العربى المبين، وسهرت من خلال عملى على الالتزام بكل ما يقتضيه البحث العلمى من جهد ودقة، كما قمت بإسناد جميع ما ورد فى الكتاب من نصوص وأقوال إلى مصادرها ومظانها الأصلية، مع تحديد الصفحات والمطابع.

كما أننى بذلت غالى جهودى نحو تحقيق ما غمض ودق فى الكتاب من معانى وأفكار، بالإضافة إلى التعليقات عليها وقت الحاجة.

وما توفيقى إلا بالله

محمد معراج الحق

جامعة جواهر لال نهرو، نيو دلهى

الباب الأول

***

نبذة عن حياة العلامة سيد سليما ن أشرف رحمه الله

******

كتاب "المبين فى فقه اللغة العربية"
دراسة تحليلية

****

الفصل الأول

نبذة من حياة العلامة سيد سليمان أشرف رحمه الله

إنّ ارض الهند الخصبة قد انجبت رجالا وأفذاذاً قضوا أعمارهم فى خدمة العلم والدين وتركوا لنا آثارا تجدر بان تسجّل باحرف من النّور فى صفحات التاريخ، ومن اولئک الرجال البارزين العلامة سيد سليمان اشرف البهارى رحمه الله.

مولده وأسرته:

انه ولد فى قرية تسمى "ميرداد" فى مديرية بيهار شريف بولاية بيهار فى اسرة دينيّة، وبيئة طيّبة صالحة، عام ١٨٧٨ الميلادى وكان ابوه سيد محمد عبدالله رجلا دينيّا صالحا متقيدا بمبادى الشريعة الاسلاميّة ومتّصفا باحوال الصوفية الصافية (١)

فى مهد التربية والتعليم:

انّه نشأ نشأة طيبة وتربّى فى أحضان التربية الاسلامية والثقافة الايمانية ، ودرس الكتب الأولية عند فضيلة الشيخ العلامة محمد فاضل الاستهانوى وهو آنذاک حديث السنّ، وبعد ذلک التحق بدارالعلوم التابعة لندوة العلماء (٢) لتلقى التعليم العالى ومكث بها فترة قصيرة واستفاد منها ما قدّرله، ولكنّ الجوّ لم يلائمه والبيئة لم

ترقه فغادر ندوة العلماء ورحل إلى الشيخ محمد هدايت الله خان الجونفوري الذى كان من اعظم علماء عصره وكعبة طلاب العلم فى زمانه، فالطلاب كانوا ياتون اليه افواجا، ويقصدونه من كل فج عميق ، واتّصل بمجلسه وحضر دروسه واخذ اكبر نصيبه من العلوم والفنون الاسلامية وبقى مع استاذه المذكور اعلاه يرتشف من منهله العذب الفياض إلى ان انتقل هو إلى جوار رحمة الله فى شهر سبتمبر عام ١٩٠٨ الميلادى، فدرس لديه الكتب النهائية فى العلوم الاسلامية والمنطق والفلسفة القديمة، (٣)

على كرسى التدريس:

انه – رحمه الله – تحزن كثيراً لوفاة استاذه وكانّ الدّنيا اسودّت فى وجهه وذابت بهجتها فى عينيه وجعل يعيش مكلوم الفؤاد، وبينما هو كذلك اذ جاءه نبأ من بعض اصدقاءه ان الكلية المحمديّة العربيّة والانجيليزيّة (جامعة عليجره الاسلاميّةحاليا) تحتاج إلٰى محاضر فى قسم الشريعة الاسلامية فوصل إلى عليجره كمرشح لمنصب المحاضر وطولب منه فى الحوار ان يكتب مقالا حول عنوان "المعجزة" فكتب مقالا قيّما شاملا فى اثنين وعشرين صفحة فى مجلس واحد، ابتدأ بعد صلوٰة العشاء وانتهى قبل صلوٰ ة الفجر، وهذا ما ادهش هيئة الممتحنين وأكسبه مكانة رفيعة فى القلوب، وبعد ذلك طولب منه ان يلقى خطبة فى عنوان "التوحيد" فألقى خطبة رائعة شاملة استغرقت ثلاث ساعات واخذت بمجامع القلوب وجعل الممتحنون ينظرون إلىه بعين الغبطة والاحترام، وكان من بين العلماء الذين شهدوا هذه الخطبة النواب وقار الملك مشتاق حسين، والعلامة حبيب الرحمن خان الشروانى رئيس قسم الشريعة

الاسلامية فى حيدرآباد وجميع اعضاء القسم، ففى نفس ذلک اليوم تم تعيينه على منصب المحاضر فى قسم الشريعة مقابل راتب بلغ خمسين روبية هنديّة شهريّا.(٤)

إنه بعد تربعه على منصب المحاضر بدأ يدرّس القرآن الكريم ويفسره بعد صلٰوة العصر ومضى على ذلک إلى افول شمس حياته بدون فصل و انقطاع، ومن بين الرجال البارزين الذين اشتركو فى هذا الدرس واستفادوامنه:

١. الشيخ الدكتور ظل الرحمن الأنصارى الذى توفى فى ٢٥ من شهر ابريل عام١٩٧٤ الميلادى.

٢. البروفيسور رشيد احمد صديقى المتوفى عام ١٩٧٧ الميلادى.

٣. المجوّد محمد أنوار صمدانى المتوفى عام ١٩٧٩ الميلادى.

٤. الدكتور سيّد عابد احمد على المتوفى فى ٣/ من شهر يونيو عام ١٩٧٤ الميلادى، وغيرهم .

وقد ذكر العلامة حبيب الرحمن خان الشروانى فى مقال له هذالمجلس الميمون لتدريس وتفسير القرآن الكريم، (٥) وقد تخرج على أيديه جماعات كثيرة لطلبة تفسير القرآن الكريم وكان من بين العلماء الذين وجه اليهم الدعوة للامتحان الشفوى من قبل الكلية الشيخ الامام احمد رضا خان القادرى البريلوى والشيخ العلامة ولايت حسين الاله آبادى والشيخ العلامة عبد الحق الحقانى وامتحنوا الطلبة فاطمأن بهم وبحسن اجاباتهم ومعلوماتهم فى تفسير القرآن الكريم. (٦)

وكتب العلامة سيّد نور محمد القادرى فى ترجمة سيّد سليمان اشرف الذى كتبها فى مستهلّ كتابه "المبين" ان الدكتور برهان احمد الفاروقى أخبره فى لقاء معه ان المجوّد انوار صمدانى كان من دأبه ان يكتب بدائع نكاته ولطائف اشاراته اثناء تدريس القرآن الكريم. (٧)

خبرته بآداب التعليم ومناهجه ودقائقه:

ان العلامة سيدسليمان اشرف رحمه الله كان ذا اطلاع واسع على شؤون التعليم وخبرة تامّة بد قائقه ولطائفه كما كان فاضلا نحريراً ومعلما نبيلا طويل الباع فى العلوم الاسلامية والعربيّة ، وكان احد اعضاء الهيئة التعليمية التى قامت بتدوين المنهج الدراسى لمادة الشريعة الاسلامية فى جامعة عليجره الاسلامية لطلبتها من الثانوية إلى الماجستيرفى ٢٦-١٩٢٥ وكان من جملة الاعضاء لهذه الهيئة الشيخ العلامة امجد على الاعظمى (المتوفى 1946م) الشهير بصدر الشريعة صاحب مؤلف اردى شهير"بهار شريعت" فى الفقه الحنفى.

كتب سيّد سليمان الندوى عن هذه الهيئة وعملها فى مجلة معارف الشهرية:

وقد اجتمع فى عليجره على دعوة من قبل الجامعة علماء كانوا خبيرين بالشؤون التدريسية والمقررات الدراسية ومطلعين على متطلبات العصر الراهن وعقدت سبع جلسات متتالية بين ١١ إلى ١٧من فبرائر ١٩٢٦ ودرسوا غضون ذلك جميع نواحى القضية

حتى وصلوا إلى النهاية واعدّوا منهجا شاملا للطلاب من الثانوية إلى الماجستير واعضاء هذه الهيئة هم:

١. العلامة حبيب الرحمن خان الشروانى ٢. العلامة سيد سليمان اشرف رئيس العلوم الشرقية بها ٣. مناظر احسن الكيلانى ٤. والعلامة محمد امجد على رئيس المدرسة المعينية ببلدة اجمير ٥. وانا العبد المتواضع (سيد سليمان الندوى) ٦. والعلامة عبد العزيز الميمنى استاذ الآداب العربية بجامعة عليجره الاسلامية الذى حضر فى بعض الجلسات الخاصة وقسمت العلوم الشرقيّة إلى ثلاثة اقسام ١. العلوم العقلية ٢. العلوم الدينية٣. العلوم الادبية (٨)

شخصيته الأبيّة:

ان العلامة سيد سليمان اشرف رحمه الله كان محمودالسيرة والسريرة متحليا بالاخلاق الفاضلة والاوصاف الحميدة والمعانى السامية النبيلة ولذلک كانت شخصيته مكرّمة مبجّلة بين العامة والخاصة منهم على السواء وكان ابى النفس مصونا شديد العناية بكرامته كبيرالاهتمام برداء عرضه ذات صوت جهورى يهاب الناس بسماعه ويلقى الرعب فى قلوب أعداءه وكان صوته كما وصفه رشيد احمد صديقى ـ سيف خالد بن الوليد فى ميدان الجهاد الاسلامى يبرق ويرتعد ويسقط ويميل ويقطع ويسبح فى الفضاء، (٩)

ووصفه سيد سليمان الندوى فقال:

انه – رحمه الله – كان جميل البدن حسن اللباس، حسن الطبيعة محبا للجمال يعيش حياة بسيطة ساذجة لايتكلف فيها، ومن أهم خصائصه انه كان شهما أبيّ النفس، قضى جلّ حياته فى عليجره يحيطه الامراء وأصحاب الثروة والجاه ولكنه لم يطلب رضاهم قط ولم يخضع لهم ابداً لقى بكل واحد بوجه واحد وبكل عظمة وهيبة واحتفاظ ووقار علمى، لم تسطع أحداث عليجره السياسية وتقلباتها ان تزلزل أقدامه، كان داره عبارة عن دائرة لصوفى اذا جاءها رجل فبكل احترام وخضوع ورجع بالدعاء اذا كان الجو ملائما، وإلاعاد قهقريا ولم يقصده ثانيا، وكان فى خطبته ولوع وشوق للقلوب. (١٠)

ووصفه الخواجه حسن النظامى بأنه هو ابيض اللون ، قوى البدن كث اللحية بريق العينين حادّ البصر، عمره يناهز خمسين عاما من أهالى ولاية بيهار يحتل منصب البروفيسور فى كلية الشريعة الاسلامية بجامعة على جره الاسلامية يسلك مسلك الصوفية، له مؤلفات عديدة، ويلقى خطبة سلسالا وكانه فى سرعته سيارة البريد، لايتوقف اثناء خطبته الا لفترة قصيرة وذلك لتلاوة الصلوات على النبى عليه السلام فحسب، فكانه فى سلاسته نهر جنجا نبع ماءه من قمة همالايا ولا يقطعه قاطع إلى هرى دوار، لا يوجد مثل هذا التسلسل فى البيان فى خطبات احد من علماء الهند فى هذا الزمان وليست خطباته عبارة عن ذخر الالفاظ فقط بل فى كل جملتها برهان وفى كل قطعتهادليل، (١١)

ووصفه البروفيسور رشيد احمد الصديقى:

انه متوسط القامة أبيض اللون لامع البشرة هزيل الاعضاء قصير العينين يتجلى منهما اختلاف العواطف حادّ البصر، مملوء با لثقة، جميل الهيئة، ذو أصابع يجمل بها القلم والسيف كلاهما، فی صوته ميل وارتعاد اذا خطب فكانه يقلّب صفوف الجيش واذا أمّ فی الصلوٰة فكانه يشعر بعظمة الله وعظمة نفسه فی ابلاغ كلام الله الی الآخرين، أتذكرصلوٰة من صلوات الجمعة وكان الفصل فصل شتاء، فی تلک الريح الباردة التی كانت تنفذ فی البدن كالابرة تقدم هو للامامة ولم ينته التكبير حتی ارتفع صوت الله اكبر فكانه سلب كل ارتعاد من الفضاء ثم تلاالقرآن الكريم فكانه سيف خالد فی ميدان الجهاد يبرق ويرتعد ويسقط ويميل ويقطع ويسبح ويرتفع ويتقدم الی الأمام (١٢)

هذا ما وصفه اصدقاءه والذين عاصروه و حضروا مجالسه وشهدوا ليله ونهاره وقضوا سويعات ذهبية معه فيتضح من ذلک شخصيته ويتجلی بعض جوانب من حياته ويظهر ظهور الشمس فی رابعة النهار انه كان رجلا مبجلا لدی الأصاغر والاكابر علی السواء،

معتقداته الدينية وموقفه من القضايا المعاصرة السياسيّة:

ان العلامة سيد سليمان اشرف رحمه الله كان حنفی المذهب جشتی المشرب (١٣) وكان مغرما بشخصية الإمام احمد رضا القادری البريلوی (المتوفی 1921م) فكلما ذكره فكانه ذكر الحبيب لا ينتهی علی حد، وبحيث أنه غارق فی خياله وهائم فی حبه، وكان يسلک مسلكه فی معتقداته الدّينية والتعليمات الاسلاميّة والعشق بالنبی الكريم عليه السلام حتی فی القضايا المعاصرة السياسية ويتبعه فی

كل شيئ حتى فى الهيئة واللباس واختيار لون العمامة (١٤) وكان متصلبا فى مواقفه الدينية والسياسية (١٥) كلما تحدث عن المسائل الدينية أو العلمية تكلم بكل اجلال اسلامى ووقار علمى لا تشوبه شائبة الكبر (١٦) وكان شديد الانكار على الشعائر غير الاسلاميّة قويا فى هجاء حزب المؤتمر الوطنى الهندى و هجاء الزعماء السياسين ورجال الدين الذين اتخذو الهنود المشركين اولياء واتبعوا غاندى فى امره ونهيه، شديد الاخذ عليهم غير مداهن فى هذاالأمر(١٧)

الوضع السياسى فى عصره:

ان العصر الذى عاشه العلامة سيد سليمان اشرف البهارى رحمه الله هو عصر الاضطرابات السياسيّة والانحلال الدينى فبدأت فى عام ١٩٢٠ الميلادى حركة عدم التعاون، وجمع من العلماء انخرطوا فى هذه الحركة وتحمسوا لها بكل غال وثمين وبذلوا أقصى ما فى وسعهم فى تأييدها، منهم الشيخ الفاصل محمد على جوهر(١٩٣١) والعلامة ابوالكلام آزاد (١٩٥٨)، والشيخ محمود حسن الديوبندى، وفى ذلک صدرت منهم أقاويل يتندى لها جبين الحياء والايمان والعقيدة ووقعوا فى مزال الاقدام وكان فى ذلک الزمان رجال ينكرون على هذه الظاهرة بقلوبهم ولكنهم لم يستطيعوا ان يتفوهوابه على رؤوس الاشهاد ويعربوا عمّا فى انفسهم بكل صراحة واعلان لما كانت الظروف صعبة للغاية، ولكن فى هذه الظروف الحرجة وقف سيد سليمان اشرف رحمه الله فى وجه التيار الجارف وقام بعمل الاصلاح الاجتماعى وبرز لحماية الامة الاسلامية الهندية من ان يقعوا فى مستنقع الشهوات وشمر عن ساق الجد ولتوجيههم

نحو الطريق القويم وجعل يرد بصراحة على العلماء الذين يؤيدون حركة عدم التعاون. وساهم فى كثير من المجالس السياسيّة لعرض واقع حركة عدم التعاون امام الناس وناظر العلماء المؤيّدين لها، ومنها ما ذكره العلامة سيد نعيم الدين المرادآبادى الشهير بـ صدرالافاضل فى مجلة "السواد الاعظم" فى عام ١٢٣٩ الهجرى، وملخصه ان جمعية علماء الهند ازمعت ان تعقد مجلسا لخلق جو ملائم فى تاييد الحركة وكسر شوكة المحافظين للحقوق الاسلامية وأصدرت إعلانين بعنوان "آفتاب صداقت" (شمس الحق) وبعنوان "زندگئ مستعار كى چند ساعتيں" (سويعات للحياة الفانية) ولما شاع هذاالنبأ بين العلماء المعارضين للحركة ارادوا ان يعقدوا – هم – ايضا مجلسا للردّ عليها ولتبيان موقفهم منها فجاء العلامة سيد سليمان اشرف للمباحثة مع العلامة ابى الكلام آزاد كممثل معارض لحركة عدم التعاون وألقى خطبته والتى استغرقت خمساوثلاثين دقيقة قدم من خلالها موقفه منها واظهر ما كان فى موقف المؤيدين من مواطن الضعف من تركهم قربان البقر ونبذ شعائرالإسلام وراء ظهورهم ووقوعهم فى أمارات الكفر، وأوضح أن اثبات موالاة الهنود المشركين بقول الله تبارك وتعالى فى سورة الممتحنة: لا ينهاكم الله.....خطأ، وذكر فظاعة ما قاله العلامة عبد البارى بانه يتبع الغاندى فى مسألة عدم التعاون، وختاماً لخص القول: بأنى لست من معارضى حركة الخلافة الاسلامية والمسائل المتعلقة بها وانما لا أرتضى عن الافعال والأعمال المضادة للشريعة الاسلامية التى اقترف بها مؤيدوها من العلماء المسلمين فى تحمسهم لحركة عدم التعاون، (١٨)

مجالسه فی علیجره:

ان العلامة سیّد سلیمان اشرف رحمه الله عاش فی علیجره حیاة بسیطة ولکن حیاة اجلال ووقار وکان مجلسه مجلس صوفی یحضره الصغیر والکبیر والقوی والضعیف والثری والفقیر وکان یقابل الجمیع بوجه واحد مبتسم فکلهم کانوا لدیه سوا سیّة کاسنان المشط وکانت مجالسه تتصف بخصائص ومیزات لا توجد فی هذاالزمان الاّنادرا، فمن میزات مجلسه انه کان یخلو من الغیبة والنمیمة والفواحش والبهتان والمعاصی والشهوات والمنفعیّة السائدة فی هذاالزمان وکانت المواضیع کلها تناقش فی بیئة علمیّة و ودیّة وباسلوب جمیل لا یمل القلوب ولا یصعب علی النفوس وکان مجلسه یمتاز بالتفکیر فی طرق اعانة الملهوفین و مساعدة الفقراء والضعفاء والمساکین و کان یناقش فیه القیم الاخلاقیة للاّخرین وکانوا یصبون المدح علیهم للتحلی بمکارم الصفات وفضائل المعانی ولو کانوا اعداء (١٩) ولاشک ان هذه الصفات قلما توجد فی مجالس هذالزمان، وقد وصف مجلسه البروفیسور رشید احمد الصدیقی فقال:

"الکراسی موضوعة بنظم وترتیب فی نصف الدائرة علی مقربة من الصُّفة، والقعادة مبسوطة علی جانب منها، کل من یجئ یجلس علیها ولیس هناک أی إهتمام خاص لأحد ولو کان ذاجاه أو مال، واذا نظرت إلٰی مظهر المجلس أیقنت انه رحمه الله غالب علیه کلما تکلم أحداً لم یر علی وجهه امارات الرعب أوالانفعال قط، لقد رأیت الأمراء الکبار جالسین بجواره واناس اّخرون موجودون فی مجلسه، ولکنه یتحدث مع کل واحد منهم بلهجة ونبرة واحدة،

ويعطى خادمه القديم النواب المحترم كوبا من الشأى كما انه يعطى الحضورالآخرين. (٢٠)"

ومن بين العلماء الذين كانوا يحضرون مجلسه بدون فصل وانقطاع وينادمونه، العلامة حبيب الرحمن خان الشروانى، فلم يزل من دأبه انه كان يحضر داره المدعوة بـ "آدم جى منزل" فى الحصة الاخيرة من النهار ويتبادل الافكار والآراء حول المسائل الدينية والأبحاث العلميّة والقضايا الاسلامية العالمية المعاصرة أوالموضوعات السياسية الهندية الراهنة ويرجع إلى منزله بعد صلٰوة المغرب، وقد ذكر العلامة سيد سليمان الندوى هذاالروتين اليومى للعلامة حبيب الرحمان خان الشيروانى فقال:

ومن ذكرياته رحمه الله للتقيد بعاداته وأعرافه انه كان يحضر منزل العلامة سيد سليمان اشرف ويبقى معه حتى يؤدى صلوة المغرب فكلما رجع إلى عليجره حضر داره يوميا فى كل فصل وبدون انقطاع حتى انكرعليه مرة النواب مزمل خان أحد معارفيه فاجابه قائلا:انى باخع على آثاره. (٢١)

والذى يدلّ على مكانة العلامة سيد سليمان اشرف، يجدر بنا ان نذكر هنا ما ذكره النواب مشتاق احمد خان ابن النواب الفاضل فخر يار جنگ وزير المالية سابقا:

وفد العلامة حبيب الرحمان خان الشروانى أحد العلماء البارزين فى زمانه إلى مدينة حيدر آبادبصفته رئيس قسم الشريعة الاسلامية، وكان منزله بجوارنا وكانت تتوافق آراء ابى مع فكرة العلامة ماأدى الى إقامة علاقة ودّية معه وكان من عادة والدى انه يزور

داره فی أوقات الفراغ ویتبادل الأفکار والآراء حول المسائل الدینیة والعلمیة ویرجع بعد أداءصلوة المغرب ان لم یکن هناک مانع، وقد نظم والدی صلوة التراویح فی منزل العلامة إلی سنوات عدیدة ، فکان الشیخ الفاضل عبد الرحمن الجالندهری یجئ من بنجاب لامامة صلوة التراویح وبقیت هذه العلاقة قائمة مع العلامة بعد مغادرته حیدرآباد أیضا، فکان والدی ینزل داره کلما سافر إلی علیجره للمشارکة فی ندوات جامعة علیجره الاسلامیة (۲۳)

هذه کانت مکانة العلامة حبیب الرحمٰن خان الشروانی وعلاقته مع النواب الفاضل فخر یار جنگ، والنواب کان یزور داره کل یوم ویستفید منه، وعلی جانب آخر یحضر العلامة حبیب الرحمٰن خان الشروانی منزل العلامة سید سلیمان اشرف ویعده مبعثا للخیر والسعادة، فتجد ان کلا من المقطوفتین المذکورتین سابقا للعلامة سید سلیمان الندوی والنواب مشتاق احمد تدلان بکل وضوح علی سمو مکانة العلامة سید سلیمان اشرف رحمه الله.

مؤلفاته العلمیّة:

إن العلامة سید سلیمان اشرف رحمه الله له مؤلفات علمیّة دینیة عدیدة، بعضها فی الحجم صغیرة وبعضها کبیرة ولکن اشتهر من بینها ثلاثة، نستطیع ان نقدر من خلالها مکانته العلمیة ونعطیه مکانته اللائقة به، الاوّل: "المبین" فی فقه اللغة العربیة والثانی:"النور" فی مسألة القومیة التی تضاربت فیها وجهات انظار العلماء المسلمین فی الهند، والثالث:مقدمته علی المثنوی "هشت بهشت" لأمیر خسرو الدهلوی، ان هذه المقدمة تشتمل علی مأتین

وخمسين صفحة ناقش من خلالها جميع الاغراض الشعرية للامير خسرو الدهلوى ومكانتها الادبية وأثرالشعر العربى والفارسى فى الشعر الأردى، (٢٣)

وفاته: قال الله تعالى فى التنزيل العزيز: "كل نفس ذائقة الموت" فانتقل العلامة السيد سليمان اشرف البهارى رحمه الله إلى جوار رحمة ربه فى خمس خلون من شهر ربيع الاول عام ١٣٥٨الهجرى المصادف ٢٥/ من ابريل عام ١٩٣٩ الميلادى ودفن بالمدفن الشروانى بعليجره، (٢٤) اعرب البروفيسور رشيد احمد الصديقى عن حزنه وألمه على وفاته قائلا: ان العلامة سليمان اشرف المحترم قد ودع هذاالعالم ورحل إلى جوار رحمة الله بجميع خصائصه وميزاته وذكرياته التى لا اجدها فى غيره، (٢٥) ولله درّ الشاعر الذى يقول:

وما كان قيس هلكه هلك واحد * ولكنه بنيان قوم تهد ما

الحواشی والهوامش:

١۔ سید نور محمد القادری: مولانا سید سلیمان اشرف بهاری رحمة الله علیه، (ترجمة العلامة السید سلیمان اشرف البهاری فی مستهل کتابه المبین) ص: ١٧، ط ۔ المجمع الاسلامی مبارکفور، اعظم جره

٢۔ سید سلیمان الندوی: مجلة المعارف، اعظم جره، یونیو، ١٩٣٩م،

٣۔ محموداحمد القادری: تذکره علماء اهل سنت، کانفور، ١٣٩١ھ ، ص: ١٠٠

٤۔ غلام غوث: مولانا سید سلیمان اشرف اور مولانا حبیب الرحمٰن کے تعلقات، مجلة العلم، کراتشی، من ابریل إلی یونیو، ١٩٧٤م۔

٥۔ مقالات شروانی، علی جره، ١٩٤٦م، "کالج میں تکبیروتهلیل" ص: ١٨۔

٦۔ نفس المصدر،

٧۔ سید نور محمد القادری: ترجمة مؤلف "کتاب المبین" فی مستهله ص: ٢٠۔

٨۔ سید سلیمان الندوی: شذرات، مجلة المعارف، اعظم جره، فبرائر، ١٩٢٦م (مترجما من النص الاردی)

٩۔ رشید احمد الصدیقی: گنج هائے گرایاں مایه، لاهور، ص: ٤٠۔ ٤١۔

TH-18017

Nehru Library

١٠۔ سید سلیمان الندوی: مجلة المعارف، اعظم جره، یونیو ١٩٣٩، شذرات، ص: ٤٠٣، (مترجما من النص الاردی)

١١۔ خواجه حسن النظامی: درویش جنتری، ١٩٢٣، نقلا عن مجلة "کتابی دنیا" ینایر، فبرائر، ١٩٦٧م

١٢۔ رشید احمد الصدیقی: گنج هائے گرایاں مایه، لاهور، ص: ٤٠ ـ٤١، (مترجما من الاردیة)

١٣۔ عبد الماجد الدریابادی: مجلة المعارف ، اعظم جره، دسمبر، ١٩٥٠ ص: ٤٨١۔

١٤۔ الدکتور السید عابد احمد علی: مقالات یوم رضا، لاهور، ١٩٧١، ص: ٩ ـ١٠۔

١٥۔ سید نور محمد القادری: ترجمة مؤلف کتاب المبین فی مستهله ص: ٣١۔

١٦۔ رشید احمد الصدیقی: گنج هائے گرایاں مایه، لاهور، ص: ٤٦

١٧۔ الدکتور سید عابد احمد علی: مقالات یوم رضا، لاهور، ١٩٧١، ص: ٩ ـ١٠

١٨۔ سید غلام معین الدین النعیمی: حیات صدر الافاضل (ملخصا) ص : ١٦٥ـ١٦٧

١٩۔ محمد مقتدی حسن خان الشروانی: قومی زبان ، کراتشی اغسطس١٩٦٣م

٢٠۔ رشید احمد الصدیقی: گنج ھائے گرایاں مایه، لاھور، ص: ٢٦ (مترجما من الاردية)

٢١۔ سید بدرالدین العلوی: مجلة معارف اعظم جره، دیسمبر، ١٩٥٠م، نفس المصدر، ص: ٤٢٥، (مترجما من الاردية)

٢٢۔ النواب مشتاق احمد خان: حیات فخر، لاھور، ص: ٢١٦ (مترجما من الاردية)

٢٣۔ سید نور محمد القادری: ترجمة مؤلف کتاب المبین فی مستهله، ص: ٢٥

٢٤۔ نفس المصدر

٢٥۔ رشید احمد الصدیق: گنج ھائے گراں مایه، لاھور، ص: ٢٣، (مترجمامن الاردية)

الفصل الثانى

كتاب "المبين" دراسة تحليلية

عندما سطر سيد بيروارث شاه اسطورة "هير" (١) فى اللغة البنجابية علق أستاذه الشيخ غلام مرتضى عليها قائلاً: (ايهاالعزيز انک قد نسجت الدرر فى حبل من القنب) اى! انک قد جعلت لغة فقيرة وسيلة للتعبير عن عواطفک وتخيلاتک الثرية. وبذلک حقق الكتاب سمعة خالدة وحفاوة بالغة للغة البنجاية ولمؤلف الكتاب لن تتضائل انوار شعبتيها الساطعة الى قيام الساعة، فقد غير الكتاب ذلک الحبل من القنب الى خيط من الحرير.

كذلک حينما الف الشيخ سيد سليمان كتابه (المبين) باللغة الأردية علق عليه المستشرق الفاضل الشهير (براؤن) قائلاً: قد ظلم الشيخ اذ كتب هذاالموضوع فى اللغة الأردية، لو كان هذاالكتاب با لانكليزية أو العربية لازداد ثقلا واحتشاماً (٢) . والحقيقة ان براؤن هذا لم يصب فى قوله هذافحسب، بل إن مقدرة الشيخ على كتاب كهذا تشيرالى مدى سعة اللغة الأردية وقدرتها على استيعاب معانى ومفاهيم عويصة، فالكاتب الذى يتمتع بذوق لطيف ويسعد بباع طويل فى مجال اللغة فقد تنسنى له فرص تأليف كتب بلغة عذبة شاملة حول الموضوعات الصعبة مثل القضايا اللغوية الدقيقة ايضاً.

إن اسلوب الكتاب فى غاية من الروعة والابداع الأدبى، وقد فنّد المصنف باستعمال الابيات الرائعة المنتقاة من الشعر فى اللغة الأردية والفارسية حسب الضرورة وعن عفو الخاطر هذاالاعتقاد السائد بأن "اللغة الأردية لم تزل فى ايام صغرها وصباها"، فاذا

درسه أحد لمجرد الاستمتاع اللغوى فلا يشعر بالإحباط ولا خيبة الأمل بتاتا.

نجد فى الكتاب بين حين وآخر، عبارات تثير دهشة القارئ، واليكم بعض هذه الامثلة: ١. إنه واقع يثير التعجب والدهشة بأن اللغة العربية تحمل فى طياتها ميزات الرونق والروعة تجذب الانظار دراستها المتعمقة والمتأنية وتبهر النفوس، فلا يمكن ان يقول الانسان فى أية لحظة لقد ارتوينا من ينابيعها، لا، وكلا، فهى دائمة التدفق بالجمال انها كما يقول الشاعر:

كلما أمعنت فى خديک عينى جدلى منه جديد فى النظر (٣)

ان جميع الدراسات التى قام بها المستشرقون وان كانت مبعث تنوير للغات العجمية، الا انها بالنسبة للغة العربية الغراء تعد مهانة، فالأخذ باراءهم والركض وراءهم واستراق السمع منهم يعد دليلا صارخا على ضيق نظر الذى يكتب ويتلقى السمع منهم على السواء:

ان العنقاء عشها فى الاعالى فاذهبوا بفخكم الى طائر آخر(٤)

وقد استهل المؤلف كتابه بهذا الشعر الذائع الصيت:

قولوا للماشطات ان يجعلن على حسن الحبيب اضواء أخر تصل الينا (٥)

وظل متبعا منهج (إضاءة حسن الحبيب) الى ان يختتم كتابه قائلا:

فى الحزن امزق قميصى عليک وفى الموت امزق كفنى عليک(٦)

ان محورا اساسيا لكتاب "المبين" يرمى الى تفنيد تدليس، وشبهات المستشرق المسيحى جرجى زيدان حول أقدمية اللغة العربية واصالتها، ويهدف الى كشف القناع عن إشاعاته وادعاءاته المسمومة التى روّجها فى كتابه الشهير (الفلسفة اللغوية والالفاظ العربية) فى العالم كله، وقد وجدت غالبية المستشرقين الاوربين فى هذالكتاب بغيتهم المنشودة كما كانت تملى عليهم انفسهم من حقد وكراهية وإحن وعصبية ضد اللغة العربية فجعلوا منه "كتابا مقدسا"۔

ان الدسائس والشبهات المسعورة التى اشاعها جرجى زيدان فى كتابه "بين الاوساط العلمية فى العالم" يستخلصها الشيخ فى الاسطر الآتية قائلاً:

إن مغزى دراسته (جرجى زيدان) هو ان اللغة الأردية قد احرزت مكانة لغة مستقلة بحكم الاختلاس من اللغات الاخرى فى الهند، هى الحالة نفسها قد مرت بها اللغة العربية، ولاضفاءصبغة الواقع والحقيقة الزائفين على هذه الادعاءات يرى انتهاج اساليب ونبرات من الرزانة والطمأنينة والهدوء كافية۔

وانه يعتبر نفسه على قمة رفيعة من الثقة والتمعن اذ لا يرى ان هناك حاجة إلى ان تسند آرائه واقواله بالادلة والمصادر لذلك يقول احياناً: إن بنية اللغة العربية تعتمد على محاكاة الاصوات، وكتب تارة: إن هذا اللفظ قد أخذ من اللغة الفلانية فى اللغة العربية، واستطرد قائلاً تارة اخرى: إن بنية الكلمة أو مادة الكلمة فى اللغة العربية۔ قد تنحصر فى الحرفين فقط، وذكر حيناً آخرأن الحرف الثالث الزائد لا مقام له بالتحديد، فأحياناً يكون الحرف الاول زائداً والحرف الثانى تارة والحرف الثالث تارة اخرى، وانطلاقاً من هذه

العبارات المتنوعة يذكر جميع الاشتقاتات من لفظ "قطع" فى مكان ويريد استخلاص النتيجة الآتية:

" ان اللغة العربية تعوزها الالفاظ الى درجة كبيرة"، ولكن الانظار الفاحصة تدرك ان العرب حينما يصيغون كلمة من الكلمات العربية، ويقفون عند معانيها، ويجرون عليها عملية الاقلاب والابدال فتتلمس الانظار حتى العابرة والعادية كثرة الالفاظ ووفرتها فى اللغة العربية.

إن الشيخ لم يفحم جرجى زيدان فى هفواته وحججه فى كتابه (المبين) فحسب بل أسهب فى ذكر بعض المباحث التى أوجزها المتقدمون فى كتبهم فمثلاً: ترتيب الأ مثلة حول الاشكال الستة فى "فلسفة الاشتقاق".

قد ذكر المتقدمون الأسس وقوانين الاشتقاقين الصغير والكبير ولكنهم ماضربوا عليها اكثر من مثالين أو ثلاثة، ولكن المؤلف قد أجاد بذكر مايربو على ثلاثة وثلاثين مثالا فى اكثر من عشر صفحات، وان هذه الامثلة إن دلت على شيئ فقد تدل على شمولية اللغة العربية وجامعيتها واستيعابها، وعلى سعة المطالعة والعقل النير الوقاد للمؤلف. ألكتاب يحتوى على سبعة مباحث وهى:

١. المبحث الاول : فضائل اللغة العربية.
٢. المبحث الثانى : مخارج الحروف وصفاتها واعرابها.
٣. المبحث الثالث : تركيب الحروف.
٤. المبحث الرابع : الرد على نظرية سوفسطائية.
٥. المبحث الخامس : فلسفة التطور اللغوية.
٦. المبحث السادس : فلسفة الاشتقاق.
٧. المبحث السابع : براعة النطق المدهش فى اللغة العربية.

ثم ان كل مبحث يتفرع الى عناوين جانبية يترواح عددها المائة والآن اقوم بتعريف موجز لتلك المباحث .

المبحث الأول

فى هذا الباب ذكر المؤلف تحت "عنوان قضية لغة الانسان الاولى" آراء المذهبين الاشعرى اولاً، والمعتزلى ثانياً، حيث يعتقد الفريق الاول أن لغة الانسان هى توفيقية وإلهامية ، اى: قد رزق الله الانسان قدرة النطق والكلام مثل الصفات والصلاحيات الاخرى المتنوعة التى متعه بها عن طريق الإلهام والتوقيف، أما الفريق الثانى فهو يقول : إن الانسان هو نفسه قام بوضع الالفاظ متاثراً ببيئته ومحاكاةٍ لاصوات الطبيعة ثم ارتقت إلى مرحلة اللغة أو اللسان فيما بعد بالتدريج، يعنى ان هذا الفريق يؤيد مذهب (ان طائر "كبك" قد حصل على الارجل لدلال سيره)- ثم قام المؤلف بتقسيم هذا الفريق الى ثلاثة مذاهب، الأول منها: ان الانسان حينما فتح عينه على هذه الدنيا ، تعودت أذانه على أصوات الطيور والبهائم، وعلى الاصوات المختلفة للجمادات و غيرها، فحاول إخراج تلك الاصوات من فمه، ولكون الجهاز الصوتي لديه اكثر سلاسة ومرونة أصبحت الأصوات الخارجة من فمه اوضح واصلح للفم مقارنة بالاصوات الاخرى، ونتج هذا عن وجود لغة مستقلة كاملة.

ويرى المذهب الثانى : ان اصطدام الاشياء فيما بينها يحدث اصواتاً متنوعة ، كذلك حينما تصطدم القوات المدركة فى الانسان بضربات من الخيال والتصور فيحدث هذا الاصطدام صوتاً فى الدماغ ، ويتمثل هذا فى شكل الالفاظ على اللسان.

أما المذهب الثالث فيعتقد ان الطبيعة الانسانية قد جبلت على قدرات وضع الالفاظ وأودعت هذه الصلاحيات فى نفسه فطرياً، مثل حدوث ظاهرة الصراخ عند الوجع او اصوات السعادة عند الفرح ، وهكذا ذكر المؤلف فى كتابه المذاهب الاربعة حول نشأة اللغة وتطورها بايجاز جميل دون ان يفوته الشمول والاستيعاب الكامل.

وقد أشبع المؤلف بعد سرد هذه المسألة القضايا الاساسية للغة العربية ومخارج الحروف وصفاتها واعرابها بحثا، وهذا كله فى المبحثين الاول والثانى، وقد أثبت المؤلف فى مجال المخارج أن حسن الاستخدام للجهازالصوتى فى اللغة العربية الذى انتهج عادة فى هذه اللغة لم تستخدم اللغات الاخرى عشراً منه، فعلى سبيل المثال قد ذكر المؤلف اللغة السنسكريتية التى عدها المستشرقون اكثر عراقة وأصالة من اللغة العربية ، فبين أنها قد حددت فى ثمانية مخارج للحروف الهجائية فى حين انّ العربية تستعمل ثمانية عشر مخرجاً، وقد فصل المؤلف فى دراسة مخارج الحروف مخرجاً، مخرجاً وتطرق بعد ذكر المخارج الى قضية صفات الحروف الشائكة المتشبعة فى اللغة العربية بكل دقة وتفصيل ، وهذا مفاده: أن الحالة التى تطرأ عند أداء الالفاظ تختلف من حيث الكم والكيف عن الحالة الاخرى، فقد توجد فى بعضها وقت الأداء صفات من السلاسة والرخاوة ، وفى بعضهاالشدة والصلابة، وهكذا تمتازحالة عن الاخرى من حيث الكم والكيف ويبقى كل حرفٍ قائماً بذاته معلناً عن تشخصه ووجوده، وبناءًعلى هذا، قسم المؤلف الحروف من حيث الكم الى ستة عشر قسماً، واليكم بعض الاقسام منها: الحروف التى تنشأ عند أداءها الخفة والنعومة يطلق عليها (الرخوة)، واللائي تحدث الصعوبة والشدة فهى (الشديدة) واللاتي

ينتشرالصوت عند اداءها فهى فى قسم (التفشي) ومن الطريف أن صفات الحروف تتحكم وتتوارد فى الالفاظ التى هى موجودة فيها وتستهل منها "مثلاً حرف (الشين) من حروف التفشى فكل كلمة تبدأ بها يوجدنّ فيها معنًى من معانى السعة والانتشار. (٨)

ويمكن مشاهدة بعض الالفاظ التى تستهل بحرف (الشين) فى الاسطر الآتية:

اللفظ	المعنى	وجه الشبه
١. الشباب	الفتوة	تنمو فيها العواطف والأ عضاء
٢. الشبر	الجانب الممتد ما بين طرفى الابهام والخنصر	تمتد فيه الأصابع والكف
٣. الشحنة	البوليس/ الشرطة	سيطرتهم واحاطته بالمدينة واضح
٤. الشجر	ماقام على ساق من نبات الارض	امتداد الاوراق والاغصان فيه معروف

٥. الشبح مد الشئ وجعله عريضا فمثلا اذا مد الحبل فيقال : شبح الحبل يده كل المد فيقال شبح الداعي.

٦. الشرع القانون الالهى واضح شموله (٩)

وقد ذكر المؤلف فى مسألة الاعراب والحركات:

ان وضع الاعراب للالفاظ العربية وحركاتهالاتخرج عن الأسس والقوانين، فانه لم يتم وضع وتحديدالحركات والسكنات للماضى والمضارع والمشتقات وغيرها اعتباطيا، بل لوحظ الانسجام فى المعنى فى تحديد الحركات ايضاً، فمثلاً:

"ينصب آخر المضارع على الفتح، ويرفع آخر المضارع على الضم ، ولكون المضارع متضمنا الحال والاستقبال معا حددت له الضمة نظراً إلى التضامن والإنضمام، وتقررت الفتحة للفعل الماضى الدال على انفتاح حال الماضى وشرحه كى يشعر على الانصرام والحصول ، فلاحظوا معنى الفتحة والضمة وابحثوا عن علاقتها بالماضى والمضارع فتكشف لكم آنذاك اسرار المرفوعات والمنصوبات والمجرورات" (١٠) اى كما ان تمتازبعلاقة وطيدة بالمعنى كذلك إعراب الكلم وحركاتها تتمتع بميزات وخصائص رائعة أيضاً.

أما الباب الثالث فإنه يحتوى على "تركيب الحروف " ، فقد بين المؤلف فيه الخصائص التى تمتاز بها الالفاظ وكيف تقوم عملية التزاوج بين الحرفين بتقريب المعنى والدلالة.

إن المادة التى وجدت نتيجة تزواج بين الحرفين ، فبالرغم من انها احدثت فى داخلها صفة جديدية غيرالميزات والخصائص الاساسية للحرفين،فمثلا: حرف (الجيم) الذى من صفاته الجهر والرخاوة والشدة والاستفالة والانفتاح والاصمات والقلقلة.(١١)

وحرف (الميم) الذى من صفاته: التوسط والاستفالة والانفتاح والاذلاق والجهورة.(١٢) فان تزاوج الصفات المشتركة بينهما وهى: الجهورة والمستغلة والمتفتحة يضيف صفة جديدة تنطوى على معانى الوفرة والاجتماع، كما ان تزاوج (الهمزة) و(الزاى) المعجمة يحدث معنى الضيق وعدم الرغبة ، وقد دعم المؤلف قوله هذا بثلاثة عشر مثالا وهى مبسوطة فى الكتاب من ٨٧ حتى الصفحة ٩٣.

وانا اذكر بضعة الفاظ منها لغرض المثال هنا، وهى صيغت من التزاوج بين (الهمزة) و (الزاى) المعجمة ويتضح فيها معنى الضيق وعدم الرغبة.

أزأ	أى: سئم
أزب	أى: الرجل البخيل
أزج	أى: تكاسل
أزق صدره	أى: ضاق صدره

المبحث الرابع

قام جرجى زيدان بترويج اشاعةٍ فى كتابه "الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية" ألا وهى: إن مادة الالفاظ العربية ثنائية، ولا يصاغ لفظ من حروف تزيد على اثنين، فإن الباب الرابع يختص برد وتفنيد هذه الاشاعة والتضليل ويلاحظ الشيخ حبيب الرحمن خان الشيروانى : براعة الحجة من قبل المؤلف فيعلق على "المبين" قائلاً:

المبحث الرابع فى الرد المفعم على تضليلات جرجى زيدان الذى يقول : إن مادة اللغة العربية ثنائية فقط، أى : أن الالفاظ العربية ثنائية قاطبة، ولاتصاغ من حروف ثلاثة أو اربعة، أى : لاوجود للالفاظ الثلاثية او الرباعية فى اللغة العربية، ولو ان الادعاء هذا يعوزه الدليل، إلا ان مؤلف كتاب "المبين" قد رد عليه بأسلوب علمى متين ، وأثبت عن طريق الأساليب الفلسفية أنه لماذا لا تكتمل مادة الالفاظ العربية بحرفين؟ بل تحتاج الى الحرف الثالث الأصلى ومدى تأثير الحرف الثالث على المعنى، وإن كشف القناع عن موسوعية جرجى زيدان الزائفة فى هذا المضمار فيه عبرة لأولى الالباب، ولا مجال للاختلاف فى ان جرجى زيدان فاستسلم يائساً من تحقيقها، فذهب المؤلف فى دراستها إلى محال ونكات بارعة تفدى بها أبيات مرتجلة كثيرة : "إن مزج (النون) بصفتها وهى (الغنة) مع (القاف) و (الطاء) وجعلها فى شكل (القطن)، وإن تأثير هذه المجموعة على المعنى يفيد بأن القطن يخرج من بطن الحبة بعد اكتماله ونضجه فى الداخل "يعد دراسة دقيقة جداتستحق الثناء والتقدير البالغين"(١٣)

وإلى الذين يرغبون فى مزيد من الاطلاع على هذا المبحث، ماله وماعليه ، فعليهم مراجعة كتاب "المبين" من الصفحة ٩٤ الى الصفحة ١٢٢ بكل تمعن وتأن، لتكشف لهم أسرار وحقائق لغوية كثيرة أخرى، وسيجدون أنفسهم مؤمنين بشمولية اللغة العربية، ووفرة الفاظها.

المبحث الخامس

قد درس المؤلف فى هذاالباب قضية تطور اللغة، وذكر أصول المستشرقين فى البداية، مفادها:

(١) إن علماء الدراسات اللغوية فى عصرنا هذا قد اتفقوا على ان اللغة وضعت نتيجة لمحاكاة الاصوات، اى : أن الانسان يتكلم اللغة ذاتها التى يظل يسمعها منذ نعومة أظفاره وفطامه، ولأجل هذا السبب فان المولود الذى يولد فى ايران لغته فارسية والمولود الذى يولد فى انجلترا لغته انجليزية.

(٢) واذا نشأ وترعرع الطفل فى صحراء لا آدمى فيه ولامؤنس ، فالطفل هذا لن يقدر على الكلام ان شب وشاخ.

(٣) إن مقابلة لغة بلغة كانت مستخدمة قبل قرن تسفر عن أن هناك تغيرا كبيرا طرأ على لغة الماضى ولغة الحاضر.

قد بنى المصنف فى مبحث مفصل اربعة اطوار على آراء المستشرقين وقياساتهم: وهى:

الطور الطبيعي والتقليدى والصوتى والمنطقى، وناقشها نقاشا مسهبا، وبين أن هذه الآراء والأفكار كان قد ذهب إليها أبو هاشم الجبّائي المعتزلى قبل قرون عدة ، وقدم المستشرقون الآراء والافكار نفسها بصياغة وثوب جديدين، وبرهن على أن آراء علماء اللغة وقياساتهم هى مجرد آراء وقياسات لاتدعمها الحقائق ولا يؤيدها الواقع ، وإن أساس المحاكاة الصوتية لا أساس لها من الصحة.

وناقش المؤلف فى هذا الباب الحواس الظاهرة والباطنة، أمثال الحاسة الباصرة والسامعة واللامسة والشامة والوهمية والحافظ

والمتصرفة والمفكرة والمتخيلة وحكم عليها بكل تفصيل في ضوء الاساليب الفلسفية التى عمت وطغت فى هذ ا المجال.

وهى مذكورة فى الكتاب مابين الصفحات ١٢٧ إلى ١٤٦. إن المصنف الفاضل قد اشبع اموراً واجمع نكات علمية بديعة فى طيات هذه الصفحات لا يمكن معالجتها من قبل كاتب آخر فى مئات من الصفحات وبنفس الاسلوب الشامل الرائع.

المبحث السادس

إن هذا المبحث يُشكل روح الكتاب أو جوهره فهو يحتوى على فلسفة الاشتقاق، يستهل هذا الباب قائلا:

إن مباحث الاشتقاق الكبيرة تدفع الى الاعتراف بأنه، حينما توضع لفظة فى اللغة العربية يرافقها معناها ودلالتها كذلك بصورة دقيقة ومحكمة، حيث يظل المعنى الاصلي مؤثراً وثاوياً فيه بشكل من الاشكال ورغم انتقال اللفظة من صورة الى اخرى يبقى روح المعنى سائداً فيها، أى: (لا تتحول اللفظة الى مهمل) (١٤)

ثم يذكر تعريفات الاشتقاقين الصغير والكبير بعد ذلك ، فيقول: اذ بدلنا كلمة او مادة إلى اشكالها الممكنة المختلفة حسب قوانين الاشتقاق الكبير، فتحصل لها ستة أشكال لا سابع لها، خذ مادة القمر على سبيل المثال ، فأنه يتأتى منها الاشكال الآتية:

(١) القمر، (٢) الرقم (الكتابة (٣) الرمق (بقية الحياة) (٤) المقر (السم القاتل)، (٥) القرم (سيد القوم) (٦) المرق (الماءالذى أغلى فيه لحم فصار دسماً) (١٥)

إن القاسم المشترک لمادة (ق،م،ر) موجود فى جميع مشتقاتها ألا وهو صفة الظهور بالتدريج والتأنى ، فمثلاً: المرق يستوى

بالتدريج، والقمر ينقص ويزيد بالتدريج، أى : ان الاشكال المتنوعة الحاصلة جراء تقليب مادة واحدة وتحويلها تمتاز بمزاج وطبع خاصين على الرغم من ان منطلق المادة واحد ، ويشترك المعنى فيها من جهة او اخرى وإن مدى شمولية هذه الميزة واكتمالها لايوجد لها مثيل فى أية لغة من لغات العالم غير (اللغة العربية)وهى ميزة كبرى للغة العربية.

إن المتقدمين من العلماء وإن قاموا بتدوين وترتيب القواعد فى هذه العلوم، إلا انهم اقتصروا على بضع امثلة خلال استشهادهم بها، ولكن الشيخ قام بسرد عشرات أمثلة، وهى مذكورة بين الصفحة ١٥٠ حتى ١٦٠ وإن هذه الامثلة لا تدل على شمولية اللغة العربية وموسوعيتها فحسب بل انها خير دليل على حس المؤلف اللغوى والعلمي الدقيق.

وهناك بضعة الفاظ قد اعتبرها علماء اللغة وعلى رأسهم جرجى زيدان من اصول عجيمة مع انها تنحدر من اصول عربية مثل اللجام والمسک والسراج والكافور وغيرها ، وقد اثبت المصنف الاصالة العربية لهذه الكلمات باستدلال قوى فذٍ، وان مطالعة هذا الكتاب من صفحة ١٧٢ الى ١٧٦ لا تخلو من المتعة والاستفادة، ولمجرد اثبات اصالة (لجام) عربيا جاء بخمس وجوه، وهكذا فقد أظهر للعيان أخطاء وتضليلات علماء اللغة من المستشرقين فبدت سوءاتهم للناظرين.

المبحث السابع

وهو المبحث الاخير فى الكتاب ، وموضوعه: براعة النطق المدهش فى اللغة العربية - إن هذا الباب يتضمن ذكر محاسن اللغة العربية المثيرة للإهتمام والاعجاب التى تتعلق بكشف حقيقة المعنى، اى : أن اللفظ لا ينسجم مع معناه فى التركيب والترتيب فحسب ،بل اذا تمعنا فيه تنجلى حقيقة اللفظ كذلك ، وقد شرح بعض الامثال شرحا مفصلا مثل العلم، والسبق والارض والانس، وبين فلسفتها ولنتأمل دراسة كلمة السبق على لسان حال المصنف ولندعو له خيراً:

"الذى ندرسه او ندرس كل يوم يطلق عليه فى العربية (السبق)، وجمعه "الاسباق" وفى اللغة: التقدم او التغلب، والملاحظ ان تسمية (المقروءات) او الدروس اليومية بـ (السبق) يخبر من ان العرب كانوا على المام تام بحقيقة العلم ولطائف التعليم ، فلو ان طالبا لايحرز قصب السباق يوميا ، وأن مواهبه لاتنمو با لسبق مع مرور الايام، او لم تتغذ قوته المدركة والدماغية، فالواقع انه لا يتلقى علما ولا تعليما ولايطلق عليه (السبق) بل انه عبارة عن ضياع الوقت وضياع العمر، ان كلمة (السبق)لا تدل على معناها فحسب، بل هى تشير إلى غايتها وواقعها الاصلى، والجدير بالذكر ان (السبق) من الحروف المنفتحة و (الباء) و (القاف) من حروف الشدة ، فان الغاية الحقيقية من (السبق) اذن هى صقل القوى الذهنية وتنشيطها، والتى تبدو فى الحروف المنفتحة ، وإن تكرار حروف الشدة تدل على تحمل الحفظ والاخذ، وإن هذا كله جاء باسلوب رائع

سائغ ، فاللفظ يخبر عن فلسفة المعنى والحروف تعكس أرضيته ، فهل هذا لسان او طلسم وسحر؟ فسبحان المبدع." (١٦)

وقد تطرق المصنف فى هذا المبحث الى جانب رائع من وضع اللفظ ألا وهو: ان العرب عند ما يتلفظون حتى الالفاظ المهملة فانها تتحول عندهم الى الفاظ ذات دلالة ومعنى فمثلا محاكاتهم لصوت الغراب بـ غاق غاق، ولأن الغراب طائر أسود فلقد اختاروا لهذه المحا كاة مادة يشترک فى جميع مشتقاتها معنى السواد ، مثل : تغيق بصره، اى : زال بصره أى : اسودت فى عينه الدنيا ، وغيره (١٧)

أما الخاتمة فهى تلى المبحث السابع وتحتوي على اربع صفحات، وهى عبارة عن باقة عطرة من الشعر والادب ومسک الختام.

حينما صدر الكتاب عام ١٩٢٩ فحظى بتقدير وثناء الاوساط العلمية والأدبية ، وارسل المصنف نسخة منه الى حكيم الامة العلامة محمد اقبال (الشاعر الاسلامى الكبير فى شبه القارة الهندية) وصادف العلامة ان التقى المؤلف فى زيارة لعليجره فى إحدى المناسبات بعد تلقيه الكتاب فاثنى عليه ثناءا عاطرا قائلا: (يا مولانا إنک قد سلطت الضوء على بعض جوانب اللغة العربية التى لم تخطرعلى بالى قط (١٨)

وقد سبق ذكر ما قاله المستشرق (براؤن) بعد مطالعة الكتاب فى مستهل المقدمة ، وكان قد اعتاد المجمع الهندى فى إله آباد كل عام على تخصيص "جائزة ادبية" لأفضل كتاب واروعه، وقد حصل "المبين" على هذه الجائزة لعام ١٩٢٩.

نشر سيد سليما ن الندوى فى مجلة المعارف الشهرية نقد الدكتور عبد الستار الصديقى عام ١٩٣٠ وكان يحتوى على ست وعشرين صفحة.

وردا على هذا النقد كتب الفاضل الشهير إكرام الله خان الندوى مقالة عنوانها "نظرة نقدية على تعليق الدكتور عبد الستار الصديقي وتعقيبه"

وقد نشرت فى عدد " معارف " عام ١٩٣٠ وكانت المقالة مطمعة بالادلة والبراهين ومنطوية على ثماني عشرة صفحة . وتلت هذه، مقالات فى مجلة "معارف" دونكم تفاصيلها.

١. مقالة مولانا حبيب الرحمن خان الشيرواني فى عدد اغطس عام ١٩٣٠ فى مجلة "معارف "

٢. مقالة المفتي السيد شير على استاذ الجامعة العثمانية بحيدر آباد الدكن ، فى اكتوبر عام ١٩٣٠ فى مجلة "معارف" الشهيرة.

******

الحواشى والهوامش:

(١) أسطورة هير رانجا من الاساطير الشعبية فى شبه القارة الهندية

يضرب بها المثل فى الحب والايثار والوفاء مثل **اساطير** "مجنون ليلىٰ

"فى العربية و "شيرين وفرهاد " بالفارسية وغيرها، مترجم.

(٢) تذكره علماء اهل السنة (كانپور/الهند ص ١٠٠ عام ١٣١٩ هـ/

محمود احمد القادري.

(٣) المبين/ السيد سليمان اشرف البهارى ١٦٦ طبع المجمع الاسلامى

بمباركفور الهند.

(٤) المبين/ ص ١٧٩. (٥)المصدر نفسه ص ٥٣.

(٦)المبين/ ص ٢١٨. (٧) ينظر المبين ص: ٧٠

(٨) ينظر المبين ص: ٧١ (٩) ينظر المبين ص:٧٧

(١٠) ينظر المبين ص:٦٧

(١١) نفس المصدر

(١٢) نفس المصدر ص ٨٩

(١٣) مقالات الشيروانى لمولانا حبيب الرحمن خان الشيروانى، عليجره

الهند فى المبين ص ٢٦٨ عام ١٩٤٦.

(١٤) انظر: المبين : ص ١٤٨

(١٥) ينظر المبين ص ١٩٠

(١٦) ينظر المبين ص: ١٩٠

(١٧) ينظر المبين ص: ١٩٢

(١٨) ينظر: گنج هائے گراں مایه تألیف رشید احمد صدیقی طبع لاهور
ص ٤١۔

الباب الثانى

***

نظرة على حياة جرجى زيدان الإبداعية

*****

الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية
دراسة تحليلية

****

الفصل الأول

نظرة على حياة جرجى زيدان الإبداعية

تعد حياة جرجى زيدان نموذجاً للعصامى الذى يشق حياته وسط طريق مبلد بالغيوم ملئ با لثغرات، فيجتاز ذلک بالهمة العالية والإرادة الصلبة، والتطلع إلى المعالى، لا يصرفه عن ذالک فقر حل به أو ظروف معاكسة أو بيئة غير مؤاتية، ياتى إلى القاهرة فقيرا لا يملک من الدنيا شيئاً فيصنع لنفسه حياة عريضة وشهرة واسعة فى ميدان الصحافة والأدب والتاريخ. (١)

المولد والنشأة

ولد جورجى زيدان فى بيروت ١٥ من جمادى الأخرى ١٢٤٨هـ المصادف ١٤/ من ديسمبر ١٨٦١م لأسرة مسيحية فقيرة (٢) ، كان رجلا أميا يملک مطعما صغيرا كان يتردد عليه طائفة من رجال الأدب واللغة، وطلاب الكلية الأمريكية، ولما بلغ الخامسة أرسله والده إلى مدرسة متواضعة ليتعلم القراءة والكتابة وعلم الحساب، حتى يستطيع مساعدته فى إدارة المطعم وضبط حساباته ثم التحق بمدرسة مسائيه تعلم فيها الانجليزية. (٣)

ولم تشغله هذه الأعمال والظروف المادية الصعبة عن القراءة وكسب المعرفة، فقد كان يبدئ منذ صغره ميلا قويا إلى المعرفة وشغفا بالأدب على وجه الخصوص وتوثقت صلته بعدد كبير من المتخرجين فى الكلية الأمريكية، ورجال الصحافة وأهل اللغة والأدب، من أمثال يعقوب صروف، وفارس نمر، وسليم البستانى وغيرهم، وكان هؤلاء يدعونه إلى المشاركة فى احتفالات الكلية ، فهفت نفسه إلى الالتحاق بها مهما كلفه الأمر ، و بذل من جهد ومشقة، فترک العمل نهائيا سنة ١٢٩٩هـ المصادف ١٨٨١م وانكب

على التحصيل والمطالعة راغبا فى الالتحاق بمدرسة الطب عاما كاملا، تركها إلى مدرسة الصيدلة (٤).

الهجرة إلى القاهرة ورحلاته الأخرى:

جاء فى دائرة المعارف الاسلامية: " ولم يتلق (جرجى زيدان) تعليما منتظما وإنما علم نفسه بنفسه فى جميع فروع المعرفة تقريبا، وقضى زمنا فى كلية البر وتستانت حيث نال إجازة الصيدلة" (٥) ثم اعتزم جرجى زيدان الهجرة إلى مصر ليتم بها دراسة الطب ، ولم يكن معه ما يكفى نفقات السفر، فاقترض من جار له ببيروت ستة جنيهات على أن يردها إليه حينما تتيسر له الأحوال، ولما نزل القاهرة فى ذى الحجه ١٣٠٠هـ المصادف اكتوبر ١٨٨٣م صرف عزمه عن الالتحاق بمدرسة الطب لطول مدة الدراسة، وأخذ يبحث عن عمل يتفق مع ميوله، فعمل محررا فى صحيفة "الزمان" اليومية لمدة سنة أو نحوها وكان يملكها ويديرها رجل ارمنى الأصل يدعى "علكسان صرافيان" (٦)

وكانت صحيفة الزمان الجريد اليومية الوحيدة فى القاهرة بعد أن عطل الاحتلال الانجليزى صحافة ذلك العهد ، وبعد نحو عام عين مترجما فى مكتب المخابرات البريطانية بالقاهرة عام ١٣٠١هـ المصادف ١٨٨٤م ورافق الحملة الانجليزيةالتى توجهت إلى السودان لانقاذ القائد الانجليزى " غوردون" من حصار المهدى وجيوشه ودامت رحلته فى السودان عشرة أشهر ، عاد بعدها إلى بيروت فى سنة ١٣٠٢هـ يصادف ١٨٨٥م (٧)

وجاء فى دائرة المعارف الاسلامية: "وأقام (جورجى زيدان) فى لندن اقامة قصيرة (عام ١٨٨٦) استقر بعدها نهائيا فى القاهرة ، حيث قضى بضع سنوات فى التدريس والاشتراك فى تحرير صحيفة

"المقتطف" واقتصر نشاطه الأدبى على مصر فيما عدا رحلتيه إلى أوربا (١٨٨٦ و ١٩١٢م) ولم تتسن له زيارة تركيا إلا بعد الثورة ، وذلك لبعض الأسباب السياسية، وزار استانبول عام ١٩٠٨ وفلسطين عام ١٩١٣" (٨)

العودة إلى بيروت وتاليفه الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية

وفى بيروت انضم إلى المجمع العلمى الشرقى الذى أنشئ فى سنة ١٢٩٩هـ المصادف ١٨٨٢م للبحث فى العلوم والصناعات والافادة منها، بما يعود على البلاد بالنفع والخير، وتعلم اللغتين العبرية والسريانية، وهو ما مكنه من تاليف أول كتبه "فلسفة اللغة العربية" سنة ١٣٠٣هـ المصادف ١٨٨٦، و"هو يعد أول جهد واضح بذل فى تطبيق مبادئ فقه اللغة المقارن على اللغة العربية ، وإن كان غير عميق التناول ، وهو ما جعله يعيد فى النظر مرة أخرى، ويعود إليه منقحا ومعدلا فى طبعة جديدة أصدرها بعد ذلك فى سنة ١٣٢٢من الهجرة المصادف ١٩٠٤ الميلادى بعنوان تاريخ اللغة العربية" (٩)

الاستقراربالقاهرة

استقر جرجى زيدان بالقاهرة، وتولى عقب عودته من لندن إدارة مجلة " المقتطف" وظل بها عاما ونصف العام، وقد قدم استقالته من المجلة سنة ١٣٠٦من الهجرة المصادف ١٨٨٨ الميلادى، ليشتغل بتدريس اللغة العربية بالمدرسة " العبيدية الكبرى" لمدة عامين (١٠) ثم تركها ليشترك سنة ١٣٠٩ هـ المصادف ١٨٩١م مع نجيب متري فى انشاء مطبعة، ولم تستمر الشركة بينهما سوى عام. انقضت بعده، واحتفظ جرجى زيدان بالمطبعة لنفسه ، وأسماها مطبعة "الهلال" على حين قام نجيب

متري بإنشاء مطبعة مستقلة باسم مطبعة المعارف، ثم أصدر جرجى زيدان فى سنة ١٣٠٤هـ المصادف ١٨٩٢ الميلادى مجلة الهلال (١١) وكان يقوم بتحريرها بنفسه إلى أن كبر ولده "إميل" وصار مساعده فى تحريرها.

نشاطه الفكرى:

يقول الأستاذ انور الجندى " قضى جرجى زيدان ثلاث سنوات أو أربعا بعد تركه المدرسة لم يقرأ كتابا ولا استفاد كلمة حتى أوشك أن ينسى ما تعلمه فى المدرسة ، غير أن صديقه " خليل" كان زميلاله منذ أيام الدراسة قد التقى به، فغير سبيل حياته" (١٢) وكتب جرجى زيدان فى مذكراته فى الهلال والتى نشرت عام ١٩٥٥ " وقد أفادنى خليل" أنه كان يحفظ أشعاراً كثيرة ، ويحسبنى أحفظ شيئاً ، فكان يقول البيت من شعر المتنبى أو ابن الفارض وهو يعجب به، ويتوهم أنى فهمت معناه، وكان ذلك جديداً عندى، ولد لى التفكير فى معانى الشعر، فصرت أقرأ وأفسر، وازداد كل يوم رغبة فى قراءة الأشعار، لأن تفهم معانيها كان يزيد رغبتى فى مطارحتها ..." (١٣)

وهكذا كانت المطارحة أول خطواته الثقافية، حببته الشعر فى المطالعة، فاقتنى ديوان المتنبى وابن الفارض وهما رائجان فى بيروت " فقد أخذت أقرؤهما واتمعن فى معانى ما أقرؤه ، فإذا وفقت لفهم بيت من الأبيات الغامضة لذلى ذالك كأنى فتحت بلدا أو لقيت كنزا" (١٤) ولكنه ماكاد يتعلم اللغة الانجليزية حتى تحول عن هذاالاتجاه العاطفى وبدأ الطريق العلمى.

وبدأ الاتجاه العلمى فى نفس جرجى زيدان فى هذا السن الباكر فى صورة تاليف قاموس للغة الانجليزية والعربية ، يقول فى

مذكراته " وقد مضيت فى هذاالعمل إلى حرف (E) ثم مللت وحق لى الملل ، لأنى كنت قليل المعرفة باللغة، فلما توقفت عن العمل حزنت حزنا شديدا إذ سبق إلى ذهنى أنى خلقت ضعيف العزيمة، قليل الهمة ، وتشاءمت أن لا أعمل وأصبر عليه حتى يتم" (١٥)

كان جرجى زيدان متمكنا من اللغتين الانجليزية والفرنسية إلى جانب اللغة العربية ، واسع الاطلاع بها، وبخاصة فيما يتصل بالتاريخ والأدب العربيين، واتجهت مؤلفاته الأولى نحو هذاالمضمار، وإن مالت نحو الدراسات التاريخية، فأصدر فى سنة ١٣٠٧هـ المصادف ١٨٨٩م كتاب "تاريخ مصر الحديثة" فى مجلدين ، و "تاريخ الماسونية" والتاريخ العام " وهو موجز فى تاريخ قارتى آسيا وافريقيا، ثم توالت كتبه " تاريخ انجلترا " و " تاريخ اليونان والرومان" و " جغرافية مصر" و"طبقات الأمم" وغيرها، بيد أن هذه المصنفات لم تلق نجاحا كبيرا، وفى عام ١٨٩١ ظهر ت روايته التاريخية الأولى " المملوك الشارد" (ترجمها إلى الألمانية مارتن تيلو MARTIN THILO بارمن فى عام ١٩١٧) ، ثم شرع عام ١٨٩٢ فى نشر مجلة الأدبية " الهلال" وقد ارتبطت حياته ارتباطا وثيقا بهذه المجلة منذ ذاك إلى حين وفاته المبكرة مساء يوم الثلاثاء ٢٧/ من شعبان عام ١٣٣٢ من الهجرة المصادف٢١/ من يونيو عام ١٩١٤. (١٦)

مجلة الهلال

وقد صدر العدد الأول من المجلة فى ربيع الأول عام ١٣١٠ من الهجرة المصادف ١٨٩٢م يحمل افتتاحية بقلم جرجى زيدان ، أوضح فيها خطته وغايته من إصدارها ، وقد عكف على تحريرها بنشاط لفتت اليه الأنظار، وكان ينشر فيها كتبه على هيئة فصول

متفرقة، جاء فى دائرة المعارف الاسلامية: " كان زيدان جم النشاط عارمه ولم يقتصر ذلک على كتابة جلّ مقالات هذه المجلة، بل كان يكتب فى كل عام رواية جديدة، ويصدر مجلدا ذاصبغة تعليمية شعبية، وأضحى "الهلال" أوسع المجلات العربية انتشارا، واشتهر اسم زيدان بوصفه روائيا ومؤرخا لا فى الأمم التى تتكلم العربية فحسب بل فى الشرق الاسلامى بأسره"(١٧) وقد مد الله فى عمر هذه المجلة حتى تجاوزت قرنا من الزمان، وكان يكتب فيها عمالقة الفكر والأدب فى مصر والعالم العربى، ورأس تحريرها على مدى حياتها المديدة كبارالكتاب والأدباء، من أمثال الدكتور احمد ذكى، والدكتور حسين مؤنس ، والدكتور على الراعى والشاعر صالح جودت وغيرهم.(١٨)

الروايات التاريخية

اشتهر جرجى زيدان برواياته التاريخية الشهيرة التى بدأ برواية " المملوک الشارد" التى صدرت فى سنة ١٣٠٩هـ ، ١٨٩١م ، ثم تتابعت رواياته ، حتى بلغت اثنين وعشرين روايته تاريخية ، منها سبع عشرة رواية تعالج فترات من التاريخ الاسلامى ، تمتد من الفتح الاسلامى إلى دولة المماليک ، مثل " ارمانوسة المصرية" و " غادة كربلاء" و "فتح الأندلس" و "العباسة أخت الرشيد" و "الأمين والمامون" و " شجرة الدر" و "استبداد المماليک"

وقد لقيت هذه الروايات رواجا واسعا وإقبالا هائلا، وقد طبعت بعض هذه الروايات عدة طبعات ، وترجمت معظمها طبعت تقريبا إلى الفارسية والتركية والهندية والآذر بيجانية وإلى اللغات الأوربية والشرقية عدا ترجمة تيلو THILO " (١٩) وجاء فى دائرة المعارف الاسلامية : "وتنحصر الأهمية الكبرى لهذه

المصنفات فى أنها بسطت التاريخ ، وقد كتبت بأسلوب سهل سلس، طبعها بطابع شائق طلى، بيد أن هذه الروايات لا تروق كثيرا فى نظر الذوق الأدبى الأوربى ، ذلك أن اسلوب انشاءها عتيق وعاطفى بعض الشئي" (٢٠)

أما من حيث المضمون فلم يلجأ جرجى زيدان إلى الفترات المشرقة من التاريخ الاسلامى ، بل اتجه إلى الفترات التى تمثل صراعا بين مذهبين سياسيين ، أوكتلتين متصارعتين على السلطة والنفوذ، ولم يتجه إلى التاريخ الاسلامى لإبراز أمجاده، وكان متأثرا فى ذالك بنظرة المؤرخين الغربيين إلى العالم الاسلامى، ويأتى فى روايته ذكر "الدير" بصورة مفتعلة وذلك لميوله إلى النزعة المسيحية، وعلى الرغم من ذلك فإنه يعد المؤسس لهذاللون من الروايات التى تجمع بين التعليم والتسلية والتاريخ - (٢١)

أهم كتبه

يعد كتابة "تاريخ التمدن الاسلامى" الذى صدر فى خمسة أجزاء فى الفترة من (١٣٢٠...١٣٢٤هـ المصادف ١٩٠٢...١٩٠٦) من أهم مصنفاته التاريخية الكثيرة جمعا وقد بناه على المصنفا ت الأوربية المشهورة التى وضعها سديو SEDILLOT و كريمر KREMER وجولد سيهر GOLDZIHER وغيرهم، وقد أضاف إليه كثيرا من المعلومات استقاها من المصادر العربية، وأكمله بما يعرفه عن الحياة الحديثة فى الشرق، وكان كتابه هذا عملا جليلا من الطراز الأول فى نظر البلاد الاسلامية، ولذالك كان من الطبيعى أن يترجم إلى لغات أخرى (٢٢) بل إن الدراس الأوربى كثيرا مايجد فيه تفصيلات لا يجدها فى مكان آخر(٢٣)

وقد أثار الكتاب عند ظهور أجزائه الأولى نشاطا واسع المدى، فى أبحاث التاريخ الاسلامى، وأقبل عليه الناس ، وكانت الجامعة المصرية قد قامت وامتلأت قاعاتها بالطلاب، فانتهت إلى مكانة جرجى زيدان وسعة علمه، فدعته إلى إلقاء سلسة من المحاضرات فى التاريخ الاسلامى، لكن حالت الظروف دون القيام بهذاالعمل فى الجامعة (٢٤)

ويعد كتابه " تاريخ آداب اللغة العربية" الذى صدر فى أربعة أجزاء فى الفترة (١٣٢٩ -- ١٣٣٢ من الهجرة المصادف ١٩١١ -- ١٩١٤م) من أهم المراجع للمشتغلين بتاريخ الأدب العرب فى عصوره المختلفة، وكانت فكرة تاليف هذاالكتاب قد شغلته منذ وقت مبكر، فنشرفصولا فى مجلة الهلال سنة ١٣١٢هـ ، ١٨٩٤م تحت هذاالعنوان ، ثم وسعها حتى جعل منها كتابا مستقلا، وجاء فى دائرة العارف الاسلامية : "وكان المصنف اول كتاب بالعربية ترسم المبادئ الأوربية، وقد بنى زيدان مصنفه على أساس كتب بروكلمان (BROCKELMANN) وإيوار HUART وغيرهما. (٢٥)

وكذالك استخدم المجموعات المصرية من المخطوطات، وأخرج من هنا وهناك مواد جديدة للعلماء الأوربيين ، على أن استخدامه للمصادر الأوربية لم يخل دائما من النقد، كما تدل على ذالك انتقادات شيخو (٢٦) أما المجلد الرابع من هذاالكتاب فهو اهم المجلدات فى نظرالعماء الأوربيين، فهو يعرض الأدب العربى فى القرن التاسع عشر عرضا جميلا.

ومن مصنفاته الأخرى ما يلى: "علم الفراسة" و "طبقات الأمم" وعجائب المخلوقات" ووصف رحلته إلى أوربا ، وقد ترك "مذاكرات" نستطيع الحكم على عظم طرافتها.(٢٧)

آراءه بين عرض ونقد

يقول محمد فريد وجدى وهو يصور مكانة جرجى زيدان كرائدٍ فى ميادين ثلاثة ، وهى التاريخ والأدب واللغة ، "لو قدرلى أن أعددالأفلاذ الذين نشأوا وأفادوابكتاباتهم وأرائهم لرأيتنى مضطراً أن اضع جرجى زيدان فى مقدمتهم " (٢٨) وقد كتب جرجى زيدان فى تطور اللغة وما دخل عليها من ألفاظ ومصطلحات وساهم فى تجديدها بنصيب كبير، وزيادته فى القصة التاريخية لا تقل عن هذه الأعمال الثلثة الكبرى، وقد أجمع عى هذالرأى عدد من الكتاب من مؤرخى الأدب عن هذه الفترة.

يقول أحمد حسن الزيات : "لزيدان شرف الزيادة لمنتجعى الأدب ، أوفضل السبق إلى فن القصة، وحسن القدوة فى مهنته الصحافة"(٢٩) ويرى مصطفى لطفى المنفلوطى : "أن جرجى زيدان كان رئيس البعثة التعليمية السورية التى وفدت إلى مصرفى أواخر القرن الماضى ، فغيرت وجه العالم المصرى تغييرا كبيرا وغرست فى صحرائه القاحلة المجدبة أغراس الجد والعمل والشجاعة والإقدام، والهمة والاستقلال. (٣٠)

ومع هذا كله فلم يكن زيدان بالباحث المتكبر، بيد أنه كان رائدا بالنسبة إلى البلاد التى تتكلم العربية والعارفة بطرائق الأوربيين، فقد يسرلنا الرجوع إلى مواضيع كثيرة ، وبين أن كل عربى يجب عليه الاهتمام بتقدم أساليب الأوربيين الفنية وعلومهم الرياضية، فضلا عن اهتمامه بتاريخه وأدبه (٣١)

ولم يكن زيدان من أصحاب الأفكار الثورية فى الميدان العقلى، وانما كان ذاخلق رفيع نبيل ، وكثيرا ماكان يوجه النقد المر إلى مصنفاته (٣٢)

واذكر فيما يلى نموذجا من انتقادات بعض العلماء من الهند على مؤلفات جرجى زيدان وآرائه وأفكاره ، يقول العلامة شبلى النعمانى فى انتقاداته على تاريخ التمدن الاسلامى:

"جرجى زيدان هو مؤلف مسيحى قام بتأليف كتاب اسماه " تاريخ التمدن الاسلامى" بأربعة أجزاء، يتحدث عن ثقافة المسلمين وحضارتهم وتقاليدهم وعاداتهم، وابدى أثناء سرده لأحداث ووقائع التاريخ بغضه الشديد وتعصبه ضد المسلمين ، ولكن أسلوبه ينم عن ثناء عليهم فى الشكل لا فى المضمون، وهذا ما نتج عن أن المسلمين ما انتبهوا إلى ما سعى إليه من تشويه وتدليس ، وبالتالى شاع رواج الكتاب فى الأوساط العامة والخاصة على السواء (٣٣)

وذهب شبلى نعمانى فى إثبات ما ذهب إليه من نقدٍ لاذع له قائلا: إنه من المعلوم فى أوساط العلماء والكتاب الغربيين انهم إذا أرادوا اشاعة قصة أو حدثا غريبا فانهم لا يؤلفون كتابا خاصا بالموضوع، بل يكتبون رواية ويأتون بافتراضاتهم وافتعالاتهم أثناء تلك الرواية فى مواضيع عدة بأساليب تتسم باللطف والإمتاع. وإن جرجى زيدان أيضا تبنى نفس الاسلوب من خلال تاليفه هذاالكتاب، وفيما يلى أهم اهدافه المسعورة:

(الف) احتقار الأمة العربية وذمهم.

(ب) إن خلفاء العصرين (الأموى والعباسى) كانوا يسيؤن إلى الدين الاسلامى ، والدليل عليه أن الخليفة المنصور قد أنشأ كعبة فى بغداد، وأطلق عليها اسم "القبة الخضراء" كما أن الخليفة المعتصم بالله قد قام بتأسيس الكعبة والصفا والمروة فى سامراء.

(ج) إثارة الاعتراضات عامة ضد المسلمين.(٣٤)

ويقول العلامة شبلى النعمانى فى توجيه انتقاداته إلى مؤلف الكتاب: لو أن كاتبا سعى نحو ابراز آراءه وهراءاته هذه لم يلتفت إليه الأنظار، ولم تلق مساعيه الحفاوة والتقدير، وهذا ما دفع جرجى زيدان إلى التستر وراء الأحداث التاريخية المنتقاة من صفحات التاريخ الاسلامى ، وبالتالى قد تسرب هذالسم الفاتک فى أجساد الأمة الإسلامية قاطبة.(٣٥)

ويقول أيضا: فالأساليب والمناهج التى سلكها المصنف لاثبات إدعاءاته هى عبارة عن:

(١) الكذب الصريح الذى لا يمت إلى الواقعية بصلة.

(٢) الغش والخيانة فى عملية نقل الروايات التاريخية.

(٣) إضفاء أمر مفتعل فى حادث أو قصة صريحة، يغير المفهوم تماما.

(٤) الاستنتاجات والاستنباطات الزائفتين (٣٦)

أما العلامة سيد سليمان أشرف رحمه الله فقد ألف كتابا مستقلا فى الرد على آراءه وادعاءاته ، وسماه "المبين" سبق أن أضواء بنوع من التفصيل على محتوياته فى الصفحات الماضية

ويقول الدكتور ملک زاده منظور أحمد فى ذكر جرجى زيدان: "قد استلهم معظم آراءه وأساليبه فى الكتابة والانشاء من المستشرقين الغرب ودراساتهم وافتراضاتهم، فهو يقلدهم فى أصول البحث والتحقيق واستنباط الأحكام كل التقليد، وهو يسعى نحو إثبات الآراء والأفكار التى تبناها علماء الغرب فى مجالات تاريخية وعقائدية بواسطة إيجاد شاهد على ما ذهب إليه ، مستخدما جميع وسائل الغش والتحريف فى شرح النصوص ، لا يتطرق إلى خلد القارئ العادى، ومما لا شک فيه أن لديه المام تام وخبرة واسعة

لمصادر التاريخ ومظان العلوم الاسلامية، لكنه يتحاشى كثيرا عن التصريحات ذات الصلة، لعل عصبيته المسيحية تردعه عن التصدع بالحق" (٣٧)

ونظرا لهذه الأسباب الواقعية لم يكن المسلمون المحافظون ليرضوا بأن يعمد زيدان وهو الكاتب المسيحى إلى الخوض فى موضوعات اسلامية بحتة، و"يتجلى ذالك بأجلى بيان فى الهجمات التى تعرض لها عند ما عرض عليه منصب الأستاذية فى الجامعة المصرية" (٣٨)

أما المتعصبون للغة العربية وسلامتها من امثال ابراهيم اليازجى فقد انتقدوا لغته وأسلوبه انتقاد من يتصيد الأخطاء.

وفاته:

كان جرجى زيدان يعمل بانتظام شديد ، وبعزيمة قوية، ينكب على القراءة والتدوين ست عشرة ساعة متوالية فى اليوم ، متكفيا من النوم بأربع ساعات فى أخريات حياته، يسابق الزمن فى انجاز أعماله الضخمة، ووافته المنية وهو بين كتبه وأوراقه فى مساء يوم الثلاثاء ٢٧/ من شعبان ١٣٣٢ من الهجرة المصادف ٢١/ من يونيو عام ١٩١٤ الميلادى، وقدرثاه كبار الشعراء من أمثال شوقى وحافظ ابراهيم وخليل مطران بقصائد مبكية.

الحواشى والهوامش

(١) ينظر : جرجى زيدان منشئ الهلال ، تاليف انور الجندى ، ط القاهرة ص ١١/ ١٢/ ملخصا، ومقدمة الكتاب جرجى زيدان تاليف: محمد عبد الغنى حسن طبع، الهيئة المصرية العامة للتاليف والنشر، القاهرة ١٩٩٧م

(٢) جرجى زيدان تاليف انور الجندى ص ١٤ط مكتبة الانجلو المصرية، وينظر : دائرة المعارف الاسلامية المجلد الحادى عشر، ط: دارالمعرفة بيروت، ص ٥، ح ١١ مادة ز، س.

(٣) المصدر نفسه

(٤) ملخصا عن مقدمة النثر العربى فى مأة عام تاليف انور الجندى ص ٦٥طبع ، القاهرة.

(٥) دائرة المعارف الاسلامية ج ١١ مادة ز، س ص ٥ ، طبع، دارالمعرفة ، بيروت.

(٦) يراجع: جرجى زيدان تاليف: الأستاذ انور الجندى ص ١٤ طبع مكتبة الانجلو المصرية، وينظر فى : دائرة المعارف الاسلامية ج ١١ مادة: ز،س، ص ٥ طبع: دارالمعرفة ، بيروت.

(٧) المصدر نفسه.

(٨) ينظر دائرة المعارف الاسلامية المجلد الحادى عشر ص ٥

(٩) ينظر : مقد مة "الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية " الطبعة الثانية ١٩٠٤ ، أيضا دائرة المعارف الاسلامية ج ١١ ص ٥، ط بيروت.

(١٠) جرجى زيدان تاليف انور الجندى ص ٤١ طبع مكتبة الانجلو المصرية .

(١١) دائرة المعارف الاسلامية ج ١١ ص ٦، وينظر جرجى زيدان تاليف انور الجندى ص ٦٥ طبع مكتبة الانجلو المصرية.

(١٢) جرجى زيدان تاليف انور الجندى ص ١٧

(١٣) مذكرات جرجى زيدان المنشورة فى الهلال عام ١٩٥٥ نقلا عن جرجى زيدان تاليف : انور الجندى ص ١٧

(١٤) المصدر نفسه

(١٥) المصدر نفسه ص ١٨

(١٦) ملخصا عن دائرة المعارف الاسلامية طبع دارالمعرفة بيروت، ج ١١ مادة ز،س، ص ٦. وينظر مرأة العصر فى تاريخ ورسم أكابر العصر ، تاليف الياس زاخوره ، طبع القاهرة عام ١٩٩٧م

(١٧) صفوة العصر فى تاريخ ورسوم مشاهير رجال العصر تاليف زكى فهمى، طبعة مصورة لمكتبة مدبولى، القاهرة ١٩٩٥، وينظر جرجى زيدان تاليف محمد عبد الغنى حسن طبع القاهرة عام ١٩٨٠م وأيضا جرجى زيدان تاليف انور الجندى طبع مكتبة الانجلو المصرية ص ٦٤،٦٦ .

(١٨) انظر: ترجمة رواية " العباسة اخت الرشيد " مع مقدمة كلود فارير (CLAUDE FARRERE) باريس ١٩١٢، و " الله ساهر" باريس ١٩٢٦م

(١٩) دائرة المعارف الاسلامية ج ١١ ص ٦طبع دارالمعرفة، بيروت.

(٢٠) ملخصا جرجى زيدان تاليف محمد عبد الغنى حسن طبع الهيئة المصرية العامة للتاليف والنشر. القاهرة ١٩٧٠م.

(٢١) انظر BOUVAT فى .J.A، المجموعة ١٠ ج ١٩ ١٩١٢ ص ٤٠١ ، ٤٠٢ .

(٢٢) انظر : ده عوى DE GOEJA ، المجموعة ١٠ ، ج ٣، ص ١٩٠٤، ٣٥٦ ـ ٣٥٩

(٢٣) انظر : G.M.S ج ٤ ، ليدن ١٩٠٧م ، وينظر : دائرة المعارف الاسلامية ج ١١ ط دارالمعرفة، بيروت، مادة ز، س.

(٢٤) دائرة المعارف الاسلامية ج ١١ ص ٨ وأيضا جرجى زيدان تاليف انور الجندى ص ٦٥

(٢٥) المصدر نفسه

(٢٦) ينظر: المشرق، ج ١٤، ١٩١١ ص ٥٨٢ ـ ٥٩٥، ج ١٥ ١٩١٢ ص ٥٩٧ ـ ٦١٠، ج ١٦ ١٩١٣ ص ٧٩٢ ـ ٧٩٤ وينظر : انتقادات الأب فى لغة العرب ج ١ ١٩١٢ ص ٣٩٢ ـ ٣٩٧، ج ٢، ١٩١٢ ص ٥٢ ـ ٦٢ و ١٣٩. ١٤٦ و ٢٠٥ ٢٠٩، أيضا ج ٤ ١٩١٤ ص ٨٢ ـ ٩٠ أنظر أيضا فى أوقات الفراغ لمحمد حسين هيكل القاهرة ط ١٩٢٥ ص ٢٢١ ٢٤٧.

(٢٧) دائرة المعارف الاسلامية ج ١١ ص ٧، و جرجى زيدان تاليف انور الجندى ص ٢٦.

(٢٨) جرجى زيدان تاليف انور الجندى ص ٨٠

(٢٩) نفس المصدر

(٣٠) أيضا.

(٣١) ينظر : دائرة المعارف الاسلامية ج ١١ مادة ز،س،ص٧ طبع دارالمعرفة، بيروت.

(٣٢) انظر مثلا : بئس الهذيان من تاريخ جرجى زيدان لأمين المدنى بجائى ١٣٠٧هـ و "البرهان فى انتقاد رواية عذراء قريش" ليوسف طبشى : طبع القاهرة ١٩٠٠ م وخاصة انتقاد كتاب تاريخ التمدن الاسلامى لشبلى النعمانى القاهرة ١٣٢٠ وكتاب المبين ، للعلامة سيد سليمان أشرف طبع جامعة على جره الاسلامية عام ١٩٢٨م.

(٣٣) مقالات شبلى النعمانى ج ٤ ص ١٨٩، طبع دارالمصنفين اعظم

جره ١٩٨٥م

(٣٤) المصدر نفسه ص ١٩٠

(٣٥) المصدر نفسه

(٣٦) المصدر نفسه

(٣٧) مولانا ابواالكلام آزاد فكر وفن تاليف الدكتور ملک زاده منظور

احمد ص ١١٦. مطبع نظامى بريس لكنؤ لعام ١٩٧٦.

(٣٨) دائرة المعارف الاسلامية ج ١١ ص ٨ مادة ز، س طبع دارالمعرفة.

الفصل الثانى
الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية
دراسة تحليلية

علم اللغة أو الفلسفة اللغوية -- كمااسماه جرجى زيدان- علم حديث نوعا، لقد ظهر علم اللغة الحديث فى مطلع القرن التاسع عشر، وكان مظهره فى صورة نحو تاريخى مقارن، ووضحت فى هذا القرن خصائص جوهرية للغات الرئيسية التى كانت تستخدمها الحضارات القديمة فى العالم القديم وتحدد ما بينها من صلة أو قرابة، وبالرغم مع ذلک فقد ظل علم اللغة على حاله فترة طويلة، وحوالى سنة 1870 الميلادى تأثر علم اللغة بنظريات "داروين" والعلوم الطبيعية، وأدخل علماء اللغة نذكر منهم "شليشر" على علم اللغة مناهج جديدة قائمة على أن طبيعة التغيرات اللغوية هى نفس طبيعة التغيرات المشاهدة فى العالم الطبيعى، بل ذهب بعض العلماء الى أن اللغات تتغير بفعل قوانين عمياء، وأخذ العلماء فى الكشف عن القوانين التى تخضع لها لغة الانسان فى تطورها وارتقاءها من حيث أصواتها وقواعد تصريفها وما الى ذلک.

وكان لزاما أن يصل العلماء فى تتبعهم لأصول اللغات ومراحل ارتقاءها إلى تعبير الانسان الأول، ومنشئها، والأسس التى قام عليها التخاطب بالأصوات ذات الدلالات الوضعية، وذهبوا الى أن الظواهر اللغوية لا تسير وفقا لارادة الأفراد أو المجتمعات أو تبعا للأهواء والمصادفات ..... وانما تسير وفقا لنواميس لا تقل فى ثباتها وصرامتها واطرادها وعدم قابليتها للتخلف عن النواميس الخاضعة لها ظواهر الفلک والطبيعة، فقد يكون فى استطاعة الفرد

أو فى استطاعة الجماعة اختراع لفظ أو تركيب، ولكن بمجرد أن يلقى بهذا اللفظ أو بذاك التركيب الى التداول اللغوى، وتتناقله الألسنة يفلت من ارادة مخترعه، ويخضع فى سيره وتطوره وحياته لقوانين ثابتة، لايستطيع الفرد ولا الجماعة الى تعويقها أو تغييرها سبيلا، وبالتالى، فليس فى قدرة الأفراد أو الجماعات أن يقفوا تطور لغة ما، أو يجعلوها تجمد على وضع خاص، أو يحولوا دون تطورها على الطريقة التى ترسمها قوانين علم اللغة.

ونتج عن المناهج الجديدة التفريق الواضح بين فقه اللغة .. أى دراسة الوثائق المكتوبة ولغتها .. وبين علم اللغة الذى يبحث فى دراسة اللغة من حيث هى لغة، مكتوبة أو غير مكتوبة.

هذه هى النتيجة التى وصل اليها العلماء فى أواخر القرن الثامن عشر، والتى دفعت بجرجى زيدان حين استوعبها وألم بما كتبه العلماء على اختلاف ألسنتهم بهذا العلم، أن يقدمها الى أبناء العربية مطبقا عليها اللغة العربية.

فجاء كتابه فى طبعته الأولى سنة 1886، ثم فى طبعته الثانية سنة 1904، وفيها تحسينات واضافات، وفى الثالثة سنة 1923 دون تغيير، رسالة علمية رائعة، وظلت مدة طويلة المرجع الأول فى هذا العلم باللغة العربية.

وقد ذكر فى مقدمة الطبعة الثانية، موضوع هذا الكتاب البحث التحليلى فى: كيف نشأت اللغة العربية وتكونت، باعتبار أنها اكتسابية خاضعة لناموس الارتقاء العام" (١)

ثم ختم بحثه بكلمة تدل على اطالة فى العلم وخلق عالم كريم، قال: ان البحث فى علم اللغة لا يزال جديدا عندنا يحتاج الى تمحيص وانتقاد، فنتقدم الى أرباب الأقدام أن ينتقدوه ونستفلت انتباه أئمة

اللغة الى النظر فيه والتوسع فى موضوعه للانتفاع بنتائج أبحاثهم وثمار قرائحهم" (٢)

موضوع هذا الكتاب:

يقول جرجى زيدان متحدثا عن كتابه "الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية" "سنقتصر فى هذا الكتاب على بعض الملاحظات التى تراءت لنا أثناء مطالعتنا بعض العلوم اللغوية وهى تتعلق بالدرجة الثانية من العلوم اللغوية، أى فلسفة اللغة فى العربية، وربما أدخلنا بعض ما يتعلق بالدرجات الأخرى تعزيزا للبرهان" (٣)

وقسم موضوع الكتاب قائلا: "والموضوع يقوم بخمس قضايا ونتيجة، والقضايا هى:

(١)ان الألفاظ المتقاربة لفظا ومعنى هى تنوعات لفظ واحد.

(٢)ان الألفاظ المانعة الدالة على معنى فى غيرها، انما هى بقايا ألفاظ ذات معنى فى نفسها.

(٣) ان الألفاظ المانعة الدالة على معنى فى نفسها ، يرد معظمها بالاستقراء الى أصول ثنائية تحاكى أصواتا طبيعية.

(٤) ان ما يستعمل للدلالة المعنوية من الألفاظ وضع أصلا للدلالة الحسية ثم حمل على المجاز لتشابه فى الصور الذهنية (٤)

النتيجة:

أما النتيجة فيتحدث فيها عن أصل اللغة العربية، بأنها مؤلفة من أصول محصورة عدا، أحادية المقطع، معظمها مأخوذ عن محاكاة الأصوات الخارجية وبعضها عن الأصوات الطبيعية التى ينطق بها الانسان غريزيا.

اننى سأتناول بطرح ما جاء به من الآراء والنظريات بنوع من التفصيل فى كتابه "الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية" فى

الصفحات الآتية، وسأفرد البحث عن كل قضية من تلك القضايا الخمسة والنتيجة، ليتسنى الاطلاع على ما يحمل الكتاب فى ثناياه من اكتشافات واستنتاجات"

قد أفرد جرجى زيدان فى كتابه بابا، وعنوانه بـ"القضية الأولى: ان الألفاظ المتقاربة لفظا ومعنى هى تنوعات لفظ واحد" (٥) فذهب فى اثبات ما ادعاه قائلا: كثيرا ماأشار أئمة اللغة الى هذا النوع من الألفاظ، وقد ارتأوا فيه مذاهب شتى لا حاجة لسردها فى هذا المقام، أما الاستقراء والمقابلة فقد أثبتا أن هذا التقارب لم يكن عبثا، بل هو دلالة قوية على أن هذه الألفاظ ليست الا تنوعات أصل واحد، وأن هذه التنوعات قد حصلت بموجب ناموسين عظيمى الاعتبار هما: القلب والابدال" (٦)

فذكر أولا تعريف القلب فقال: هو عبارة عن تقديم أو تأخير أحد حروف اللفظ الواحد مع حفظ معناه، أو تعييره تغيراً طفيفا . . . ومن أمثلة قولهم بمعنى واحد: لطَمَ و لمَطَ، وذَبحَ وبَذَح، وبَعزَق وزَعبَق، والبهلق والبلهق (المرأة الحمراء جدا) وجَذَبَ وجَبَذَ، ورَفَأ وأرَفَ، وَتَبَرعَصَ وتَبعرصَ بمعنى اضطرب، وعَفلطَ وعَلفَطَ (خلط) وملج ولمج، وبَرشَقَ اللحم وشربقه بمعنى قطعه . . . ويقال: نضب الماء ونَبَضَ: غارَ، ولعَسَ ولسَعَ تدلان على نوع واحد من المعنى وهكذا فى ما بقى. (٧)

ذهب جرجى زيدان فى تبرير موقفه فى شأن بعض الألفاظ التى لا تدل على المعنى الأصلى مع اجراء عملية القلب عليها فى السابق اذ قال: ولا يخفى أن كثيرا من الألفاظ المقلوبة تخسر معناها الأصلى بالاستعمال فلا يمكننا الجزم بأنها مقلوبة" (٨)

وذكر سبب اجراء القلب فقال: أما سبب القلب فهو فى الغالب الميل لتخفيف اللفظ أو للتفنن فيه، ويحدث فى الغالب اعتباطا، ومثل ذلك كثير الحدوث بين عامتنا، فان معظمهم يقولون (رعبون) فى (عربون) و (أجر) فى (رجل)، وبعض أبناء اللغة يقولون (أطعى) بدلا من (أعطى) والسوريون ولاسيما البيروتيون يقولون (أجا) فى (جاء) الخ (٩)

وذكر المؤلف رأيه عن الابدال فبدأ بتعريفه، فقال: "وهو عبارة عن ابدال حرف من كلمة ما بحرف يقرب منه لفظا، وهو أعظم أهمية لأنه أوسع دائرة وأشد تأثيرا" (١٠)

وقال أيضا: ويحصل الابدال أيضا غالبا بين الحروف التى هى من مخرج واحد أو مخارج متقاربة" (١١)

يرى جرجى زيدان أن الحروف قابلة للابدال فى الاصالة، ويبرهن على ما ذهب اليه أن اللغات السامية وهى العربية والعبرانية والسريانية كانت لغة واحدة، تتكلم بها أمة تحت لواءٍ واحد وأنها بعد أن قدر للناطقين بها بالفراق أخذت تتنوع تبعا لمقتضيات كل فريق منهم، فوصلت الينا على ما نشاهدها وهذا الاختلاف قدجرى على ناموس الابدال، الى أن قال: "ويكاد يكون قياسيا بدليل ثبوت النسبة بين الأحرف المتبادلة" (١٢)

ويستدل على رأيه قائلا: نرى أنه اذا كان أحد مقاطع الألفاظ العربية (تاء) مثلا يكون فى مكانها فى العبرانية (شين) وبالسريانية (تاء) نحو (وثب) بالعربية فانها فى العبرانية (يشب) وفى السريانية (يثب) و (ثدى) فى العربية فانها (شدا) فى العبرانية، و(تدا)فى السريانية، واذا كان (ذالا) فى العربية كان (زايا) فى العبرانية، و(دالا) فى السريانية كذكر و(ركز) و (دكر)، والألف فى العربية

والسريانية هى هاء فى العبرانية مطلقا نحو (ما) الموصولة فى الأولين، فهى (مه) فى الأخيرة والغين العربية عين فيهما" (١٣)

وقد ذكر المصنف أن الابدال هذا لم يقتصر على اللغات السامية فحسب بل نتلمس هذه الظاهرة حتى فى لغات افرنجية أيضا، وكثيرا ما يقع هذا بين الحروف التى هى من مخرج واحد أو مخارج متقاربة، فيقول: ومن الأدلة على وقوع الابدال أيضا ما نشاهده فى العربية من الألفاظ المتقاربة لفظا ومعنى وهى كثيرة . . . منها قولهم: (بتک) و(بشک) بمعنى قطع، و(نتأ) و(نشأ) بمعنى واحد ، و(برتک) و(برشک) بمعنى بتک،... و(الجبيس) و(الضبيس) بمعنى الجامد الثقيل الروح الى.... آخره. وفى العربية من هذه الأمثال ما يكاد لا يقع تحت الحصر. (14).

وذهب المؤلف فى تعليل الكلمات والمفردات التى تم اجراء الابدال عليها الى أن اللغة فى أول أدوارها كانت تفتقر الى المفردات للتعبير، ولأنها لم تكن مدونة ومحدودة، وتبعا لذلک جرى عليه الابدال والذى نتلمسه فى كلمة "ثقيل" فى اللغة العامة بمصر، فانهم شقوا ثلاثة ألفاظ بالابدال، لكل منها معنى مستقل، فاللفظ الأصلى "ثقيل" بالثاء ومعناها معلوم ، و "سقيل" معنا "ثقيل الروح" و "ثقيل" ومعناها "ثقيل العقل أو الرزين".

كما استدل من ألفاظ العامة فى بيروت وسوريا، ومصر، اذ تختلف نبراتهم فى ألفاظ مختلفة مثل "قال" و"أعطى" و"ضل" وغيرها من الكلمات.

القضية الثانية فى بيان. أن الالفاظ المانعة الدالة على معنى فى غيرها انما هى بقايا ألفاظ ذات معنى فى نفسها.

يرى جرجى زيدان أن الألفاظ فى لغات كثيرة متفاوتة تهذيبا، وأنها تقرب من الدالة على معنى فى نفسها بقدر ما تبتعد عن الارتقاء والتهذيب، وتتوقف عملية الاستقراء على أدنى اللغات، فتوجد خالية من الأدوات والحروف على الاطلاق، ولكنها تستخدم بعض الأفعال أوالا سماء لقضاء وظيفتها، وايضاحا لهذه القضية ذكر بعض الأمثلة متدرجا من اللغات الدنيا الى اللغات الأجنبية المهذبة ثم اللغات الشرقية عموما وأخيرا العربية خصوصا، وهذه الأمثلة مبثوثة من الصفحة ٦٧ حتى نهاية ص ٧٠ وقال أخيرا: "فقد رأيت فى ما تقدم أن اللفظة الواحدة تحل الى لفظين فأكثر، وأنه بتركيب لفظين فأكثر يحصل لفظ جديد أقل أحرفا من مجموع أحرفها، وقد أشرت أن هذه الألفاظ تتحول الى لفظ واحد بالنحت" (١٠)

وذهب المؤلف الى ادعاء أن النحت ناموس فاعل على الألفاظ، وغاية ما يفعله فيها انما هو الاختصار فى نطقها تسهيلا للفظها، واقتصادا فى الوقت بقدر الامكان، وهذا الناموس لم تنج من فتكه لغة من لغات البشر أدناها وأسماها، بل قد جرى فيها على السواء من أول نشاتها، ولم يزل حتى الآن ولن يزال الى ماشاء الله، ولا يخفى أنه مهما كان من عظيم أمره وكيفما تنوعت طرق عمله ليس للانسان فى ذلك يد اختيارية، فالنحت جار فى الألفاظ عن غير قصد من الناطقين.

واستدل بأقوال العامة الشائعة فى البلاد العربية من أمثال "شيلون" و"ششمك" و"شو" و"شونوه" و"ايش" و"بدى" و"ليش" وغيرها. وذهب فى تحليل تلك الكلمات تحليلا لغويا، كما أنه تناول كثيرا من المفردات العامية المتداولة فى الوطن العربى بكامله،

ونتجت دراسته عن : "فلا تعجب اذا ذهبنا الى أن الألفاظ الدالة على معنى فى غيرها انما هى بقايا ألفاظ ذات معان فى نفسها، ولو تعسر علينا اسقراء جميعها"(١٦)

قد مر المؤلف مرا سريعا على اللغات الأجنبية ولغة العامة فذكر بعض الأمثلة وهى منشورة بين ص ٧٢ الى ٧٤ من الكتاب، وحاول تطبيق نظريته على العربية الفصحى أيضا، فقال: "ان الحروف المنطوية تحت هذه القضية هى أحرف الجر والعطف والمشبهة بالفعل والمشبهة بليس، وحروف الاستثناء والاستفهام والنواصب والجوازم والحروف المبنية وأحرف الزيادة" (١٧).

فيرى المؤلف أن "خلا" و"حاشا" الاستثناييتين وكذا "عدا" فانها مأخوذة من عدا يعدو أى: تجاوز وهكذا الحال فى "على" أما الباء من حروف الجر، والتى تأتى لأربعة عشر معنى: الالصاق والتعدية والاستعانة والسببية والمصاحبة والظرفية والبدلية والمقابلة والمجاورة والاستعلاء والتبعيض والقسم والغاية والتوكيد، فيرى فيها: "ومعلوم أنه لايمكن أن تكون جميع هذه المعانى أصلية فيها، . . . فنرى أن الباء لا تستعمل فى سائر تلك اللغات الا للظرفية فيرجح أن هذا الأصل فى دلالتها عندنا وما بقى من المعانى ليس الا تفننا عربيا" (١٨) ويضيف قائلا: نعلم بالإستقراء أن هذه الباء هى بقية كلمة ذات معنى مستقل هى "بيت" بدليل أن هذه الأخير مستعملة فى السريانية، بمعنى "فى" أو "بين" فيقولون: "بيت قبورا" أى: فى أو بين القبور، ولنا "بى" وهى حلقة موصلة بين "بيت" والباء قد وردت فى التلمود والترجوم بمعنى "فى البيت" وهى فى السريانية مجزوم، فيكون لنا اذن سلسلة تامة الحلقات وهى "بيت" ثم "بى" ثم "ب" فيرجح أن الباء هى بقية "بيت" ونظرا لو

ورد "بى" الكلدانية بمعنى الظرفية لا مانع من أن تكون "فى" العربية مقلوبة عنها. (١٩)

واللام كالباء تستعمل لمعان كثيرة، ومن المقابلة يتضح أن الأصل فى دلالتها الاضافة والقصد، أى أنها تتضمن معنى "الى" وهى تقوم مقامها فى العربية والسريانية، أما الكاف فيظهر من المقابلة أن الأصل فى مؤداها التشبية بدليل كونها هذا فى بقية اللغات الشرقية، ويرجح أن كاف التشبيه هى بقية أصل يقابل "أكن" بالعبرانية.

والواو تستعمل لماينيف على ٣٥ معنى جميعها ترد الى الاستعجاب والاستئناف وعليه يرجح كونها منحوتة من أصل حفظ فى العبرانيةوهو "وو" متعدٍ، مفاده: وصل، واستمر، أما الفاء فمقلوبة عن هذه الواو، لأن هذه الأخيرة تؤدى معنى كليهما فى العبرانية والسريانية، وهكذا بقية حروف الجر، وهكذا فيما بقى من الأدوات فقد ذهب المؤلف قائلا: "فان معظمها قابل الرد بالاستقراء الى أصلية ، بشرط اعتبار فعل النحت، وقابلية الألفاظ للتغيير، والتنوع دلالة ولفظا" (٢٠)

ونظر جرجى زيدان فى أمر أحرف الزياد، وهل هى بقية ألفاظ ذات معنى فى نفسها، فقال: "ان فائدة هذه الحروف محصورة فيما يحصل من الاشتقاق والتصريف فى الأفعال والأسماء، فتدخل عليها، وتنوع فى معناها تنويعا يختلف باختلاف ذلك الحرف: (٢١) وقبل الشروع فى استقراءها ذكر شيئا عاما يتعلق بأصل هذه الزيادة فقال: "ان الاشتقاق والتصريف حادثان فى اللغة، أعنى اذا تتبعنا البحث فى أحوال اللغات من أسماها الى أدناها نرى مميزات

المشتقات تقل فيها، حتى تنتهى الى لغات لا أثر فيها للاشتقاق مطلقا" (٢٢)

وقد استشهد بأقوال العامة أيضا فى اثبات ما ذهب اليه، فذكر "بعرف" بمعنى أعرف، و"تبعرف" بمعنى تعرف، و"بيعرف" بمعنى "يعرف" و"رايح أشرب" بمعنى أشرب، و"ماش" بمعنى ماشى، وغيرها من الكلمات العامية وهى موجودة بين ٨٧...٨٨ من الكتاب.

وأعاد دعواه قائلا: "فلا غرو بعد ذلك اذا حتمنا أن أحرف الزيادة انما هى بقايا ألفاظ مستقلة المعنى لو لم يتيسر لنا تتبع جميعها الى أصولها."

ويتحدث المؤلف عن الحروف الزائدة فى الأفعال وتصاريفها الأخرى، فيرى التاء فى تفعل، وتفاعل و "أت" فى افتعل، التى تدل على معنى المطاوعة، فيقول فيها: ان "ات" أو ما يماثلها من الألفاظ المطلقة لم تزل مستعملة فى العبرانية بمعنى (ذات) ولا تقع الا مفعولابها، وهى فى السريانية "يت" وفى العربية (ذات) مركبة مع (ذا) الاشارية، أما الأصل فقد فُقِد من لغتنا على ما يظهر" (٢٣)

ويذهب فى تعليل "افتعل" بأنه يرد الى ناموس القلب بسهولة، أما الألف والنون فى "انفعل" فاما أن يكون "ات" بعد الابدال كما سبقت الاشارة لتقارب المعنى بين (انفعل) و (افتعل) وذهب فى تعليل (استفعل) بأن "است" هى بقية فعل فقد من العربية وحفظ فى السريانية بمعنى مال وهو "سطا" حيث قلبت التاء طاءً فهم يقصدون بقولهم (استقتل) مال الى القتل.

وهناك من اشتقاقات الفعل اسم المفعول والفاعل واسم الآلة، والأصل فى هذه الميم على ما يظهر الدلالة الموصولية، وهى بقية (من) أو (ما) الموصولتين لأنها كثيرا ما وردت فى العبرانية.

أما المشتقات الفعلية ويراد بها المضارع فهو يصاغ باضافة أحد أحرف المضارعة، وهى الألف والنون والياء والتاء، فى أول الماضى وما هذه الحروف الا بقايا الضمائر المنفصلة، وما الى ذلك من آراء وتحريات نجدها مبثوثة بين ص ٨٩ الى ص ٩٨ من الكتاب، وقد ختم المؤلف هذا البحث قائلا: وسواء استطعنا تتبع جميع هذه الألفاظ الى أصلها أولا، ومهما يكن فى تعليلنا من الغرابة والتكلف، فذلك لا يمنع استدلال العقل بهذه الأمثلة القليلة حتى يحكم بالقياس على سائر اللغات" (٢٤)

القضية الثالثة فى أن الألفاظ المانعة الدالة على معنى فى نفسها يرد معظمها بالاستقراء الى أصول ثنائية (أحادية المقطع) تحاكى أصواتا طبيعة"

يقول جرجى زيدان فى مقدمة هذا الموضوع: "تشتمل هذه الألفاظ على الاسم والفعل ومايشتق منها، واللغويون يردون كلا من الاسم والفعل الى أصول معظمها ثلاثية وبعضها رباعية، ولا يرون هذه الأصول قابلة للرد الى أقل من ذلك، وعندى أنها قابلة ولو بعد العناء" (٢٥)

فيرى أن علماء اللغه قد أجمعوا مؤخرا على أن الأصول الرباعية هى ثلاثية مزيدة فى الأصل، وهذه الزيادة اما قياسية فتكون (سيناً) أو (شيناً) فى أول الكلمة والمزيدات تكون على وزن "سفعل" أو "شفعل" وهذا الوزن من جملة مزيدات الثلاثى فى اللغات الشرقية لكنه أهمل فى لغتنا، وما ورد منه عدواه رباعيا

مجردا، وأما السريانية فحفظته كباقى المزيدات، وهو كثير الورود فيها، ونادرا فى العبرانية، فمن الألفاظ التى وردت على هذا الوزن قولهم "سقلبه" أى: صرعه من قلبه و "سلغفه" بمعنى ابتعله بمعنى لغفه.

أما الأصول الثلاثية وهى الأكثر فى اللغة فقال فيها: "ان الثلاثى أيضا مزيد، والأصل فيه ثنائى غالبا: (٢٦) وإيضاحا لذلك قسم الأدلة الى قسمين: أولا: استقراء ألفاظ اللغة العربية ومقابلتها، ويفيد غالبا فى الأصول الفعلية.

يرى الباحث فى دلالة الألفاظ العربية المدعوة مجردة أن للمعنى الواحد ألفاظا عديدة تتقارب لفظا، ويمكن تقسيم ألفاظ المعنى الواحد الى مجموعات، تشترك ألفاظ كل مجموع منها بحرفين هما الأصل المتضمن المعنى الأصلى، والزيادة ربما نوعته تنويعا طفيفا، مثاله: قط، وقطب، وقطف، وقطع، وقطم، وقطل جميعها تتضمن معنى القطع الا أن كل واحدة منها لتنوع من تنوعاته، فالثانى والثالث يتضمنان مع القطع معنى الجمع، والخامس العض، والسادس الشدة، والأصل المشترك بينها قط، وهو بنفسه حكاية صوت القطع كما لا يخفى، ويرى أن "قط" يجانسه (قص) ومنها(قصم) و(قصل) و(قصب) و (قصر) و (قصف) جميعها تفيد القطع، ويجانس قصّ (قض) ومنها (قض) و (قاض)، و (قضم) و (قضب) و (قضع) وذكر هنالك أمثلة أخرى، حتى قال: "وتنوعات هذا المعنى تفوق المئات عدا، وقد تصرفوا فى استعمالها على طرق مختلفة حقيقة ومجازا، فكلها ترد بالاستقراء الى أصل واحد"

ثانيا: استقراء بعض أحوال اللغات الأجنبية وحملها بقياس التمثيل على لغتنا، ويعتقد المؤلف أن اللغة تكون فى أول نشأتها

أبسط أحوالها مؤلفة من ألفاظ قليلة العدد، كافية لتفاهم المتكلمين بها بالنسبة لبساطة احتياجهم، فاذا ارتقت أحوالهم واهتاجوا لى كلمات جديدة يعبرون بها عن معان لم تكن فى ذهنهم من قبل، ركبوا من الكلمات التى لديهم ما يسد حاجتهم، وذكر بضعة كلمات كان يطلقها سكان المكسيک القدماء وبعض هنود أمريكا ومن غرائب اللغة الصينية، وقال فيما بعد: "ومن المؤكد أن هذه الكلمات لم يمر عليها بعض السنين من وضعها حتى تصرف المتكلمون بها على طرق مختلفة، نحتا وابدالا وقلبا، بحيث لم يعد تمييزها سهلا" (٢٧)

وذكر المؤلف أن فى اللغة العربية ألفاظ تعد من أعرق الكلم فى العروبة، وما هى منها فى شيئ، من ذلک لفظ "النبى" بمعنى الرسول ونحوه، فقد شقها صاحب القاموس من "نبأ" وما فى معنى هذا الفعل ما يدل على النبوءة الا أن يقال بتجليه فى مستقاتها مثل: تنبأ، ونبأ، ونابأ، فان فيها معنى الاخبار، وذهب فى تحليل هذه الكلمة قائلا: ويلوح لنا أن هذا المعنى مكتسب من لفظ النبى أى أنها مشتقة منه، وأما هو فيغلب فى اعتقادنا أنه مصرى قديم مركب من لفظين "نب" و "ى" ومعناهما معا رئيس البيت أو شيخ العائلة (٢٨)

ومن تلک الألفاظ "سراب" فهى كلمة فارسية مركبة من "سير" و"اَب" ولفظ "ملک" فانه عبرانى الأصل.

القضية الرابعة.

ان جميع الألفاظ المطلقة قابلة الرد بالاستقراء الى لفظ واحد أو بضعة ألفاظ:

قد ادعى جرجى زيدان فى الألفاظ المطلقة والتى تشمل الضمائر واسم الاشارة واسم الموصول، أنها تكاد تكون واحدة فى جميعها، وأنها من الأدلة الواضحة على وحدة الأصل فيها، فبحث أولا فى الضمائر تتميز بعضها عن بعض بالعدد والجنس والشخص، وأن تمييز العدد قائم بزيادة "ميم" للمذكر، و"نون" غالبا للمؤنث، لكنها لا تقع تحت حكم قاطع اذا أنهما تتبادلان فى أحوال جمة، وهى واحدة فى السريانية، والقياس يقتضى أن تكون (الميم) فى العبرانية للمذكر، و(النون) للمؤنث" (٢٩)

وأما مميز الجنس ويحصل به التمييزبين المذكر والمؤنث فانه قاصر فى الغالب على الحركات، ويتضح ذلك جليا فى النعوت التى تؤنث وتذكر، فكلمة (حسن) و(حسنة) لا يميز بين الجنسين الا بالفتح المسند بالتاء التى تلفظ هاء عند الوقف، والأرجح أن أصل التانيث فى العربية أن يكون بالألف مقصورة أو ممدودة. فقد سعى فى اثبات دعواه هذه مستلهما من اللغات السامية القديمة فقال: "والعبرانيون يؤنثون بالفتح المسند بالهاء، وهى تقلب تاء عند التحريک أما فى السريانية فتسند هذه الفتحة بالألف" (٣٠)

ويرى أن الضمائر بعد تجريدها من مميزات العدد والجنس والنون الزائدة عبارة عن مقطع حلقى محصورة بين الياء والكاف، فانه (أنا) أو الياء فى العربية أو السريانية (أنكى) تلفظ (أنخى) فى العبرانية، و (anok) أو (a) فى المصرية القديميه و (أنكو) أو (يا) أو (ا) فى الآشورية و (ego) فى اللاتينية، و (ego وegon) فى اليونانية و (aha) أو (ahom) و (i) فى الانجيليزية و(ich) فى الألمانية.

هكذا يرى فى ضمير المخاطب أن الأصل فيه التاء أو أحد تنوعاتها، وهكذا توجد فى الكلدانية والمصرية القديمة، وذكر فى هذا الصدد أمثلة عديدة من الكلمات العربية مثل ضمير الكاف، وهو، وهى وغيرها، وحاول البحث عن نظرائها فى لغات العالم قديمها وحديثها، وهذه المباحث وتطبيقها على العربية، واستخلص القول الآتى: "وجملة القول يرجح كل الترجيح أن الألفاظ المطلقة مهما تعددت أشكالها ودلالاتها لا تخرج عن كونها ناشئة من لفظ واحد أو بضعة ألفاظ من جملتها التاء" (٣١)

القضية الخامسة فى اثبات أن ما يستعمل للدلالة المعنوية من الألفاظ وضع أصلا للدلالة الحسية ثم حمل على المجاز لتشابه فى الصورة الذهنية.

ذكر فى خضام هذه القضية أن فى اللغة قسما عظيما من ألفاظها ولاسيما الأفعال مما يستعمل للدلالة الحسية والمعنوية على السواء، فكلمة (فصل) قد يقصد بها الدلالة الحسية نحو "فصل زيد الشيئ" أى: قطعه وأبانه، أو المعنوية نحو: "فصل الحكم الخصومات" أو "فصل المولود عن الرضاع" أى: فطمه، فلا يخلو أن تكون احدى هاتين الدلالتين أصلية حقيقة والأخرى فرعية مجازية، فيرى جرجى زيدان فى هذه المسألة: "وعندى الدلالة الحسية هى الأصل والمعنوية الفرع" (٣٢)

وذكر بعض الألفاظ العربية مثل (قضى) و (عقل) و (أدرک) و (بلغ) وغيرها من الكلمات وقال فيها أنها من الكلمات التى خسرت الدلالة الحسية وحملت على المجاز للتشابه فى الصوره الذهنية.

كلمة "شهر" فهى فى رأى المؤلف مأخوذه من (سهر) السريانية، بمعنى القمر.

وقال فى آخر هذه القضية: "وخلاصته القول: يكاد لا يوجد كلمة واحدة الا واستعملت للدلالة المعنوية، وذلك دليل كاف على أن قابلية المعانى للانتقال هى كقابلية الألفاظ للابدال" (٣٣)

النتيجة:

ذهب فى النتيجة الى اثبات أن اللغة العربية مؤلفة من أصول قليلة أحادية المقطع، معظمها مأخوذ عن محاكاة الأصوات الخارجية وبعضها عن الأصوات الطبيعية التى ينطق بها الانسان غريزيا، وبناء على ما قدم براهينه فى القضايا الخمسة المذكورة، حيث مرت اللغة عن مراحل النحت والقلب والاستعارة سدا لاحتياجات الانسان وجريا على ناموس الارتقاء العام، وأشبع البحث حول " اللغة ضرورية توقيفية أم هى مكتسبة اصطلاحية، وأخيرا أيد نظريته قائلا: "وجملة القول: ان اللغة مكتسبة اصطلاحية" (٣٤) وذكر أقوال أبى اسحق والاسفرائينى والسيوطى فى تاييده.

وتحدث عن نشوء اللغة والطريقة الطبيعية للتكلم، فقسم الكلام فى تاريخ اللغة الى دورين: (الف) الدور التقليدى (ب) الدور النطقى، ومن ثم بدء مرحلة التفاهم بالاشارات والتفاهم بالأصوات، وأورد مجموعة من الألفاظ من اللغة العربية وغيرها من اللغات الأعجمية وماطرا عليها من تغيير وتفريع، ووصل الى النتيجة الآتية:

"وجملة القول ان من الأمور الراجحة قياسا والجلية استقراء أن لغتنا مؤلفة من أصول قليلة أحادية المقطع، ثنائية الأحرف فى الأغلب، معظمها مأخوذ عن محاكاة الأصوات الخارجية، وبعضها

عن المقاطع الطبيعية التى ينطق بها الانسان غريزيا، وأنه من هذه الأصول القليلة نشأت وارتقت بارتقاء أفكار المتكلمين بها، وتعددت ألفاظها بتعدد احتياجاتهم، وتنوعت طرق التعبير ومعانى الألفاظ بتنوع أحوالهم، وكل ذلك جرى على طرق أهمها أربع: النحت والابدال والقلب والاستعارة، وقد حصل معظم هذا التنوع أو التفرع، واللغة العربية لا تزال فى حجر أمها وبعبارة أخرى قبل افتراقها عن أخواتها السامية (العبرانية والسريانية وغيرهما) أى: اذ كانت هى وهن لغة واحدة" (٣٥)

الحواشى والهوامش:

مقدمة الطبعة الثانية من "الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية، لعام 1904مالمؤلفه جرجى زيدان ص 16 ط دارالهلال، بمصر.

المصدر نفسه ص:17

(1) المصدر نفسه ص:56

(2) المصدر نفسه ص:56

(3) ينظر: الفلسفة اللغوية ص 95

(4) ينظر: الفلسفة اللغوية ص 95

(5) المصدر نفسه ص: 95

(6) المصدر نفسه ص:95

(7) المصدر نفسه ص:60

(8) المصدر نفسه ص: 60

(9) المصدر نفسه ص:60

(10) المصدر نفسه ص:60

(11) نفس المصدر ص:62--61

(12) نفس المصدر ص:64

(13) نفس المصدر ص:70

(14) نفس المصدر ص:74

(15) نفس المصدر ص:74

(16) نفس المصدر ص:74

(17) نفس المصدر ص:85

(18) نفس المصدر ص:85

(19) نفس المصدر ص:85

(20) نفس المصدر ص:85

(21) نفس المصدر ص:89

(22) نفس المصدر ص:97

(23) نفس المصدر ص:98

(24) نفس المصدر ص:99

(25) نفس المصدر ص:100

(26) نفس المصدر ص:112

(27) نفس المصدر ص:114

(28) نفس المصدر ص:115

(29) نفس المصدر ص:125

(30) نفس المصدر ص:126

(31) نفس المصدر ص:128

(32) نفس المصدر ص:130

الباب الثالث

***

"المبين فى فقه اللغة العربية"

تأليف

العلامة سيد سليمان أشرف رحمه الله

******

ترجمه وعلق عليه محمد معراج الحق

****

المبحث الاول

الميزات التى تمتاز بها اللغة العربية.

طريقة وضع المفردات

يبحث الخبير اللغوى اولا عن كيفية وضع المفردات، هل تم وضعها عن طريق الإيحاء والالهام من الله تعالى؟ أو أوجدها الانسان منفعلا عن البيئة التى يعيشها، أو هى ناتجة عن الانفعالات الوجدانية الكائنة فى وجود الانسان؟ لست هنا فى صدد ذكرهذا المبحث الذى خاض فى غمارها الأقدمون من العلماء وذلک لأننى لم أتمكن من الإلمام بنظرية حاسمة ومقنعة تزيل جميع الاحتمالات الباقية الاخرى إلا أننى تلمست من خلال هذه البحوث الجودة والدقة وحصافة الطبائع والعقول الوقادة فى سرد المعلومات ذات الصلة من قبل علماء اللغة منذ أقدم العصور إلى يومنا هذا، إن الافتراض بان الانسان الاول عند ما استوطن فى هذه الدنيا فهو عندئذ كان حيواناغيرناطق وانه كان يخرج اصواتا لا يتمكن من فهمها هو، أن اعضاء بدنه وتحركاتها كانت تدل على التفاهم ومن ثم بدأ وضع الكلمات تدريجيا وبالتالى تمخّض عن تأسيس لغة مستقلة، إن هذاالنوع من الافتراضات يدفع إلى الاعتراف بأنه قد مرعلى الانسان حين من الدهر يخرج اصواتا تشبه اصوات الحيوانات رغم كونه انسانا، وأن مرورالايام قد جعل تلک المفردات المهملة تحل محل المفردات المستعملة ذوات المعانى والمطالب.

وبغض النظر عن هذه الظاهرة المثيرة على الضحک فهى إساءة إلى كرامة الانسان وإهانة للكلمات الموضوعة ذات معانى ودلالات بلاغية لطيفة وهذه نظرية ماتبناها أحد من اللغويين

وهناك طبقة اخرى من علماءها ترى أن الانسان قد هبط فى هذه الدنيا مزوداً مع لغته كوسيلة للتفاهم، ورغم هذا الكل فاننى لا أجد أحدا يذهب إلى الاعتقاد بأن النوع الانسانى قد عاش فترة حياة ظل فيها أخرس وأصم.

قضية اللغة للانسان الاول

وهنا ينشأ سؤال عن اللغة الاولية لبنى الانسان وكيف تعلمها وفى هذالبحث بذل العلماء جل طاقاتهم وصبوا فيها معظم جهودهم ما تبهرالألباب فهى تتربع على قمم عالية من الدراسات الأنيقة القيمة من الناحية العلمية والإكاديمية، فالاتكال على الحقائق العلمية والمعرفية لا تترك مجالا للابداعات العقلية.

ونظراإلى هذا يسعى الفيلسوف فى تطبيق فلسفته ونظريته الفلسفية حيث يزعم أن سيدنا آدم كان فيلسوفا وخلافا لذلك فانه يعتبر فلسفته واتناجاته ناقصة غير متكاملة وهكذا لو لم يتم استناد الشعر والقصائد إلى آدم عليه السلام فيعتبره مؤرخ الديوان ان نتاجه الفكرى لم يبلغ أوج كماله وكأن أسواق بحوثه القيمة قد بقيت كاسدة فهذه حال الفلاسفة والمؤرخين، أما علماء اللغة فلما ذا هم يتخلفون فى مضمار تحقيقاتهم فى شان استناد كل مايذهبون اليه من آراء إلى سيدنا آدم عليه السلام .

إن مؤرخ علم اللغة يقرمثلا بأن آدم عليه السلام كان يتمتع بلغة ثم أوحى تلك اللغة إلى أسرته ولأهل بلاده وعندما توسعت الحاجات البشرية نتيجة انتشار العمران واحتاجت اللغة وقضاياها إلى وضع أسس وقواعد لها، فقام سيدنا آدم آنذاك بوضع الفاظ وعلمها لابناءه وأحفاده هذه القضايا المتعقدة والمسائل العالقة والعويصة تندرج عن اقلام ذلك المؤرخ كأنه هذا قد شاهد أحداثا

وسيدنا آدم يكتب العلوم على ألواح طينية ثم يضعها فى النار ويطبخها، منها انتشارها فى طوفان نوح ثم امتلاك بعضها من قبل بعض ابناءه بعد طوفان وما إلى ذلك من احداث ووقائع كأن المؤرخ عاشها وعاصرها.

اننى هنا لن أتطرق الى بيان هذه المستجدات الفكرية والانتاجات النيرة وما استدل بها من حجج وبراهين والاعتراضات والايرادات الواردة من قبل الفئة المعارضة لها إلا أننى سأكتفى بذكر المذاهب المختارة فى وضع المفردات والكلمات لدى علماء اللغة.

مذهب المعتزلة والاشاعرة

فى هذه المسألة مذهبان مبدئيا : أولا : أن إيجاداالكلمات لم يتم إلا عن طريق الإيحاء والتوقيف يعنى هذا ان الله تعالى قد علم آدم عليه السلام الكلمات للتعبير عن ما يجول فى خاطره عند تخليقه وعند مانزل إلى الارض فأوحى إليه الالفاظ والمفردات حسب المقتضيات حتى استجمعت هذه المفردات فى شكل لغة متكاملة وهناك نشأت لغة مستقلة.

وهذا ما ذهب إليه الامام الاشعرى من علماء الاسلام وسعيد بن جبير وجلال الدين السيوطى وابن فارس وابن زيد وابن الحاجب وغيرهم وتؤيد وتتقارب آراء بعض منهم آراء الاٰخرين .

أما المذهب الثانى فيقول إن الانسان هو الذى قام بانشاء لغة وإيجادها متأثرا عن بيئته ونفسه مانتج عن جمع كميات كبيرة من الكلمات والمفردات وبالتالى ظهرت هذه المفردات فى صورة لغة متكاملة وهذا ما ذهب إليه المعتزلة وقد راٰه أبوهاشم المعتزلى وتبعه أتباعه، وهناك مذهب آخر يقول: إن الالقاء والإيحاء مبدئيا

ظهر عن طريق الوحى الالهى والانسان قام بعملية الفرز والتدوين وتركيب بعضها بعضا ما دفعته إلى وضع المصطلحات والمفردات حسب احتياجاته البشرية وهكذا توسع النطاق اللغوى إلى حد كبير . والواقع ان هذاالمذهب لا يعد مذهبا مستقلا بل انه امتداد عن المذهب الاشعرى[1].

موقف المعتزلة يتفرع إلى ثلاثة اقسام

عند ما نلقى نظرة على ما ذهب اليه المعتزلة وما تبنوا من اصول وقواعد فتتجلى هذه الطبقات الثلاثة الآتية:

الطبقة الاولى: ذهبت هذه الطبقة إلى الادعاء بأن الانسان عندما فتحت عينيه لمشاهده ماتحيطه من ظروف واوضاع فسمع اصواتا متنوعة للبهائم والحيوانات وفى احوال مختلفة، تتنوع فى الكم والكيف عن الاخرى فمثلا تضطر الدجاجة على إخراج صوت وقت ملاحظتها الصقر وهى تنذر افراخها عن الخطر المحدق بها فيكون صوتها مزيجا من الغلظة المتقطعة، أما وقت ملاحظتها الغذاء والماء فهى تنادى افراخها ويرتسم فى صوتها مظهر الشفقة والحنان ولا شك ان صوتها هذا يختلف عن صوتها السابق وقد تعلم الانسان اخراج صوتين مختلفين فى اوقات الرعب والفرحة (وهو ناتج عن تأثيره باصوات البهائم والحيوانات) وهكذا عاش الانسان يلاحظ اصوات الحيوانات الاخرى وبدأيراقب الاحوال الطارئة عن كثب كما انه شاهد الأحوال الطبيعة الاخرى مثل اهتزاز الاشجار

---

[1] ينظر: المزهر للسيوطى ج1 ص ١٠/٧، حيث ساق عبارة ابن جنى: "باب القول على أصل اللغة أ إلهام أم اصطلاح"

وصرير الهواء وتساقط الاوراق ونزول المطر ورعد السحاب وما إلى ذلك من اصوات، فظل الانسان يتلمسها و يراقبها.

وهناك نشأت فى ذاته غريزة محاكاة هذه الاصوات وبالتالى عند ما حاول اداءها فوجد جهازه النطقى أكثر سهولة وأعظم نعومة وأهون اداء ونظراإلى هذا عند ما قام بمحاكاة اصوات مايحيطه فخرجت اصداءها عبر جهازه النطقى أكثر جلاءً وأقرب للتفاهم وبناء على هذا تم إنشاء المفردات والكلمات، وهذاما تمخض هذا عن وجود لغة متكاملة فى ما بعد.

الطبقة الثانية

ترى ان طبيعة الانسان تتمتع بوضع الأصوات وتمتاز بهذه الصلاحية طبيعيا ودليله ظهور الصراخ والصيحة وقت الألم الشديد والتأوه فى حالة المرض والنطق بكلمات التحسين والثناء لدى الفرحة فان مثل هذه المفردات والكلمات ليست إيحائية ولا كسبية بل انها طبيعية دون شک وهكذا الانسان قام بإبداء اصوات واخراجها للتعبيرعن عواطفه واهوائه المختلفة مما جعل هذه الاصوات يحل مفردات وكلمات ولما حان وقت وضع الاسماء والتعبيير ما يجيش فى الخواطر وحسب المقتضيات المختلفة فهناک ظهرت نفس الصفة المبدعة المودعةفى ذاته فالكلمات التى ظهرت آنذاک نتيجة انفعالاته وتأثيره تم تركيب لغة نتيجة تلک الاصوات الطبيعية والناشئة عن جهازه النطقى.

الطبقة الثالثة

تقول: ان ظهور صوت من جهاز النطق الانسانى ليس الا نتيجة الصدمات المختلفة من الآراء والاخيلة على القوى المدركة فكما تحدث اصوات جراء صدمات الاشياء المختلفة، هكذا تحدث

الصدمات على القوى المدركة وتنشأمنه اصوات فى شكل الالفاظ والمفردات فمثلا صوت اصطدام الأحجار مع بعضها يحدث نوعا خاصا من الصوت ـ اما صوت قرع الحديد مع الحجارة فهو يختلف تماما عن صوته السابق وهكذا عند ما تجعل الحجر يصطدم مع الاشياء المختلفة الموجودة فينتج الاختلاف فى الاشياء عن الاختلاف فى الاصوات ايضا وقس البواقى على هذا.

الدماغ الانسانى عن شعوروادراک مختلف تماما وعندما يتأثر هذا الجهاز بشيئ محسوس أو مسموع او ملاحظ ويصطدم بهذه الانفعالات المختلفة فالعواطف والانفعالات الداخلية للانسان عند قامت بتأثيرها على هذالجهاز واصطدمت به فنشأت عنه اصوات متنوعة ومختلفة. وعند ما قام اللسان الانسانى باخراج اصوات مختلفة نتيجة صلاحياته الفطرية والطبيعية وبجميع صلاحيات المودعة فيه فاطلق اسم اللغة على تلک المفردات ـ

هذه هى المذاهب الاربعة الاساسية الخاصة بلغة الانسان منذ القدم. اما الثلاثة منها فتشير الى ان الانسان هو الذى قام بوضع الالفاظ واما واحد منها فيرى ان بداية اللغة ليست إلا توفيقية وايحائية واما غير هذه المذاهب الاربعة فلا شک انها تتفرع من هذه الاربعة المذكورة فى شكل من الاشكال.

اللغة العربية فى ميزان الالسن

اننى قد اسهبت فى هذاالشان بيان المذاهب راميا الى ان المذهب الايحائى أو المذهب الكسبى التوفيقى بغض النظر عن ايهما أصح واقرب الى الصواب. ان اللغة العربية تحمل فى ثناياها ميزات تفوق عن زميلاتها الباقيات وهى اعظم منزلة وارفع شأنا من حيث السلاسة والعذوبة فمثلا ميزة الشمولية والإحاطة والكشف عن

المعنى الحقيقى وعلاقتها بالكلمة من المزايا العجبية تتمتع بها اللغة العربية، ولم تحظ بها لغة من اللغات وهذا ما يؤيد النظرية التى تقول ان اللغة العربية لغة ملهمة نسبة إلى لغات اخرى[1] وهى اقرب الى القياس.

كما ان التناسق والانسجام بين ترتيب الكلمات العربية والتناغم العجيب بين مدلولاتها ومعانيها والدالة عليها هيئة الحروف المركبة، خير مشعر على ان الانسان الذى قام بوضع هذه اللغة (فى ضوء المذهب الكسبى) هوكان فى غاية من اللباقة والاحساس المرهف، وان واضعى اللغات الاخرى حالهم مثل المصباح الضئيل امام شمس ساطعة، فشتان بين الثريا والثرى.

وانه لا يختلف فيه اثنان ان من بين المواصفات العظيمة التى اكرم بها الله الانسان فى هذه الدنيا اتصافه بصفة النطق والتكلم.

فالحيوان لا يعقل، كماانه خال من نعمة العقل والتميزهكذا هو محروم عن النطق والتكلم أيضا وهذا من ميزة الانسان انه يتمتع بالتعبير عن عواطفه ومشاعره وما ينتابه من اخيلة بواسطة لسانه وبيانه وهذا ماترقيه الى درجة السعادة والكمال.

ونظراالى هذه المسألة البديهة لو قمناباستعراض هذه الحقيقة دون انحياز فنجد ان اللغة العربية تمتاز بمكانة شريفة بين اللغات الباقية مثل ما تتفوق لغة الانسان وكلامه على اصوات الحيوانات والطيور.

اللغة العربية واللغات الأعجمية الأخرى

ومهما كانت لها عوامل وأسباب لكنى يسعنى القول فى هذاالشان نظراالى مظاهراللغة العربية اللسانية ان الاصول والاسس التى تبنتها العربية يتصف بها الحروف العربية كلها.

أما اللغات الاعجمية الاخرى فانها لم تراع تلك الاسس والقوانين وهى لم تخل عن النقص والقصور ولاجل هذا لم تصل هذه اللغات الاعجمية مرحلة النضج والكمال ولو انها امتازت من اصوات الحيوانات والبهائم.

قضية اللسان والمخارج

ان اللغة العربية قد استوعبت الأجهزة الصوتية وشملت جميع مخارج الحروف بأسلوب رائع مضبوط بحيث لا يوجد نظيره فى لغة من اللغات الاعجمية فالحلقوم والاشداق (الفك العلوى والسفلى) واللسان واللثه والاسنان والشفة هذه الاعضاء الستة فى فم الانسان تخرج الاصوات بعد اتصال بعضها ببعض وانفصال بعضها كذلك، ومن ثم تنقل الى الآذان ولهذا عرفت هذه الاعضاء الستة بمخارج الحروف.

فالواقع ان ظهورالاصوات مستحيل اذا لم تدخل الهواء مخارج الحروف فبعد تكييفها يتم حدوث صوت من تلك المخارج.

وهناك اقوام حاولت ضبط الفاظ لغتها ومفرداتها فأسست لها قواعد واصولا ولهذا قامت بتحديد مخارج هجائها ورغم هذا كله فقد أصبحت محاولاتهم عبارة عن ان المخارج تساوى الجهاز الصوتى احيانا وتتزايد تارة اخرى فمثلا اللغة السنسكريتية (وقد ذهب علماء اللغة الاعجمية وخبرائها فى الاعتقاد انها تمتاز بين اللغات الاعجمية) قد عينت ثمانية مخارج للحروف الهجائية وهذا هو أكبر عدد قدمت به لغة من اللغات الاعجمية.

دع اللغات التى لم تتعرف على المخارج ولا انها حددت أسس النطق بالحروف وطريقة تعليمها ولنأخذ اللغات التى ظلت حثيثة فى مجال اختراع اصول وقواعد لحروفها ومخارجها وتأديتها فنجد

اللغة السنسكريتية اكثر إحاطة بالجهاز الصوتى نسبة الى زميلاتها الباقية الاخرى فلناخذ على سبيل المثال اللغة العربية فان عدد حروف هجائها ينحصر فى ٢٨حرفا وقد حددت مخارج حروفها فى ١٧ مخرجا بالضبط فالحلقوم جهاز صوتى وهو مصدر ستة من الحروف ومخرجها كذلك حيث بعضها تصدر من بدايته وبعضها من وسطه كما ان البعض منها يتم اداءها من اقصى الحلقوم.

ان اللغة السنسكريتية ولو انها ادعت ان الحروف الفلانية حلقية أيضا، لكنها لم تسلك مسلك التحديد لتلك الاماكن المتعلقة بالحلقوم، حيث يتم نطق الكلمات بواسطتها فمن البديهى ان اعضاء الحلقوم لم تكن معلومة ومحددة لديها فالاصوات الخارجة من الحلقوم لم تكن ممتازة عن الاخرى وان مؤاصفات الامتياز ظلت ضئيلة غير معروفة فالمتكلم هو حرّ فى اداء تلك الحروف من اية نقطة من ذلك الجهاز الصوتى دون هوادة ولان مستوى تمييزالصحيح من السقيم بقى مجهولا فلا غرو لو انحرف ناطقها عن المخرج الصحيح فى الأداء.

فهذا من الممكن بل هو اقرب من القياس وان هذاالامر من عدم التمييز وعدم التخصيص يدل دلالة صارخة على ان اللغات الاعجمية لا تضاهى اللغة العربية بتاتا بل حالها حال أصوات البهائم والحيوانات ازاء اللغة العربية.

نبذة عن مخارج الحروف العربية

ولمزيد من التوضيح اقوم بذكر التفاصيل لبعض الحروف العربية ومخارجها فى الاسطرادناه بنوع من الاسهاب.

١. ان مخرج الهمزة والهاء اقصى الحلقوم يربط ادناه بجانب الصدر .

٢- مخرج العين والحاء وسط الحلقوم -

٣ مخرج الغين والخاء مبدأالحلقوم، ان علماء العربية قد قاموا بتوزيع الاجزاء فى الحنجرة إلى الادنى والاوسط والاقصى ، كما انهم قاموا بتحديد الاجهزة الباقية واجزاءها وكما يتضح هذا فى الاسطر الآتية.

٤- ان مخرج القاف هو اقصى اللسان وجانب من اللوزة العليا ويوازيه

جانب اللسان.

٥- مخرج الكاف هو الجانب من اللسان الذى يتصل بمخرج القاف ولهذا

يقال ان القاف والكاف متقارباالمخرج.

٦- مخرج الجيم والشين والياء هو الجانب الوسط من اللسان وجانب من

اللثة من سقف الحنك يوازى وسط اللسان -

٧- مخرج الضاد هو طرف اللسان المتصل بالأضراس (وهو قريب من

الطبق فى سقف الحنك).[1]

٨- مخرج اللام الجزء الأسفل عن طرف اللسان وجانب من اللثة.

٩- مخرج الراء هو قريب من مخرج النون يعنى هو يلفظ من خلال ظهر

---

[1] سقف الحنك: هو الذى يتصل به اللسان فى أوضاعه المختلفة فى الفم، ومع كل وضع من أوضاع اللسان، بالنسبة لجزء من أجزاء الحنك الأعلى، تتكون مخارج كثير من الأصوات، ينقسم سقف الحنك إلى أربعة اقسام ؛ الأول : هو اللثة أو أصول الأسنان العليا، والثانى: هو الغار، وهو الجزء الصلب من سقف الحنك وهو محدب ومحزز - والثالث: هو الطبق ، وهو الجزء الرخو من سقف الحنك، وهو متحرك - والرابع: هو اللهاة وهى جزء متحرك كذلك، ينظر علم اللغة تأليف الدكتور حاتم صالح الضامن كلية الآداب جامعة بغداد ص ٥١. (مترجم)

اللسان وثنايا اللثة العليا.

١٠. مخرج الطاء والدال والتاء هوالوسط من طرف اللسان ورأس

الثناياالعليا.

١١. مخرج النون هو بداية من اللسان قريبة من لثات السنين الأماميتين

(الضاحكتين) هما تعرفان بالثناياالعليا.

١٢. الصاد والسين والزاء من حروف الصفير مخرجها طرف اللسان

ورأس الموضع الذى بين الثنايا السفلى.

١٣. مخرج الظاء والذال والثاء هو طرف اللسان وطرف من الثنايا

العليا.

١٤. مخرج الفاء الجانب الداخلى من الشفة السفلى وطرف من الثنايا

العليا.

١٥. مخرج الباء والميم والواو شفتان تبقى مفتوحة وقت اداء الواو

ولاينضم البعض بعضا، اما الميم والباء فتنضم الشفتان لدى تلفظها الا ان

الميم تنطق عن جهة الخيشوم ايضا.

١٦. الخيشوم هو مخرج النون والميم الساكنتين فى حالة الإخفاء

والإدغام وتعرف بالغنة فى هذاالوقت.

١٧- مخرج الالف ، هو جوف الحلقوم والفم.

ملاحظة: ان الحروف الشفوية وهى الواو والميم والياء لو قيل فيهما ان مخارجها هى الشفاه لكنه فى الحقيقة تختلف مخارجها كلها، فان حالة انضمام الشفتين بعد فتحهما، وانفتاحها ثم التقدم إلى الامام، وانضمامها وابداء صوت من الغنة بتعاون من الخيشوم هذه الظواهر الثلاثة كلها بمثابة ثلاثة ظواهر مستقلة وبناء على هذا يمكن الادعاء ان مخارج الحروف العربية تتعدى إلى تسعة عشر مخرجا .

نظرة على دعوى اللغة السنسكريتية

والآن سنلقى نظرة نقديةعلى دعوى اللغة السنسكريتية والتى هى تقول انها ايضا تتمتع بالحروف الحلقية فمثلا ک (क) كهہ (ख) گ (ग) گهہ (घ) الالف الممدوة (आ) والالف المقصورة (अ) ونون الغنة (ण) فهذه سبعة حروف قد جعلت السنسكريتية مخرجها الحلقوم، فهل من العدالة الادعاء ان احدا من هذه الحروف الستة مصدرها الحلقوم اداء ونطقا أو اى واحد منهما يتم نطقها بالحلقوم؟

ان علماء التجويد والقراءة جعلوا قاعدة ومقياسا لغرض تبيين مخارج الحروف حيث يقولون: أضف همزة قبل الحرف الذى انت فى صدد معرفة مخرجه وأسكن الحرف المعلوم ثم حاول النطق به، فكل مخرج صحيح وحقيقى يتجلى لک ويتضح وضوحا وافيا فمثلا (ال) (اب) (اع) (اخ) وانطلاقا من هذاالاساس اذكر الهمزة فى بداية الخاء والعين وتلفظ (اخ) (اع) فيتضح لک ان مخرجها الحلقوم ، اما اذا ذكرت الهمزة المفتوحة مع الكاف او النون مع الغنة فيخرج صوت (اک) و(ان) وهذا ما يدل دلالة واضحة على ان مخرج الأول

هو منتهى اللسان كما ان مخرج الثانى هو الخيشوم ولا علاقة تربط الحرفين بالحلقوم وهذه نفس الحالة لبقية الحروف حيث لا تمت واحدة منها بصلة الى الحلقوم بنوع ما ، وثبت بهذا أن قوة التمييز المودعة بين الامة العربية اكثر واعظم من الاعاجم ، حيث ان الجانب الادنى من الحلقوم يحل محل اللسان أو أن الخيشوم ايضا يحل محل الحلقوم فى اللغة السنسكريتية وهذا دليل صارخ على ان العجم لا يميز بين اصالة الحلقوم ووظيفته وواقعية الخيشوم واهميته.

وإن هذا المثال الواحد يدفعنا إلى ترسيخ هذاالاعتقاد فى النفوس ان المخارج السبعة الاخرى أيضا لا علا قة لها بالصحة والواقعية أبدا، مثلما ظهر فى قضية هذه الحروف الخمسة الحلقية لديهم.

وليس من الضرورى ان يقال فى مبحث مخارج الحروف: ان علماء العرب عند ما يحددون عضوا كمخرج لحرف معين ان يقوم علماء اللغات الاخرى بتخصيص نفس العضو كمخرج لحرف معين بل هو يعتمد على اداء وتعبير لأولى اللغات المختلفة فانه من الممكن ان يلفظ السنسكريتون نفس الحرف من الحلقوم عكس علماء العرب الذين يلفظون اللفظ نفسه من الخيشوم واقصى اللسان لكن هذاالسؤال لن يثار فى هذا الباب بأن الحالة التى طرأت على الحرف وقت الأداء وبها اصبح الحرف معلوما ومتشخصا فيجدر الآن لكل شخص ان يصل إلى نتيجة وبعد اداء ذلك الحرف عن تحديد الموضع الذى صدر عنه، ان اللغة السنسكريتية قد حددت خمسة حروف من الحلقية وكل حرف منها له هيئة وشكل خاص، والآن عندما سعيت بنفسك إلى نطق كل حرف تلمست جليا ان حرفا من

تلك الحروف السبعة ليس له الحلقوم كمخرج، وهذا من الحقائق الثابتة.

وهذا يكشف اللثام عن سر عجيب ألا وهو أن مخرج (الغين) و (الخاء) فى العربية هو الحلقوم أما الانسان العجمى الأمى عندما يتلفظ بهما "گ" بدل "الغين" يقول "گ" أى" ग " بالهندية وبدل "الخاء" يتلفظ "كهہ" أى" ख "، فهو يتلفظ "گريب" بدل "غريب" و "كهالى" بدل خالى.

وهذه ظاهرة فاشية يتلمس بها كل انسان فى لهجات العامة دائما ، وبناءً على هذا يمكن القول بأن أدوات الهجاء السنسكريتية هى بقايا الأدوات العربية ونتيجة القلب والنحت والتشوية والإبدال والظواهر الأخرى الطارئة عليها تحولت إلى لغة مستقلة، وبالرغم مع ذالك ظلت بعض الأدوات السنسكريتية مثل " ग " و "ख" تشير إلى أنها تنتمى إلى أصول عربية ، وأنها مستنسخة منها.

ويؤيد هذاالرأى دعوى الخبراء فى مجال اللغة السنسكريتية أن حرفى ख و ग من الحروف الحلقية ، فيمكن القول : بأن تدريس هاتين الأداتين ظل متبعا من حيث هما حلقيتان ، وظل التلفظ بهما فى نطق ومخرج صحيحين، إلى حقبة من الزمن، ولكنه تم تغلب العجمة وسادت اللهجات الأعجمية عليها بصورة تدريجية حتى ظهر الفرق فى التلفظ والأداء والتعبير، أما المخرج فبقى مرتسما فى ذاكرتهم بأنه الحلقوم والحنجرة فالإدعاء بأن (ग) و (ख) من الحروف الحلقية دليل صارخ على أن لهما إنتماء وصلة بالغين والخاء واللتان أختصتا للعربية.

والذى دفع جرجى زيدان إلى الإعتقاد بأن بعض الألفاظ العربية منحوتة من السنسكريتية فهو يذهب فى دراسته إلى أن اللغة السنسكريتية قد كملت قبل العربية بكثير ، وعلى الكل فإن تحقيق هذاالإدعاء سنتطرق إليه فى موضع آخر ولكن جرجى زيدان لو أدرك أن حروف اللغات اللاتى تم نحتها من العربية فمن أين يتأتى لها أن تكون ألفاظها فى غناء عن العربية.

وعلى أية حال لست فى صدد هذا المبحث هنا لأن الغرض من وراء هذا المبحث ليست المقارنة بين اللغات الاعجمية والعربية بل إننى أتركز فى هذاالصدد على ميزات ومحاسن اللغة العربية وبناء على هذا أتطرق إلى ذكر صفات الحروف ونعوتها بعد أن تم بيان مخارجها.

إن علماء العربية عند ما نظروا إلى صفات الحروف ونعوتها فقد أدركوا أن الصفات والظواهر التى تطرأ على الحروف وقت الأداء تجعلها تمتاز عن أخراها، فبعضها تتميز عن رخوتها وسهولتها وبعضها عن صلابتها وشدتها وبناء على ذلك قاموا بتحديد وتوزيع الحروف الهجائية إلى أقسام عدة، فمخارج الحروف عبارة عن الكمية وأما نعوتها وصفاتها فهى عبارة عن كيفية ومن ثم عند ما نشاهد فنجد ان الكم والكيف وأقسامه وتنوعاته قد جعلت الحروف العربية تمتاز عن الأخرى هيئة وشكلا ونعتا وميزة.

وإنه من الثوابت اليقينية أن الميزات الكبرى المودعة والمتواجدة فى لغة العرب لا توجد فى لغة من لغات العالم من حيث الأداء والنطق وغيره فأن السامع يدرك ويعى أن كل حرف من حروف اللفظ لا يلتبس مع بعضه، فالزاء والذال والظاء والضاد والسين والصاد والثاء يمكنك التمييز فى جميعها بمجرد الصورة

والحالة الطارئة عليها لدى تلفظها وكل حرف يدل دلالة واضحة على كيانه بمعنى الكلمة، أما الانسان من البلاد العجمية عند ما يتلفظ تلك الأحرف نفسها فالأداء والنطق لا يكون بحيث أن كل حرف منها يدل على وجوده وكيانه، وفى هذاالمجال قد يتلفظها من حيث لا يستطيع إنسان مستمع أن يقوم بالتمييز بينها فهل هى الزاء بدل الذال والظاء بدل الضاد .

فالمسک هو الذى يفوح بنفسه وهذا يصدق على اللغة العربية والمثل الذى يقول أن بائع العطر هو فى حاجة إلى دعاية عطره هذا يصدق على الأعاجم ، فهم ولغاتهم بمثابة اللغات الخرسة.

الميزات ونعوت الحروف العربية من حيث الكيف

(١) المجهورة: فيه جهر ورفعة فى الاداء.

(٢) المهموسة: فى صوته همس وضعف.

(٣) الشديدة: فى صوتها شدة وغلظة.

(٤) الرخوة: فى صوتها سلاسة ورخوة.

(٥) المستعيلة: فى صوتها علو ورفعة.

(٦) المستفلة: فى صوتها خفض وبطؤ.

(٧) المطبقة: يتصل اللسان عند الأداء باللوزتين.

(٨) المذلقة: فى صوتها حدة وسرعة.

(٩) الصفير: الذى يشبه صوته بالتصفير.

(١٠) القلقلة: هو الذى يحرک المخرج عند الأداء.

(١١) المنفتحة: يترک مجالا منفتحا بين اللسان واللوزة عند الأداء.

(١٢) المصمتة: وهى الحروف المذلقة يعنى أنها قاصرة عن تكوين كلمة

رباعية أو خماسية.

(١٣) المنحرفة: يتقلب اللسان عند الأداء.

(١٤) المكررة: التى تصلح أن يتكرر فيه الصوت يعنى لولا الحيطة

ليتلفظ

اللسان الحروف نفسه مكررة.

(١٥) التفشى: هوالذى يتفشى فيه الصوت وينتشر وقت الأداء

.

(١٦) المسستطيل : هو الذى يطول الصوت لدى النطق به.

وهناك أقسام أخرى مثل المدة واللين والهاوى والجوف وما إلى ذالك ولمزيد من الإطلاع يرجى المراجعة إلى كتب التجويد. فقد اكتفيت هنا بذكر الانواع المشهورة والمعروفة فى هذاالشان.

حقيقة إجتماع الأضداد

وهناك بعض الصفات تقابل البعض وتعارضها وهى لا تجتمع فى حرف واحد البتة مثلا المجهورة هى ضد المهموسة والشديدة ضد الرخوة والمستفلة ضد المستعلية والمصمتة ضد المذلقة والمطبقة ضد المنفتحة كما ان هناك صفات لا تقابل فيما بينها ومن الممكن ان يتم اجتماع هذه الصفات مع البعض.

ولغرض من التسهيل اذكر جدولا من الصفات والحروف يتمكن منه الاطلاع على نعوت الحروف:

الف	المصمتة	الجوفية	المجهورة	الرخوة	المستفلة	المنفتحة

ب	المجهورة	الشديدة	المستفلة	المنفتحة	المذلقة	القلقلة
ت	المجهورة	الشديدة	المستفلة	المنفتحة	المذلقة	المصمتة
ث	المجهورة	الرخوة	المستفلة	المنفتحة	المذلقة	المصمتة
ج	المجهورة	الشديدة	المستفلة	المنفتحة	المصمتة	القلقلة
ح	المهموسة	الرخوة	المستفلة	المنفتحة	المصمتة	
خ	المهموسة	الرخوة	المستفلة	المنفتحة	المصمتة	القلقلة
د	المجهورة	الشديدة	المستفلة	المنفتحة	المصمتة	
ذ	المجهورة	الرخوة	المستفلة	المنفتحة	المصمتة	
ر	المجهورة	المتوسطة	المستفلة	المنفتحة	المذلقة	المنحرفة المكررة
ز	المجهورة	الرخوة	المستفلة	المنفتحة	المذلقة	المصمتة
س	المهموسة	الرخوة	المستفلة	المنفتحة	المذلقة	المصمتة
ش	المهموسة	الرخوة	المستفلة	المنفتحة	المذلقة	التفشى
ص	المهموسة	الرخوة	المستعلية	المطبقة	الصفير	
ض	المجهورة	المستفلة	المطبقة	الصفير	المستطيلة	
ط	المجهورة	الشديدة	المستعلية	القلقلة	المستطيلة	
ظ	المجهورة	الرخوة	المستعلية	المطبقة	القلقلة	المستطيلة
ع	المجهورة	المتوسطة	المستفلة	المنفتحة	المستطيلة	
غ	المجهورة	الرخوة	المستعلية	المطبقة	المنفتحة	القلقلة
ف	المهموسة	الرخوة	المستفلة	المذلقة	المستطيلة	
ق	المجهورة	الشديدة	المستفعلة	المطبقة	المصمتة	القلقلة
ك	المهموسة	المستفلة	الشديدة	المنفتحة	المصمتة	
ل	المجهورة	المتوسطة	المنفتحة	المصمت	المذلقة	المنحرفة

				تة		
م	المجهورة	المتوسطة	المتوسطة	المصم تة	المذلقة	المنحرفة
ن	المجهورة	المتوسطة	المستفلة	المصم تة	الغنة	
و	الشديدة	المتوسطة	المستفلة	المصم تة	المد	اللين
ه	المهموسة	الرخوة	المستفلة	المنفتحة		
ء	المجهورة	الشديدة	المستفلة	المنفتحة		
ى	المجهورة	الرخوة	المستفلة	المد	اللين	

الحروف العربية فى ميزان مخارجها ونعوتها

فى ضوءالأسس والبنود المتعلقة بالحروف العربية والتى سنجد تفاصيلها بالاسهاب فى كتب التجويد والقراءات، لو القينا نظرات دقيقة وقمنا بدراسة علمية اكاديمية على مخارج الحروف ونعوتها فتتجلى لنا الحقيقة كالشمس فى وضح النهار ان اللغة العربية ما سعت إلى قوانين وأسس للحروف الهجائية العربية فحسب ، لغرض التركيب والمزج بينهابل ان حروفها فى كيانها الاساسى تمتازوتنفرد بخواص لن نجد نظيرها فى حروف اللغات المتطورة الاخرى ، وبعد بيان هذه الميزة لست الآن فى صدد ذكر فهرست الحروف الفخمة والجزلة حيث يتم تركيب بعضها مع بعض، وعندما تنخرط هذه الالفاظ فى صورة جملة بألفاظها ومفرداتها المختلفة فلا

شک آنذاک ان تلک الجملة ستکون علی قمة رفیعة من الفصاحة والبلاغة وهی عبارة عن مرکز الثقل البلاغی للغة العربیة.

أما المیزة الاخری لهذه اللغة هی ان الجمل والکلام لا تمتاز فیما بینهافحسب بل تمتاز کل کلمة مستخدمة فی تلک الجملة بحیث لا یلتبس جزء منها بأجزاء الکلمة الاخری، والظاهر ان الجملة والکلام تتکون بعد ترکیب المفردات وعند ما لا یختلف لفظ منها عن الآخر فلا یمیزآنذاک بین المبتدأ والخبر والفعل والفاعل والمفعول، وفی هذه الحالة تتحول لغة الانسان إلی اصوات لا معنی لها ولا دلالة، لأن اخراج اصوات متواصلة لن یدل علی الکلام ابدا، فهذا الوصف متصف به حتی الحیوانات والبهائم حیث لا تجد بعضا منها یلزم السکوت بضع ساعات، ولأن وظیفة إخراج الاصوات تستمر علی طول وبنغما ت ونبرات واحدة ، ولهذا لن تترقی تلک الاصوات إلی درجة اللغات المفهومة أبدا، ولهذا لو لم توجد المعانی والد لا لات باقیة فی لغة الانسان فهی تماثل تما ما لغة الحیوانا ت.

وکما انه من الضروری أن تمتاز أجزاء الالفاظ فیما بینها بالدلالة علی کلام موضوع، هکذا یتوجب علی أحرف المفردات والالفاظ ان تکون متمیزة مع بقیة الحروف المستعملة فی تلک المفردة، وقد سبق ذکر تقسیم المخارج والصفات وبناء علی هذا یمکن الادعاء ان الحروف العربیة قد تم وضعها علی محک الاصول والمبادئ الدقیقة ما جعلها تمتاز مع بعضها ولا تلتبس أبدا ، کما انه لا یسع للغة اعجمیة أن تماثل أو توازی اللغة العربیة فی ناحیة من النواحی فالادعاء بان الکلمات العربیةشأنها ارفع واعظم من الکلمات الاعجمیة بکثیر مثل الاصوات الاعجمیة مقابل أصوات البهائم منزلة وشأنا، فإن الاعاجم قد سعوا إلی التمییز بین الفاظ

الكلام ومفرداته لكنهم لم يوفقوا فى خلق روح التميز بين الاحرف والادوات المستعملة فى لغاتهم كما كان هذا معروفا لدى العرب، وهذا هو أساس العظمة والكرامة الذى تم عليه إنشاء الصرح اللغوى الفخم للغة العربية.

المحاكاة الصوتية

إن دراسة الصفات المختلفة للحروف ومطالعة الميزتين الاخريين اللتين تتعلقان بنطق الحروف وادائها تدل على فائدة علمية اخرى ألا وهى ان التركيز على مظهر وكيفية الصوت والاستماع الدقيق له يدفع إلى إكتشاف صورة من المعنى الكامن فى نفس الكلمة فمثلا لو استهلت لفظة من حرف الشين التى تدل على التفشى والانتشار ، فجميع الكلمات المستلهة بالشين تتلمس فيها مفهوم الانتشار والتوسع يقينا، سواء تكون الكلمة دالة على المحسوس أو المعنى، فمثلا:

الالفاظ:	المعانى
الشباب	تتوسع العواطف واعضاء البدن تنتشر فى هذه الحالة
الشبر:	تمتد الاصابع والاكف وتتوسع
الشحنة:	البوليس/الشرطة، احاطته بالمدينة وسيطرته معلومة
الشجر:	يظهر فيه مفهوم توسع الاغصان وتنمية الاوراق
الشبح	شبح الجلد اى وسعه ونشره وشبح الداعي اذا مد

يديه للدعاء

الشجر الشجر/ هو الاختلاف يظهر فيه معنى التمديد

والتوسيع بالاضافة إلى التكدر.

الشر توسعه وسيادته لا يحتاج التشريح

الشرف: الشرف /يتضمن معنى التوسع والاحاطة دون جدل

الشت: الشت/ الاختلاف معنى التوسع فيه واضح

الشتم: الشتم هو السب والذى يسمع الشتم يثور ويهتاج بديهاً

الشجاع: يتضمن معنى الاحاطة والسيادة دون شك

الشرع: القانون/ يعم الجميع

الشحم ذوبانه وانتشاره معروف

الشرح هو البيان تتجلى فيه صفة التوسع والتوضيح

المثال الثانى هو الراءمن الحروف المكررة فكل كلمة تستهل بها تتضمن معنى تكرار الفعل فمثلا

الالفاظ العلاقة

الرقش هو الرقم والكتابة بلونين مختلفين

الرقطة هو مزج اللون الاسود باللون الابيض

الرقص رقص واضطرب وحرك جسمه على إيقاع موسيقى أوعلى الغناء

الرقز	هو الرقص
رقعة	قطعةالنسيج
الرقوف	اقشعرارالجسم بشدة البرد
الركض	الفرس: استحثه للعدو
رعرعة	اضطراب المياه ونمو الطفل
رعاف	سيلان الدم من الخيشوم
رعدة	الإضطراب، يكون من الفزع وغيره

إن هذه الالفاظ كلها لا تحتاج إلى تسليط الاضواء على معنى التكرر الكائن فيها.

إن من صفات (الراء) التكرار، ومن ميزاتها اتصافها بالصفات الأخرى أيضا مثل الرخوة والجهرة والاستفالة والانحراف وغيرها، فالكلمات اللاتى تدل على معنى التكرير توجد مراعاة الصفات الأخرى المتواجدة فيها فى شكل من الأشكال، فمثلا:

الألفاظ	المعانى	الصفة
الرقاق	الأرض السهلة	الرخوة
الركز	الصوت الخفى الحس	"
الرقيق	العبد/ المائع السيال	"
الركعة المستفلة	الهوة فى الأرض	
الركوع	انحنى وطأطأرأسه	"
الرمص	بينهم أصلح	المنحرفة
الرميم المنحرفة	العظام البالية النخرة	

الرمة	أصلح شأنه	"
الرمض	الحرّ القوم: اشتد عليهم فآذاهم	

المجهورة

وتوجد فى الجيم صفات المجهورة والشديدة والقلقلة والمستفلة والمنفتحة وغيرها ، فكل كلمة تبدأ من الجيم تحمل فى ثناياها معنى الرفعة أو القوة والاضطراب وغيرها فمثلا:

الألفاظ	المعانى	الصفة
الجفا	صاحبه : اعرض عنه وغلظ	الشديدة أو المجهورة
جاب	الصخرة: خرقها	"
الجباب:	القحط	"
الجلفُ:	الاحمق تشبيها بالجلف من الغنم	"
الجِلّ	الجليل	"
الجلمد:	الصخر يقال رجل شديد صلب وارض جلمدة اى حجرة	
جاش	الصدر: غلى غيظا	
القلقلة		
جاف	بلغ بها جوفه	
المستفلة		
جنجب	الأرض السهلة	
المنفحة		

هكذا نجد (الخاء) متصفة بصفات وميزات عديدة وهى: الرخوة والمستعيلة والمصمتة والمهموسة فكل كلمة تبتدأ بهذاالحرف تجد فيها مراعاة لاحدى الصفات المذكورة اعلاه فمثلا من احد صفاته الرخوة فالكلمات المستهلة بالخاء ترى فيها معنى من معانى السهولة والرخوة.

الالفاظ	المعانى	الصفة
الخصب	رغد العيش	الرخوة
الخضب	الشجر اوالمكان: اخضر وطلع نباته	"
الخضم	الطعام اكله بأقصى اضراسه	"

ومن صفاتها الثانية الاستعلاء فنجد فى بعضها مراعاة لهذه الصفة فمثلا

الالفاظ	المعانى	الصفة
الخطر:	المثل والعدل ولايقال إلا فى ماله قدر كقوله فى ظل عيش	المستعلية
الخطير	الرفيع القدر	المستعلية

ومن صفاتها الثالثة انها منفتحة وقد روعيت فى بعض كلماتها هذه الصفة:

الالفاظ	المعانى	الصفة
الخرق:	الارض الواسعة	المنفتحة
الخريق:	الكريم السخى	"

وها انا الآن آتى الى نهاية هذاالمبحث اننى لم اذكر فى الجدول المذكور اعلاه الكلمات ومعانيها وصفات الحروف القائمة

الخريق: الكريم السخى "

وها انا الآن آتى الى نهاية هذاالمبحث اننى لم اذكر فى الجدول المذكور اعلاه الكلمات ومعانيها وصفات الحروف القائمة معها الا ليتمكن الدارس من تطبيق الصفات على الكلمات بنفسه ولكنه هذا يحتاج الى النبوغ فى مجال علم التجويد وعلىه ان يكون حاصلا على قسط كبير من الكمال فى هذا الباب، فالحاصل ان عدم ايجاد النسبة واحداث العلاقة بين الكلمات ومعانيها يكون ناشئا عن قصور ذلک الباحث المعنىّ دون قصور الأسس والاعمدة التى تأسست عليها صروح اللغة العربية.

المبحث الثانى

الحروف ومخارجها ونعوتها وإعرابها

قاعدة سهلة معروفة

والآن أنا فى صدد بيان لقاعدة تؤكد على ضرورة الإلمام بمخارج الحروف وصفاتها ضمن قاعدة سهلة تحيط بالمقصود للطلاب الذين يدرسون فيفهمونها بكل سهولة، والشرط فى هذا ان يعير الاستاذ اهتمامهم نحو هذه القاعدة.

إن العلماء العربية قد قاموا بتعيين الحروف الثلثة كالوزن وهى الفاء، والعين واللام وقد اعتقدوا فيها ان الاول و الاخير فيهما أضعف، وذلك لأن عوارض الحذف وغيرها تطرأ غالبا على الفاء واللام فقط أما العين فهى فى الوسط لهذا قد ذهبوا إلى أنها أكثر قوة عن الباقيتين، ونظرا إلى هذا لوجاءت (عين) فى كلمة مكررة فتكرار القوى يشير إلى قوة أو مبالغه تلك الكلمة فمثلا حرف العين حينما مكررا ولم يوجد فاصل بين الحرفين فلجأ العلماء إلى عملية الإدغام بينهما، وفى هذه الحالة تكون العين مشددة فهذا ما يدل على القوة والتكرار، فمثلا (تحلم) تكلف الحلم و(تشجع) وأقدم و(كسّر) اى قسمه وجعله على عدة أجزاء و قطعه قطعة و(صرف) اى صرفه مع مبالغة فإن تكرار العين يدل على التكلف والمبالغة فى هذه الكلمات كما يقود التشديد إلى ذلك بصورة أفضل،وعند ما يحصل تكرار فى العين مع فاصل بينهما سواء تكون الزيادة فى اللام أو فى حرف آخر فإن ظاهرة التكرار فى العين يشير إلى المبالغة فمثلا (خشن) خلاف نعم ولان و(عشب) نبت عشبه و(غدن) طال والتف، أما لو وجدت غلظة فى طبيعة أو كثر العشب أو طال

والتف الشعر فتضاف الشين فى الأول والثانى، والدال فى الثالث وهى عين الكلمة وتحصل من هذاالتكرار فائدة المبالغة فمثلا إخشوشن الرجل بمعنى تخشن وغضب عليه، و(إخشوشب المكان) كثر عشبه، و(إغدودن الشعر) طال والتف الشعر بكثرة أو (غشمشم) الكثير الظلم أو الشجاع الذى يركب فرسه فلا ينثنيه شيئ عما يريدون، (العصبصب) اليوم الشديد الحرب و (الدمكمك) الشديد القوى و (العركرك) الجمل القوى.

ففى ضوء هذه التفاصيل علينا أن ندرك أن إتيان كلمة ثلاثية على وزن كلمة رباعية ينتج فى ايجاد معنى جديد للكلمة فإن علماء الصرف عند ما قاموا بتحديد خواص الأبواب فقد ركّزوا على عملية وضع القواعد للصرف على أن زيادة فى الكلمات تؤدى إلى زيادة فى المعنى كما تنكشف هذه الحقيقة للذين يطالعون مغنى اللبيب لإبن هشام وكتبا للرضى وقد ذهب إلى هذه المسألة ابن جنى فى كتابه "الخصائص" بنوع من الاسهاب بأن تكرارا حادثا فى مصدر رباعى ينتج فى زيادة فى المعنى لا محالة فمثلا (زعزعه) فى معنى حرّكه شديدا، و(الجرجرة) ترديد صوت الجمل فى الحنجرة و(القلقلة) الشئَ حرّك وصوّت و(قرقر) صوت الحمام وحدير البعير أوالضحك العالى و(الصلصلة) صوت الجرس ورنينه ورجع صوته وعلى هذا القياس[1].

فلسفة الإعراب والحركات

وفى خضام هذه القاعدة المعروفة قد أشار ابن جنى إلى واقع ينم عن وضع الكلمات وإعرابها وحركاتها فى أطر الأسس والقوانين اللغوية وهى: أن إعراب الماضى والمضارع وغيرها من المشتقات

---

[1] ينظر: المزهر للسيوطى ج١ ص ٤٨

لم تظهر الى حيز الوجود بعد التفاهم والإتفاقيات أبدا بل إن تشكيل الحركات والإعراب لم يتم إلا بعد مراعاة المعانى فيه أيضا فمثلا الحرف الأخير فى الفعل الماضى يكون مبنيا على الفتح والحرف الأخير من الفعل المضارع يأتى مضموما والسّر فى ذالك أن الفعل المضارع يتضمن الزمنين من الحال الإستقبال ومن هذا المنطلق تم تحديد إعراب الضمة له وأما فعل الماضى فإنه يكشف حال الزمن الذى مضى ولهذا أختصت له حركة يشير إلى الحصول والإنصرام وعندما نحن نلفظ الفتحة والضمة مع مراعاة معانيهما ثم نطبقها على الماضى والمضارع ونبحث المناسبة فيها فتنكشف لنا أسرار المرفوعات والمنصوبات والمجرورات آنذاك فإن رفعة الفاعل تتقاضى أن تكون مرفوعة وإن تأثر المفعول يحتاج ا لنصب وعندما نلاحظ معنى الرفع والنصب ثم نلقى نظرة على حقيقة الفاعل والمفعول به فلا يبقى لنا إلا الإعتراف بأن الإعراب والحركات تكن فى ذاتهما أسرارا ودقائق حكيمة.

المضاف اليه دائما يأتى مجرورا يطلق على إعرابه مصطلح الجر والجر لغة: هو الجذب والمد ولا شك أن المضاف إليه هو يقوم بجذب المضاف إلى جانبه ولهذا خصص اعراب الجرلهـ.

والآن فلنلاحظ إلى ما ذهب إليه إبن جنى من القول فى كتابه الفذ "الخصائص" فقد قال: إن من بين أوزان المصادر وزن (فعلان) و(فعلى) وهما من أوزان الصفات أيضا، والأمر المشترك بينهما أن الحركات جاءت متواليه حيث الفاء والعين واللام عليها حركات ولا

سكون فيها ولم يختلف الإعراب كذلك. فإعراب الحروف الثلاثة فتحة، ويعتقد أن الفتحة أخف الحركات الثلاثة[1].

قد جاءت الالف والنون الزائدتان فى الصيغة الأولى بعد حرف اللام ، أما الصيغة الثانية فلا توجد فيها إلا الألف المقصورة فكل صيغة من المصدر أو الصفة تأتى على هذين الوزنين المذكورين فيتبادر الشعور إلى المتلقى أن الصيغة الأولى تحتوى على معنى التواتر والتوالى نتيجة توالى الإعراب فيها، وأما الصيغة الثانية فتدل على السرعة والخفة بدليل الألف المقصورة فيها، وهكذا يدركه كل من له حظ فى الذكاء والمعرفة دون الخوض فى معانى تلك الكلمات، فمثلا "الغليان" عبارة عن الفوران و(الغشيان) تعطل القوى المحركة والحاسة و (جمزى) و(قلىٰ) و (بشكىٰ)أى : السريع.

ومن الملاحظ لو لم يوجد توافق بين المعنى والحركات فما هو السرفى هذا وما هى خاصية هذين المصدرين، هل من المعقول أن إبن جنى هو قام بذكر مسألة إعتباطية فى صدد ذكر المحاسن والمواصفات؟ لا وكلا: فمن الواقع أن الحروف والكلمات تنم عن انسجام دقيق مع معانيها هكذا تحمل حركات الكلمات من الخصائص فى ذواتها . ولهذا سبق أن بينت مدى انسجام الفعل الماضى والمضارع والفاعل والمفعول والمضاف إليه مع حركاتها لنستشهدعبر تصريحاتنا بالآراء التى ذهب إليها إبن جنى فى بيان مسألة فعلان وفعلى. ولمزيد من التفاصيل فليراجع أصحاب الفكر إلى المصادر الأصيلة، فتفكروا وتشكروا.

---

[1] ينظر البحث مفصلا: فى الخصائص لابن جنى ، الجزء الثانى، ص ١٥٢

مخارج الحروف ونعوتها ومن بعض فوائدها المعنوية الأخرى[1]:

ودونكم فائدة معنوية أخرى متعلقة بمخارج الحروف ونعوتها.

إنه من الممكن الإلمام بفصاحة الكلمات وعدمها بعد دراسة مصطلحات أهل اللغة وليس من الممكن الإحاطة بهذه المواصفات بمجرد ذكركلمة أو كلمات بأن هذا اللفظ فصيح دون ذالك، و أن تلك الكلمة مقبولة فى الناس أو غير مقبولة، أما الألفاظ العربية فهى تحمل فى طياتها ميزاتٍ وخصائص تدل على فصاحتها أو عدم فصاحتها بمجرد اجتماع تلك الكلمات والنظر إلى خصائص الحروف فيها، فمثلا كلمة ثلاثية لو نلاحظ فيها مخارج الحروف المشتملة عليها فنجد أنها مترتبة من الأعلى إلى الأوسط ثم الأدنى فالسهولة فى نطقها تؤشر إلى فصاحتها دون شك، فمثلا كلمة "عذب" فى معنى المستساغ من الشراب والطعام، فالعين مخرجها الجانب الأولى من الحلقوم، والحرف الثانى هو الذال المعجمة ومخرجها حافة اللسان أى الأوسط وأما الحرف الثالث فهو الباء ومخرجها الشفة اى الجانب الأدنى من الحلقوم. فالمتلقى لو لم يكن ملمّا بمعنى تلك الكلمة أو هو غير واع بأنها فصيحة او ثقيلة على اللسان العربى لكنه مطلع على الحروف ومخارجها ونعوتها فيمكن له أن يدرك مدى فصاحة تلك الكلمة بعد ادراك عملية ترتيب المخارج من الحروف.

إن العلامة جلال الدين السيوطي رحمه الله قد أسهب فى كتابه "المزهر فى علوم اللغة وأنواعها" ميزات وخصائص الكلمات بصورة رائعة مفاده لو لم توجد "طفرة" فى مخارج الحروف فيعتبر هذا اللفظ سلسا على اللسان وفصيحا فى مظهره، وفى حالة وجود

طفرة فهى تكون ثقيلة على اللسان واقل مرتبة فى الفصاحة نسبة إلى الكلمة السالفة الذكر.

الطفرة لغة: الوثبة في إرتفاع، أما اصطلاحا (فى بيان مخارج الحروف) فهو الوصول إلى مخرج بعيد غير منسجم بدل مخرج قريب ومؤانس، فمثلا التوجه من المخرج المتوسط متروكا وهذا ما تعرف بالطفرة[1]. ولمزيد من التسهيل فى البيان أنا فى صدد ذكر تركيب الكلمة الثنانية عشر ناقلا من الكتاب المزهر فى علوم اللغة وأنواعها حتى يتمكن الباحث من الاطلاع على مراتب فصاحة الكلمات العربية ودرجاتها.

فصاحة الكلمات العربية:

قال: فى عروس الأفراح: رتب الفصاحة متفاوتة، فإن الكلمة تخف وتثقل ، بحسب الانتقال من حرف إلى حرف لا يلائمه قربا أو بعدا، فإن كانت الكلمة ثلاثية فتراكيبها اثنا عشر:

١. الأول . الانحدار من المخرج الأعلى إلى الأوسط إلى الأدنى، نحو "ع

د ب"

٢. الثانى. الانتقال من الأعلى إلى الادنى إلى الأوسط نحو "ع

ر د "

٣. الثالث. من الأعلى إلى الأدنى إلى الأعلى نحو " ع م ه"

٤. الرابع. من الأعلى إلى الأوسط إلى الأعلى نحو "ع ل ن"

٥. الخامس. من الأدنى إلى الأوسط إلى الأعلى نحو "ب دع"

٦. السادس. من الأدنى إلى الأعلى إلى الأوسط نحو "ب ع د"

٧. السابع. من الأدنى إلى الأعلى إلى الأدنى نحو " ف ع م"

---

[1] المزهر للسيوطى ، الجزء الأول ص ١٩٨ بحث فى رتب الفصاحة

٨- الثامن- من الأدنى إلى الأوسط إلى الأدنى نحو "ف د م "

٩- التاسع- من الأوسط إلى الأعلى إلى الأدنى نحو "د ع م"

١٠- العاشر- من الأوسط إلى الأدنى إلى الأعلى نحو "د م ع"

١١- الحادى عشر- من الأوسط إلى الأدنى إلى الأوسط نحو "ن ع ل"

١٢- الثانى عشر- من الأوسط إلى الأدنى إلى الأوسط نحو "ن م ل[1]"

أثر الحروف ونعوتها ومخارجها على فصاحة الكلمات

هذا، وفى جانب تساعد الإحاطة بمخارج الحروف على الاطلاع بنعوت الحروف بصورة مضبوطة فمثلا فى العربية يقولون: "تركت ناقتى ترعى الهخع" فإن كلمة هخع تتألف من ثلاثة أحرف وهى كلها حلقية ومن الظاهر أن إجتماع ثلاثة أحرف حلقية فى كلمة واحدة يدل على عدم فصاحتها وثقلها على اللسان ، زد على ذلك أن هذه الحروف الثلثة من المصمتة وكون الكلمة متألفة من المصمتة دون المذلقة دليل على حوشيتها ونظرااإلى هذا ذهب علماء العربية إلى القول بأن الكلمة الرباعية أو الخماسية لو تم تركيبها من الحروف المصمتة فهى لا تعد من الألفاظ العربية أصلا، إلا أن كلمة ثلاثية لهذه تعد عربية نظرا إلى شموليتها لكنها تبقى غير فصيحة بالإضافة إلى ثقالتها.

وقد ظهر هذا فى شعر إمرئ القيس إذ قال: "غدائر مستشزرات إلى العلى"[2] حيث جاءت كلمة مستشزرات غير فصيحة والسبب هو أن الشين فيها همس ورخوة، ووقعت بين التاء التى من

---

[1] راجع المزهر للسيوطى ص ١٩٧

[2] تكملة البيت: تظل العقاص فى مثنى ومرسل، ينظر المزهر للسيوطى ج١ ص ١٨٥

صفاتها همسة وشدة وبين الزاء التى هى مجهورة وقد جعلت الإختلافات هذه (مستشزرات) غير فصيحة، وعندما تلفظ هذه الكلمة فلن تتمكن من أدائها إلا بعد ضغطة على اللسان.

القوانين التى قام علماء العربية بوضعهافى مجال فصاحة الكلمات تفيدنا بعد دراستها مدى دور المخارج وصفات الحروف فى جعل الكلمات فصيحة وإن تواجد التنافر فى كلمة أو صعوبة أدائها على اللسان دليل على عدم إنسجام بين مخارج الحروف وصفاتها وهذا هو خير برهان على عدم فصاحتها وثقلها على اللسان فمثلا لووجدت كلمة تم تركيب حروفها من مخرج واحد أو مخرج قريب أو جل حروفها مصمتة او اجتمعت فيها حروف من الصفات المتضادة ففى جميع هذه الأحوال يمكن القول بأنها نابية أو هى وحشية أو متروكة ولا بد من براعة ومهارة وصيطرة كاملة على مخارج الحروف ونعوتها لمثل هذاالإحتكام.

قد اشتهر فى الكلام العربى قول فى الغرابة لعيسى بن عمرو النحوي حيث وقع يوما من ظهر فرسه مغشيا عليه والتف حوله جمع من الناس ولما رجع إلى رشده وأفاق فضجر الناس المتلفين وهو غضبان قائلا : "مالكم تكأكأتم كتأكؤكم على ذى جنة إفرنقعوا" فإن مظاهرالغرابة التى تحتوى عليها الجملة هذه يدركها طالب من له أدنى إلمام بالموضوع سواء لم يعلم معانى هذه الكلمات ، ولوقال: "مالكم اجتمعتم على كإجتماعكم على ذى جنة نحّوا"[1] لما كان المتلقى يواجه صعوبة فى فهمها ولا نطقها كما أن وجود ضغطة فى الجملة جعلتها من الألفاظ الغريبة والمتنافرة.

---

[1] ينظر: المزهر للسيوطى ج١ ص ١٨٦

فإذا ألقينا نظرة علمية على هذه الظواهر فنجد أن اللغة العربية قد جعلت حروف هجائها ومخارجها وصفاتها عاملة لصالحها ونظرا إلى هذا سعت أولا إلى نطقها وأدائها بإجراء قواعد ودساتيروبعد ذلك ذهبت إلى إدراك معانيها أولا وإلى تمييز فصيحها من دونها ثانيا.

اللغة العربية وإحتوائها بآلات الصوت:

والآن عند ترسخ هذا الاعتقاد بأن اللغة والألفاظ قد وضعت توفيقية وأن الإنسان هو نفسه قام بتدوينها ووضعها ففى هذه الحالة لا مفر من الإعتراف بأن قوانين وضع الكلمات التى تم إيجادها من قبل وضاع اللغة العربية إنها أفضل القوانين أصالة وعمقا. وأنه لم يظهر قانون فى حيز الوجود أفضل او أقل درجة منها.

إنه من الواقع أن كمال كل عضوء من أعضاء البدن أن يقوم بتأدية خدماته كاملة بحيث لا يبقى الشطر الأدنى منه عاطلا ومحروما، فمثلا وهب الله العين ليبصر بها الإنسان فالعين التى تقوم بوظيفتها بصورة أفضل تعتبر متكاملة، وعكس ذلك فهى ناقصة غير متكاملة وأقل شانا من الأولى وهكذا من له عينان أفضل وأعظم منزلة من الذى رزق عينا واحدة وفى جميع الأحوال أن العذر والنقص من علائم الخلل والعطل.

وانطلاقامن هذا المبدأ لو دققنا النظر واحتكمنا إلى العقل فى مسألة النطق حيث جماعة من الناس ذهبوا إلى إستخدام جميع الآلات الصوتية فى مجال النطق ولم يبق مثقال ذرة من تلك الآلات عطالة ومهملة، وفى هذا الباب عند ما نلقى نظرة إلى صوت الإنسان ونطقه نسبة إلى أصوات الحيوانات والبهائم فنجد أن كل لفظة خارجة من فم الإنسان لها دلالة على مفهوم بغض النظر إلى

دلالتهـــا الطبيعـــة او الوضـــعية أو المطابقيـــة أو التضـــمينية أو الإلتزاميـة، ثـم لوأمعنـا النظـر فـى الموصـفات المودعـة فيهـا فتأخـذنا الدهشة والاستغراب بما نشاهده من غرائب ولطائف.

إن دلالـة الالفـاظ علـى معانيهـا بحيـث يـدل الحـرف الاول مـن الكلمـة علـى أعـراض المعنـى الاولـى والثـانوى وأن ترتيـب الحـروف وتاليفها ينم عن مكانتها السامية فى باب الفصاحة ومـا إلـى ذلـك مـن مؤاصفات وميزات لن تتأتى إلا فى اللغة العربية.

فهل من المعقول أن يذهب خبـراء علم اللغـة إلـى تحديد القـول بأن اللغة العربية تماثلها لغة أخرى بل تفوقها بعض الأحيان؟ وهل هـؤلاء النـاس يوثـق علـى عـدالتهم واحتكـامهم فـى هذاالشـان؟ وهـل بإمكانهم إقامة دليل على أن هناك لغة أخرى غير العربية أحاطت جميـع أجهـزة الصـوت وأن عمليـة التـاليف الحرفـى كلمـة تشـهد علـى فصاحة المعنى ولو كان هذا الامر المستحيل يمت إلى الواقعية بصلة لما كان فطاحلة أوربا ذهبوا إلى القول أوالإعتقاد بأن اللغات ناشئة عن التفاهم أو توفيقية هى.

إنـه مـن الواقـع إن التقدم فـى الأمـور الماديـة ومظـاهر التطـور المدهش فى مجال الكيمياء والهيئة والإلمام بحقائق الصوت والنور شئ والإستمتاع بالدقائق والكنوز المعرفية واللغوية شئ آخر.

وحدة المعنى والشكل الصوتى:

ما دامت اللغة العربية مقتصرة بين عرب المدر والوبر كانت العـرب علـى إلمـام تـام بميـزات وخصائصـهم ومـا تحتـوى عليهـا مـن حكـم ودقـائق ولطيفـة وعنـدما غمـرت أشـعة الإسـلام البـاهرة ربـوع المعمورة واستنارت بضيا ءها الخالد قلوب أعجمية ودعت الحاجة إلى تدريس الأعاجم اللغة العربية وتثقيفهم بميزات تركيبها ونظمها،

فانطلاقا من هذا المبدأ قام سيبويه وخليل بتأسيس مناهج دراسية ثم جاء إبن جنى وقام بإنشاء مبنى هذاالمنهج وأخيرا تفسيرات وإيضاحات جلال الدين السيوطى حديقة غناءة مملوءة بأورع الألوان والخلابة من الزهور الزاهية ما تدخل البهجة فى النفوس، فشكل الكلمة كان له علاقة وطيدة بالمفهوم والمعنى، وقد أشار إلى هذه النكتة اللطيفة الخليل وسيبويه فقد قالا: إن كلمة (جندب) تدل على طول الصوت، وإن صوت الباز (طائر معروف) مشعر على الإنفصال والإنقطاع ونظرا إلى هذا قام أهل العربية بوضع لفظة(صر) للجند ب و(صرصر) للباز، وقد أشار سيبويه وخليل من خلال هاتين الكلمتين إلى هذه الطريفة النادرة أن الصاد من حروف الصفير وأن وضع كلمة دالة على صوت طائر صغير الحجم تستهل بلفظ الكاف ودال على صفة صفير، وأما الثانية فهى "الراء" التى جاءت مشددة فى موضع ثم ذهبت على طولها كما أنها فى الكلمة الثانية صارت ساكنة بعد أن كانت طويلة، وهكذا انقطع هذاالطول مثلما يوجد التقطيع فى أصوات الباز، بالإضافة إلى صفة التكرير فى حرف الراء، وإن جدارته لهذا الصوت لا تخفى على أولى الألباب[1].

إن علماء العربية حينما بحثوا فى هذه المسئلة فذهبوا إلى سرد أربعة أمثلة أخرى أيضا فمثلا "قضم" يطلق على مضغ شئ خشن أوجافٍ، وأما إذا كان هذا الشئ ناعما وطازجا فتعبره العرب عن (الخضم) والسرفى ذلك أن الخاء من حروف الرخوة أى الناعمة، وأما حرف القاف فيدل على الصلابة وهو من حروف الشدة، وهكذا يطلق (القط) عند ما يقطع شئ عرضا و(قدّ) عند ما يقطع الشئ

---

[1] المزهر ج١ ص ٤٨

طولا فحرف الطاء يشتمل على السرعة وحرف الدال فى صوته طول ، ففى المثال الأول تتناغم شدة حرف القاف بالصلابة والخشونة ورخوة حرف الخاء تنسجم بنعومة الشئ وطراوته كما أن سرعةحرف الطاء أو طول حرف الدال فى المثال الثانى تدلان على نسبة معروفة بين الطول والعرض.

وقد ذهب العلماء من المتأخرين فى ذكر مزيد من المثالين فى هذاالصدد رامين تسليط الأضواء للدارسين من ذوى الألباب فى هذا المجال، فقالوا: إن لفظة (شد) تدل على إحكام الوثيقة والتهذيب و(جرّ) على معنى الجزم، فالشين فى الكلمة الأولى من حروف التفشى والدال المكررة من حروف الشديدة وهى التى تنبئ عن التوسع والإنتشار، ووجود حرف الدال دالٌ على الشدة وإجراء عملية إدغام فيها مشعر عن الإحكام والتوثيق.

أما كلمة (جر) و(جد) فالراء فيها من حروف التكرير وأن عملية الإدغام والتكرار تكشف عن معنى الجذب والجر وحرف الجيم فيها من حروف الشدة وبه ابتدأت الكلمة ولا بد لعملية الجذب من القوة والشدة ، والشئ الذى يمر بهذه العملية يعانى من التكرار دون شك أشارت الراء إليها.

وبناء على هذه الأمثلة ظل أساتذة مادة اللغة العربية دائبين فى إيجاد انسجام وتناغم بين المعنى والحروف وإيقاظ هذاالنوع من التذوق بين فئات الناشئين من الطلبة وهم فى مراحله الإبتدائية ، حيث كان الطالب الناشى قد درس مخارج الحروف فى كتاب "پنج گنج" وهو ثانى كتاب فى المنهج النظامى بعد كتاب "ميزان الصرف" المتبع عليه فى المدارس الدينية الهندية.

فالطالب يتلقى أولا أقسام الأفعال وتصاريفها ومن خلاله يستوعب المصطلحات الخاصة بالموضوع وقواعدها كالمعروف والمجهول والمثبت والمنفى والمؤكد وغيره فى أسلوب سلس ورشيق ، ومن ثم يحفظ إعراب الصيغ ومعانيها ، وهذا الباب من الكتاب يدعى بـ "ميزان الصرف" وبعده تأتى مرحلة تحفيظ الأبواب من الثلاثى والرباعى والمجرد والمزيد، وهذا الجزء من الكتاب يعرف بـ "المنشعب" ثم يدرس الطلاب قواعد التصريف والتعليل ليتمكنوا من استيعاب المظاهر التعليلية التى طرأت على صيغة ما وهذا النوع من الكتاب يعرف بـ "پنج گنج"

وبعد إجراء عملية قواعد التعليل والتصريف تأتى مرحلة تدريس فن الصرف، فالكتاب الذى يتناول هذاالنوع من الموضوع إلى إبراز الدقائق العلمية والأسرار المعرفية التى يحملها هذاالعلم فى طياته ، حتى يتمكن المتلقى من إدراك سرا التناغم والإنسجام الحرفى مع ضبط معانى المفردات دون التركيز على حفظ مخارج الحروف فحسب، أما إذا أصبحت عملية التدريس قائمة بمنظور تجارى (كما هو المتداول فى يومنا هذا منذ زمن طويل) فيبقى المتلقى فى معزل عن إدراك حقائق هذا العلم وأسراره حتى بعد تخرجه، وخير دليل على ما أقول هى الأمثلة العربية تتحدث عن محاسن وميزات اللغة العربية، والتى سبق ذكرها آنفا، وهى: (الصَرّ) و(الصِرّ صِر) و(الخَضَم) و(القَضَم) و(الكَد) و(القَط) و(الشدُّ) و(الجَرُّ) فهم لا يجهلون تماما عن خصائص الحروف وسماتها ونعوتها المختلفة التى تتضمنها.

لهذا رأيت من الأنسب أن أقوم بذكر بعض الميزات والسمات حتى يتمكن المعنيون والإكاديميون من الباحثين الوصول إلى كنه

الأسرار المعرفية وتتنشط فيهم مواهب البحث العلمية وتنكشف أبواب المعارف وكنوزها وهى تعنى الكثير لدى أصحاب العلم والمعرفة.

المبحث الثالث

تركيب الحروف واثره فى تقريب المعنى

نأتى الآن بعد هذا المبحث إلى دراسة الميزات التى تتمتع بها اللغة العربية بعد عملية التركيب بين الحرفين المختلفين و مدى تاثيرهما على تقريب المعنى.

ولكون الحرف الاول من الكلمة دالاً على ظاهرة المعنى هو غير معنى الحرف الثانى من الكلمة فلا بد لهذا الغرض التركيز على صفات وميزات للحروف بأسرها فأى جانب من جوانب المعنى يدل عليها الشكل المركب من الكلمة، فعملية المزج تدفع الكلمة إلى خلق روح جديدة وظاهرة حديثة.

ان هذا النوع من التغيير والتاثيرالغريب للالفاظ العربية لن يستوعبه الا من له إلمام بعلوم الكيمياء وتاثيراته الغريبة بأنه هو يقوم كل يوم بهذه التجارب فى مختبره، و كيف يمكن له أن يحدث نوعان مختلفان شيئا جديدا ثالثا بعد وظيفة التركيب والمزج بينهما، وانطلاقا من هذا لو شاهدنا هذا التغير الطارئ فى هذا المثال ليتضح الأمر جليا حيث يؤدى اللون الاصفر والازرق يؤدى إلىٰ ايجاد لون جديد غير لونهما السابق، ألا وهو اللون الأخضر، وبعد هذه العملية لا يجدينا فتيلا البحث عن وجود الازرق والاصفر، فان عملية التركيب والمزج قد قضت على اللون السابق وبالتالى حولته إلى لون جديد، هذه هى نفس الحالة للحروف العربية ودلالاتها، وبهذه المناسبة عند ما ناخذ الحرف الاول من الكلمة فمن الضرورى البحث عن صفاته وعلاقاته مع المعنى والدلالة وعند ما يتركب

الحرف الاول والثانى فى شكل كلمة فلن يعتبر آنذاك كل صفة من صفاتهما على حدة، بل هذا التركيب يدفع الكلمة إلى اتصافها بصفة ثالثة غير الصفات السابقة وهذه الظاهرة الجديدة تكون ملاحظة ومقبولة، فمثلا الجيم من صفاتها الجهر والشدة والاستفالة والاصمات والقلقلة. أماالميم فمن صفاتها التوسط والاستفالة والانفتاح والإلاق والجهر.

ومن بين صفات الحرفين المذكورين نجد ثلاث صفات مشتركة بينهما رغم صفات اخرى يمتاز بها حرف عن الآخر والآن عند ما يتم تركيب هذه الحروف ذات الصفات المشتركة فيما بينهما فتزول صفاتها الخاصة المتواجدة فيهما جراء عملية المزج والكسر والانفعال وتظهرهناك صفة جديدة، فى ضوء هذا الايضاح يمكننا القول: إن الكلمات التى تجتمع فيها الجيم والميم يؤفرفيها معنى الاجتماع والحصول فمثلا (الجمع) و(الجمعة) و(الجماعة)، هذه الالفاظ نستعملها فى حياتنا اليومية عادة، وان معنى الوجود والاجتماع الذى يُكِنها هذه الالفاظ لا يحتاج لمزيد من الشرح والايضاح واليكم نبذة من المفردات تدل على هذا المعنى.

اللفظ:	**المعنى:**
جم	الكثير من كل شىء
الجُمهورُ من كل شيئ	معظمه، ومن الرمل ونحوه: ماتراكم وارتفع.
جمزة ج جُمَز	برعوم النبت الذى فيه الحبة
جمار	الجماعة، القوم المجتمعون
الجمد	الصلب المرتفع من الأرض
جمح فلان كذا	أسرع

الجمال	البالغ فى الجمال، الحسن
الجمل	حيوان معروف يكون بسنام او سنامين

ومن الصعب تحديد قاعدة معينة فى هذا الباب للتعرف على كنه المعانى المستحدثة بعد تركيب الحروف المختلفة لان هذا لن يتأتى الا من له نبوغ فى هذا العلم والذى يستوعب صفات الحروف وخصائصها ويسع إلى تطبيقها على المعانى والدلالات، فالباحث الذى يريد التضلع فى هذا المجال عليه دراسة اللغة العربية دراسة متأنية بحيث يحاول البحث عن العلاقات والصلات بين الأفعال والاسماء ومعانيها، هذا مايؤدى إلى خلق روح العلم والمعرفة فى هذا الشأن، ولغرض من التسهيل فى مجال التدريب والتمرين اذكر فى هذا الشأن مزيدا من الامثلة:

الهمزة والباء:

يدل اجتماعها فى كلمة على معنى البعد والفراق والتنافر والوحشة فمثلا

الالفاظ:	**المعانى:**
أبّ	تجهز، تهيأ
أبَتَ	اشتد حره (النهار)
ابَرَ	اصلحه (الزرع)
أبَزَ	وثب وركض
أبس	مَهر وعاب
أبق	هرب من سيده
ألّه عن الشيء	ابتعد عنه
أبى	كره، لم يرض

الهمزة والزاء:

يدل اجتماعهما على معنى الضيق والسآمة فمثلا

الالفاظ:	المعانى:
ازبٌ	القصير، اللئيم
اَزجَ عنه	تثاقل، وتحلف
اَزَح	تباطأ وتخلف
اَزر المجلس	احاطه به، غطاه
اَزق صدره	ضاق
اَزلَ	وقع فى ضيق وشدة
اَزَم	اشتد قحطه

الباء والحاء:

يدل اجتماعها على معنى البحث عن الشىء والتفتيش عنه.

الالفاظ:	المعانى:
البحت	الصرف الخالص
البحث	طلب الشىء تحت التراب
البحر	الشق، (ارض) خلاف البر.

الباء والدال المهملة:

يدل اجتماعهما على معنى البدء والظهور

الالفاظ:	المعانى:
بدأ	أخذ وشرع
بدح بالسر	باح به
بَدَّ	أبعد وكف
بدر	ما بدر به الزراع أول الزمان
البِدعُ	المحدث الجديد، العجب
بدل	وجعته عظامه أو مفاصله

بدَدَ فرقه

الباء والذال المعجمة:

يدل اجتماعها على معنى الإخراج واظهار شيءٍ

الالفاظ:	**المعانى:**
بَذأ	فحش، سفه
بذح	شق
بذِر	أفشى السِّرَ
بذع	قطر الماء (البذع: ما قطره الأناء من الماء)
البذل	العطاء، الكرم

الباء والراء المهملة:

يدل اجتماعها على معنى الظهور أيضا

الالفاظ:	**المعانى:**
بَرَأ	خلقه من العدم
البرثُ	الدليل الماهر
بَرَجَ	ظهر وارتفع
بروز	الخروج إلى البراز أى الفضاء
برش	كان على جلده نقط بيض
برص	اصابه البرص
برض	خرج الماء من العين قليلا

الباء والزاء المعجمة:

يدل اجتماعها على الخروج والظهور:

الالفاظ:	**المعانى:**
بَزَجَ ...ُ	فاخَرَ
بزر	بذر

بزّ	اخذه الشيء بجفاءٍ وقهرٍ
بزع	صار الغلام ظريفا، مليحا
بزغ	طلع
بزق	بصق
بزل	انشق ناب البعير
بزم	عض بمقدم اسنانه
بازق بالحق	ظاهر بالحق

الحاء والجيم:

يدل اجتماعهما على المنع والإحجام:

الالفاظ:	**المعانى:**
حجب	منعه من الدخول
حجر	منعه
حجز	منعه وكفه
الاحتجاف	المنع
الحجل	القيد (ج أحجال)

الحاء والراء:

يدل اجتماعهما على الصعوبة أو المكروه:

الالفاظ:	**المعانى:**
الحر	ضد البرد
الحرب	المقاتلة والمنازلة
الحرد	الغضب
الحرق	أثر الاحتراق

الحاء والفاء:

يدل اجتماعهما على الجمع:

الالفاظ:	المعانى:
حَفَّ	جمع
الحفظ	منعه من الضياع والتلف
الحفل	الجمع من الناس
الحفنة	ملأ الكفين

الحاء والقاف:

يدل اجتماعهما على الثبوت

الالفاظ:	المعانى:
الحق	الموجود الثابت (ضد الباطل)
الحقر	الأرض الصالحة للزراعة
الحقاب	ما تشده المرأة على وسطها تعلق به الحلى

الخاء والدال:

يدل اجتماعهما على التاثير والتفعيل فى الشىء

الالفاظ:	المعانى:
الخدب	خدبته الحية : عضته
الخدش	أثر الخدش
الخدع	أظهر له خلاف ما يخفيه وألحق به المكروه من حيث لا يعلم

المبحـــث الرابع

نظرية سوفسطائية وتفنيدها

الحرف الثالث فى ميزان الحقيقة

فى ضوء الأمثلة الماضية يمكننا القول: إن علماء اللغة ودراساتهم فى باب الكلمات العربية ومفرداتها ترمى إلى أن مزج الحرفين المختلفين وتركيبهما يدفعان إلى تقارب المعنى والمفهوم وهذا أمر، لا يتطرق إليه شك.

ولمزيد من الشرح وبيان الحقيقة وكشف اللثام عن هذه الدلالة لابد من مزج حرف ثالث للدلالة على معنى حقيقى للكلمة رغم الاعتراف بأن الحرف الثالث لن يخلق روحا جديدة مثل الحرفين الذين قبله ودورهما فى تادية المعنى لأنهما قد اشتركا معا فى خلق مفهوم جديد بعد عملية المزج والتركيب السابق فإن وجود الحرف الثالث لن يتمكن من تأثير عميق يؤدى إلى إبطال المعنى السابق بل إنه يسعى إلى تقوية المعنى المستقل وتوحيده فيكون معينا ومساعدا للمعنى السابق.

مثال الجنس والفصل:

ويمكن فى تقريب الفهم الاستناد إلى قاعدة منطقية معروفة اذ تقول: من الضرورى وجود الفصل بعد الجنس، وينقسم الجنس إلى قسمين: الجنس البعيد وهو يقوم بتقريب حقيقةالمعنى والثانى: الجنس البعيد وهو يدل على النوع الحقيقى وكنهه فمثلا الإنسان نوع

ولو قيل فى تعريفه بأنه جسم نامٍ فهو يدل على أشياء توجد فيها صلاحية النمو والنشأة، وهذا يعم الانسان وغيره أيضا.

إن الحرف الأول من لفظ (قطع) من جنس القاف يمكن القول فيها بأنه يوجد فيها معنى القوة.

دلالة الحرف الأول:

وعند ما إمتزج الحرف الثانى من الحرف الأول فى الكلمة فقد جرت هذه العملية إلى اختراق نفس التأثير الذى يوجد فى باب تعريف النوع من الجنس القريب يعنى لو قيل فى تعريف الانسان إنه حيوان، فهو جنس قريب له فهناك تخرج الأشياء التى لا تتحرك بإراداتها ومشيئاتها فى هذا الحد، وفى هذه الحالة يتقلص نطاق الجنس البعيد فى ضوء مصداقية الحيوان وتكون حقيقة الإنسان أقرب إلى الفهم.

دلالة الحرف الثانى:

وهكذا عند ما يمتزج حرف الطاء بصفته مع الحرف الثانى من الكلمة مع القاف الذى هو الحرف الأول فيدل هذا على مفهوم القطع والذى يفهم منه معنى القوة والشدة النابع من عملية القطع فحسب، وأما الحالات ومظاهر القوة الأخرى قد خرجت عن نطاق المفهوم.

وحتى هذا الحين لم يتم كشف القناع عن حقيقة الانسان بمجرد تعريف الحيوان فيه إلا إذا اضيف الفصل فى تعريفه مع الجنس القريب حتى قيل فيه هو حيوان ناطق فهنالک تم المفهوم وظهرت حقيقة الانسان للأعيان بمعنى الكلمة وهكذاعند ما تقوم بمزج الفصول المختلفة مع الجنس القريب يتسنى لک الإلمام بحقيقة جميع الانواع.

دلالة الحرف الثالث:

وهذه نفس الحالة للحرف الثالث بعد مزجه بالكلمة فالتاثير الذى ظهر جراء تركيب الحرفين السابقين يظل مشتركا بين هذه الحروف الثلثة وأن الحرف الثالث لن يقوم إلا بإضفاء روح القوة وإلباس معنى النوع الحقيقى على مضمون الكلمة المعنية وسيكون هذا موضع بحث ونقاش خلال الصفحات الآتية بصورة جليلة إن شاء الله.

نجد فى علم المنطق قاعدة معروفة وهى "كل ماله جنس فله فصل" وبناء على هذا يمكننى القول: إن الحرف الثالث أو الأخير، لن يتعين معناها بتاتا وهذا من الثوابت اليقينية.

تتخرج الأنواع المختلفة من الفصول المختلفة:

ولاشک فى أن مزج الحرفين يلعب دورا ملموسا فى تقريب المعنى ومع هذافمازالت الحاجة ماسة إلى تركيب الحرف الثالث أيضا، فمثلا كلمة الحيوان تدل على أنواع كثيرة من الفرس والأسد والحمار وحتى الإنسان ولكننا عند ما قلنا: "الحيوان الناطق" فلا يفهم منه إلا الإنسان و إن دلالة الحيوان المفترس لن تتعدى إلا على الأسد دون الفرس، والناهق على الحماركذلک.

فلما كان وجود الفصل ضروريا لغرض إبراز النوع فلابد هناک وجود الحرف الثالث للألفاظ العربية فكما أن الجنس من حيث أنه جنس لا وجود له فى الخارج هكذا ليس من الممكن اتخاذ حرفين فى كلمة كمادة فى الألفاظ العربية فالحرفان فى العربية بمثابة الجنس القريب فى اصطلاح المنطقيين.

اللهم إذا كانت الكلمة رباعية أو خماسية فهناک يكون الحرف الرابع أو الخامس فى حكم الفصل وأما الحروف الباقية فهى تحل محل الأجناس البعيدة والحرف ما قبل الأخير يكون بمنزلة الجنس

القريب فالثالث فى الرباعى والرابع فى الخماسى مثلا، ومن خلال هذا المبحث علينا أن ندرک جيدا هذا القدر من المعرفة رغم أننى قد سعيت فى شرح مفهوم واحد إلى أساليب عدة ومكررة واضطررت إلى ذلک وليس الغرض من وراءه إلا تفنيد الإدعاء الزائف الذى قام بها مستشرق، ويتوقف فهمه على المباحث السابقة الذكر ولهذا رأيت من الأفضل التفصيل والإسهاب فى هذا الصدد ليكون أشمل وأعم فائدة.

الثلاثى ومشتقاته:

ولنخطو إلى الأمام ونرى مدى تأثير الحرف الثلاثى بعد التركيب فى مابينه وكيف يستقر معنى جديد ومحدد فى جميع الكلمات المركبة من تلک المادة.

فرغم الاختلاف فى الحركات و إضافة الحروف تتنوع معانى تلک الكلمات لكن مفهوما مشتركا ومعنى مشخصا يظل سائدا فى جميع الكلمات المشتقة من تلک المادة وهذه ميزة رائعة يستوعبها كل من له إلمام بالعربية بنوع ما فمثلا:

مادة (أ ث ر) كل كلمة مشتقة من هذه المادة يدل على معنى الأثر والوصمة البتة وعند ما تختلف الحركات والصيغ والإشتقاقات فلا شک أن هذه العمليات تضفى إلى الكلمات معانى متنوعة وعديدة وأحيانا يذهب اللغوى بإضافة حرف فى أول الكلمة أو وسطه أوآخره إلى إبراز معنى جديد و إليكم نماذج على هذا فى الأسطر التالية:

الأثر: ما بقى من رسم الشئ. ج آثار وأثور.

الإثر: أثر الجرح وما تبقى من علاماته. ج آثار وأثور: أثر الجرح

الأثرة والاثيرة: المكرمة المتوارثة والفعل الحميد، عبارة عن تراث الآباء والأجداد ومفاخر الأسلاف.

الأثيرة: يترك أثرا عظيما، يقال فرس أثير أى عظيم أثر الحافر.

(٢) مادة (ب ح ر) تدل جميع الكلمات المشتقة من هذه المادة على معنى الكثرة والزيادة يقينا فمثلا:

البحر: خلاف البر (كل نهر عظيم)

البحرة: الروضة الغناء

البُحَرُ: مرض السل (المرض الذى يهدد الحياة عند ما يشتد)

البَحيرُ:الإنسان الذى أصيب بمرض السل.

(٣) مادة (ج ن ن) كل كلمة مؤلفة من هذه المادة تدل على معنى الخفاء يقينا فمثلا:

الجنون: مصدر: من "جن" أى زال عقلة واستتر

الجنن: الميت

الجُنة: الترس (يستر حامله)

الجَنة: الأرض أخرجت زهرها

الجن: مخلوق مزعوم بين الإنس والأرواح سمى بذالک لإستتار واختفاءه عن الأبصار.

الجنين: الولد مادام فى الرحم.

(٤) مادة (س ل م) تلتزم هذه المادة معنى الأمن والسلم

السلام: السلامة والوقاية

السُلّم: المرقاة وهو ما يرتقى عليه سواء من خشب أو حجر أو مدد ويسعد وينزل به الإنسان سالما.

السِلم: هو الصلح ـ الأمن فيه ظاهر.

سَلَمَ: قام يبيع السلم (سلم الثمن وحدد السعر)

الإسلام : الإطاعة والإستسلام

مادة (ق ط ع) الكلمة المؤلفة من هذه الحروف تدل على معنى الفصل والبت فمثلا:

القطع: البقعة من الأرض إذا كانت مفروزة

قَطَع: جزّه وأبانه وفصّله

القَطِعُ: من ينقطع صوته

اقطاع وقطع: طائفة من الليل.

اقطاع وقطع: طائفة من الليل تكون من أوّله إلى ثلثه.

قِطعة: نصل صغير عريض سمى به لأنه مقطوع من الحديد

قُطعَه: ما قطع من الشئ.

خلاصة المباحث الماضية:

المباحث التى ذكرتها فى الصفحات الماضية لو سعينا إلى اعادة ذكرها مجملا فهو يسعفنا تماما فى فهم هذا الرأى الذى فى صدد ذكره الآن، ففى البداية ذكرت أن الحرف الأول الذى تبتدئ به الالفاظ العربية ، لو القينا نظرة على عوارضه ونعوته فيسوقنا هذا إلى ادراك مفهوم الكلمة ومعناها كما يحصل عند ذكر الجنس البعيد أو العوارض الذاتية للكلمة فمثلا حرف القاف يتمتع بنعوت تالية: الجهر والشدة والاستعلاء والانفتاح والاصمات والقلقلة، وهذه صفات تجعل الحرف المتصف بها قويا ومتينا، والآن يسعنا أن نفهم أن الكلمات التى توجد فيها مثل هذه الحروف تدل على معنى القوة والشدة وتعتبر اقوى دلالة واشد قوة من حيث المعنى والمفهوم فمثلا:

دلالة حرف القاف:

الالفاظ **المعانى**

القؤوب والمقأب: الكثير الشرب

الإناء القؤأب: الكثير الأخذ للماء.

القب: الفحل رئيس القوم وسيدهم الذى عليه مدار أمرهم.

القبة: ج قباب وقبب بناء سقف مستدير مقعر

القتل: الإماتة، الضرب الشديد.

القِثاء: نوع من النبات ثمره يشبه ثمر الخيار.

القحب: الذى يأخذه السعال، المسن.

القَدّ: قطع الشئ مستأصلا أو طولاً.

القدح: ج أقداح ، إناء يشرب فيه ويستعمل للكبير والصغير منه.

القزُّ: الرمى بالحجر وكل غليظ

القرع: الدق (الباب)

القر: البرد

القس: ج قسوس، من كان بين الأسقف والشماس، الكاهن

القش: ما يكنس من المنازل وغيرها، الدلوالضخمة.

قَشَ القوم: صلح بعد الهزال.

القُصبُ: ج أقصاب : المِعى، الظهر.

القضب: كل شجرة طالت واسترسلت أغصانها

القط: القطع عرضا.

القَعْب: ج أعقب قِعاب ، القدح الضخيم الغليظ

القضىُ: إفساد المطر النبات والبقل.

القَلب: عضو صنوبرى الشكل مودع فى الجانب الأيسر من الصدر، الفؤاد ، والعقل، ج قلوب.

القلع: انتزاع الشئ عن أصله.

القَمَدُ: طول العنق وضخمها.

رجل قمد: الشديد الغليظ.

القنب: الشراع العظيم ، مخلب الأسد.

القوبُ: حفر الأرض على شبه التقوير.

القهر: الغلبة.

القيد: ج قيود وأقياد. حبل ونحوه يجعل فى رجل الدابة وغيرها فيمسكها.

وعندما يتالف حرف الطاء مع القاف والتى من صفاتها الجهر والشدة والاستعلاء والاطباق والاصمات والقلقلة فيكون حينئذٍ معنى القاف جليا وواضحا نتيجة هذا التركيب. وذلک لأن حرف الطاء من اقوى الحروف وان صفة الاطباق تتطلب الاستعلاء بديهيا وان هذه الصفة قد جعلت الطاء اقوى من القاف.

دلالة الكلمة المؤلفة من القاف:

ان اجتماع هذين الحرفين فى كلمة مفردة قد جعل الكلمة دالة على معنى اكثر قوة ودلالة ولهذا قيل: ان اجتماع حرفين فى كلمة يدل على مفهوم القطع والبت يقينا."

تاليف حرف ثالث مع القاف والطاء:

ان مفهوم القطع قد دل عليه ائتلاف حروف اقوى صفة، مع هذا لم تستكمل الصورة الخاصة للقطع ولهذا قد احتاجت الكلمة إلى تاليف حرف ثالث، وان هذا الاجتماع نتج عن وضع معنى خاص للمفاهيم المختلفة الدالة على القطع فى اللغة العربية والتى تضم فى ثناياها أجمل واحسن كنوز للمحاسن والكمال، فمثلا:

الألفاظ	**المعانى**
القطع:	التجزئة والإبانة والفصل
القطف:ج قطوف	الخدش

القطْبُ: جمع الشئ وقطعه

القطم: العض

القط: القطع عرضا

القَطْلُ: القطع

لو ألقينا نظرة متعمقة ومتأنية على الكلمات المذكورة اعلاه فيتجلى لنا الإنسجام الانيق لتاليف الحروف فيها، قد نتج عن تاليف القاف والطاء مفهوم الشدة والقوة مثلا كما تعين (من الحرف الثالث) معنى ذلك القطع.

دلالة القطف على معناه:

ولكن عند ماامتزج الحرف الثالث وهو الفاء بالحرفين السابقين فوجد ان صفاته تعاكسهما، فمن صفات الفاء الهمس والرخوة والاستفالة والانفتاح والاذلاق، فالمهموسة ضد المجهورة والرخوة ضد الشديدة والمستفلة عكس المستعيلة والمذلقة ضد المصمتة ووقت مزج هذه الصفات المتعاكسة فيما بينها تحدث عملية الكسر والانكسار، فكل ضد يسعى إلى كسر كل ما يقابله، واما هذه الوظيفة لم يتم اجراءها بين الحرفين الاولين، لانهما كانا يماثلان بعضهما بل ان الاتحاد فى الأوصاف جعل المعنى على ذروة القوة، اما امتزاج الحرف الثالث وهى جمل صفات متضادة نتج عن زعزعة مركز الثقل المتواجد فى ثنايا المعنى، ومن ثم التغلب عليه، ولاجل هذا دل تركيب (القطف) على ان تاثير (القطع) زال إلى درجة انه وصل نقطة الخدش.

دلالة كلمة (القطب):

الباء هو الحرف الثالث من مادة قطب وهو متصف بالجهر والشدة والاستفالة والانفتاح والاذلاق والقلقلة وهناك صفتان متضادتان

وهما الاستفالة وهى ضد الاستعلاء والاذلاق الذى هو ضد الإصمات وكذلك ظهرت فيه قوة من صفة الجهر والشدة نوعا ما ولهذا لم يؤثر على معنى القطع فى شكل من الأشكال ولكن الحرف الثالث شفهى فتنضم الشفتان عند الاداء ولهذا دل على معنى التجميع بعد عملية القطع.

دلالة (قطع)

الحرف الثالث فى مادة "قطع" هى العين ومن صفاتها الجهر والتوسط والاستفالة والانفتاح والأصمات، بالإضافة إلى صفة الاستفالة التى هى ضد الاستعلاء، واما الصفات الباقية الاخرى فهى نفس صفات القاف الا أنها من حروف الشدة والعين من المتوسطة وهذا يعنى انها بين الشديدة والرخوة وان إئتلافها مع القاف والطاء قد استبقى معنى القطع فى ذاته دون شك مع أنه دل على معنى التجزئة أيضا.

دلالة (قطم)

الحرف الثالث من كلمة (قطم) هى الميم ومن صفاتها الجهر والتوسط والاستفالة والانفتاح والاذلاق فهناك صفتان تعارضان القاف وهما الاستفالة التى ضد الاستعلاء والاذلاق وهو ضد الاصمات.

وان هذه الكلمة ايضا تمر بعلمية الكسر والانكسار الخفيفة، فالمتوسطة تقوم بعملية التسهيل لسيطرة الشديدة كما تحدد المذلقة قيمة المصمتة ومع هذا فالميم من الحروف الشفهية ولهذا يدل (قطم) على معنى العض بالأسنان أو اخذ شيئ بأطراف الاسنان.

دلالة (قطل):

اما (قطل) فالحرف الثالث فيه اللام ومن صفاتها الجهر والاستفالة والانفتاح والإذلاق، والانحراف، فخمس صفات هى نفس الصفات التى توجد فى الميم، اما الصفة السادسة منها فهى الانحراف والتى تريد القلع والاستيصال لتكتمل عملية الانحراف فى الكلمة ولاجل هذا دل (القطل) على معنى استيصال الشيئ وقلعه.

فهذه الامثلة السابقة الذكر لو قمنا بدراستها دراسة متأنية فتجلو لنا روعة التعبير واستيعاب الكلمات العربية بمعانيها وأسسها الراسخة، فان الحرف الثالث الذى هو بمثابة فصل جعل الكلمة الثنائية (والتى كانت بمثابة الجنس) معلومة ومفهومة وهكذا يتضح لنا معرفة قواعد وأصول تنطبق فى مجال الكسر والانكسار وعملية النحت فى صفات الحروف.

اما كلمة (قط) فلست فى حاجة إلى تسليط الضوء عليها لان الحرف الثالث هو نفس الحرف الثانى وقد سبق ذكرها فى الصفحات الماضية.

الحرف الثالث ليس حرفا زائدا.

ان الهدف من وراء هذا البيان المفصل هو التركيز على ان الكلمة المكونة من الحروف يرمى إلى قضيتين:

الاولى: الامثلة المذكورة فى الصفحات الماضية والاسس والقواعد المتعلقة بها تؤيدها الامثلة كثيرة العدد كى لا تقال فيها: انها من الشواذ أو هى امثلة اعتباطية وتصبح مثارالشك.

الثانية: ان الكلمة والمفردة العربية تتكون دائما من ثلاثة حروف سواء فيها الافعال أو الاسماء، وهذا ما درج عليه علماء اللغة قديما وحديثا، وان الحرف الثالث من الكلمة هو جزء لا يتجزأ وليس حرفا زائدا على الاصل أبدا.

نكتة لطيفة:

ان الخبراء فى مجال اللغة ورأيهم فى باب الكلمات وحروفها الاصلية يتجاوب ودراسات علماء الطبيعة تجاوبا كبيرا، فقد جاء فى كتب علم الطبيعة ان كل جسم يتركب من جوهرين اساسيين:

اولهما الهيولى، وثانيهما الصورة وان الشكل المتكون منهما يحتاج إلى صورة لازمة وهى صورة نوعية وان الصورة النوعية تحتاج إلى الصورة الشخصية وأن مسألة الفلاسفة وعلماء الطبيعة هذه تجدها فى معظم الكتب الفلسفية ولاسيما فى الكتب المطولة الضخمة وليس الغرض الآن ذكر المسائل الفلسفية والطبيعية المتشعبةهنا. فلست الآن بصددها، لكنى يسعنى القول ان الحرف الاول من المفردة العربية ينوب مناب الهيولى والاوسط منها يحل محل الصورة والاخيرمنها محل الصورة النوعية، اما الاعراب والحركات والتعليلات الطارئة عليها وزيادة الحروف وعملية النحت والابدال والادغام والقلب فهى بمثابة الصورة الشخصية لها، وان هذا التوجيه سيكون اروع ما قيل فى هذا الباب.

الاستشهاد بالعلل الاربعة:

وهذه المواصفات الحكيمة والميزات السامية خير برهان على كمال اللغة العربية وأصالتها، وكما انه لابد ان يراعى فى الخاطر ان الفلاسفة وعلماء الطبيعة قد ذهبوا فى تقسيم العلل إلى اربعة اقسام، وهى العلة المادية، والعلة الصورية والعلة الفاعلية والعلة الغائية، ولو لم توجد العلة الصورية بعد العلة المادية، فلن برز العلة الفاعلية والغائبية إلى حيز الوجود ولن يبقى هنا شيئ غير المادة، فمثلا لو لم نعط الحطب صورة الكرسى أو الطاولة وغيرها ولو لم نمنح الطين صورة القدح أو الجرّة فلن يتحول الا إلى صورة الحطب

ولن يبقى هذا الا طينا وهذا لن يجدى شيئا ولا ينفع، اما اذا صنعنا من الحطب الكرسى والمواد الاخرى واعددنا من الطين قدحا وفخارا فان بعد عملية المزج بين العلتين الصورية والمادية تحصل صورة جديدة أخرى وقد تتسبب فى تخفيف المعاناة، وتفتح منافذ جديدة للراحة والسعادة فى الحياة.

هل من الممكن ان يهذى إنسان بعد ما شاهد هذه الاشكال المختلفة من ادوات الحطب والطين قائلا ان المساعى المبذولة فى سبيل اسعاد الحياة البشرية ليس امرا يثنى عليه، لأن هذه الصورة رغم مرورها بصور واشكال مختلفة لم تتبدل ماهيتها وهى ليست الا عبارة عن الحطب من حيث المادة.

فهل هذا يعنى ان الشئ لا يكون مفيدا ولا يستحق التقدير الا اذا يتم تقليب ماهيته؟ وهل ظهور المادة بعد مرورها بمراحل مختلفة وتحولها إلى اشياء مفيدة ومريحة للنوع البشرى ليس مبعثا للثناء والتقدير؟ ولو ذهب احد فى ادعاء هذا الرأى الزايف فاننى لا ارى من الانسب مفاتحة الكلام معه لان دعواه هذه ناشئة عن فتوره وخمول عقله دون شک.

الحروف الأصلية بمثابة العلة المادية:

ولاشک فى هذا ان الذين يدرسون كل نقطة علمية دراسة عميقة ويتناولها بنظرات حكيمة وأنهم أحرار من اغلال الاوربا وعلماءه□ واذهانهم صافية وخالية من ادران التشويه والتزييف. فاننى أسعى إلى احاطتهم علما بأن علماء العربية عند ما اطلقوا "اللفظ المستقل المعنى" فانهم يشيرون إلى ان حروف المادة الاصلية لو انها تراها مؤتلفة لفظها ولكنها متشتة ومتفاوتة فيما بينها وانها ليست الا بمثابة العلة المادية فحسب.

إلا انک عند ما تقوم بعملية التركيب والائتلاف فتتمتع بوجود معانى متنوعة بعد هذه العملية فمثلا (ض ر ب) ما زالت هذه الحروف متفرقة فهى حروف مادة لن تتمكن من اداءها كصورة تركيبية فلا "ضَرَبٌ" هذه ولا (ضرب) ذاک، فان الاول مصدر والثانى فعل ماض وان المادة ليست مصدرا ولا الفعل الماضى بل انها حروفها الاصلية، فمثلا الحطب ما زال حطبا لا يمكنها ان نقول فيه هو كرسى أو طاولة ، لانه مجرد حطب، اللهم اذا حولنا الحطب إلى معلومة فلا يصح لنا القول بانه حطب بل يتعين الآن الاسم الجديد لتلک الصورة.

جرجى زيدان فى ضوء ادعاءاته الزائفة:

وبعد هذه المقدمة اقوم بطرح تحقيقات جرجى زيدان المستشرق العظيم والذى ذهب فى كتابه المعروف بـ"الفلسفة اللغوية والالفاظ العربية" إلى آراءتبعث على الدهشة والاستغراب فيتشدق فى اثبات آراءه واننى استذكرها ما ذهب إليه موجزا.

يرى جرجى زيدان ان "اللغة الاردوية كما نشأت وترعرت فى الهند نتيجة تفاعل واحتكاکٍ من اللغات الهندية المختلفة السائدة فى هذه البلاد واخيرا ما تمخضت عن لغة مستقلة كاملة، قد عاشت اللغة العربية الظاهرة نفسها" وانه قد سعى فى اثبات ادعاءاته إلى إتخاذ نبرات واساليب بيانية تسودها الطمانينة والثقة دون ان يستند إلى المراجع والمظان الاصيلة وانه يعد نفسه على قمة رفيعة من التحقيق والبحث الدقيق حيث يستغنى فى اثبات آراءه ومذاهبه من ذكر براهين وحجج مقنعة وهذا ما دفعه إلى الادعاء .. احيانا .. أن اللغة العربيّة ايضا مبنية على نظرية محاكاة الاصوات امثال اللغات الباقية وذهب تارة إلى ان اللفظة الفلانية استعيرت من اللغة الفلانية

واستطرد قائلا فى موضع آخر ان اللفظ العربى يتكون من الحرفين فقط، واضاف احيانا ان الحرف الثالث الزائد (حسب تعبيره) هو زائد حقا ولا عبرة له فى الكلمة وهكذا يعد الحرف الاول زائدا احيانا والاوسط تارة والحرف الاخير تارة اخرى، كما انه ادعى ان اشتقاقات مادة القطع تدل على ان اللغة العربية تعوزها الكلمات والمفردات، وان مجالات البحث والدراسة الانيقة تنم عن ان العرب عند ما ادركوا كلمة من اللغات السامية الأخرى فتعلموا معناها اولا ثم أجروا عليها عملية القلب أو النحت فأدخلوها فى جملة مفرداتهم إلى ان شاهدت العيون ان اللغة العربية أصبحت ذاخرة بكثرة الكلمات، فالاشتقاقات المتنوعة من لفظة "القطع" لن تخدع الانسان الباحث ان اللغة العربية عبارة عن لغة غنية بالكلمات والمفردات من الكلمات فان التوفر والكثرة هذه مصدرها لفظة قط والتى هى وحدة ثنائية وهى منحوتة من البابلية أو الآشورية وهى تفتقر إلى اصول عربية.

ان جرجى زيدان قد اعتبر نفسه تلميذا للدكتور "فونديک" فى مجال علم اللغة وفقهها واستنادا اليه قد قام باثبات مباحثه ودراسته "القيمة" انها تبتنى على اسس علمية اوربية حديثة، وبناء على هذا فان جل طاقات المستشرقين فى عصرنا هذا اليوم تصب فى مجرى واحد، ويجعلون آراء جرجى زيدان وأستاذه فونديک مصدرا رئيسيا فى اثبات ما يذهبون اليه من استناجاتٍ واننى لست الآن فى صدد ان استرعى اهتمامى إلى التلميذ أو استاذه ولكنه مما افتحل الخطب ان بعض من الناشطين فى المجالات الاكاديمية والذين قد انصهرو فى بوتقة الاستعمار الاوربى يعتبرون محاكات الاوربا وتقليدهم ذروة اوجهم وكمالهم شرعوا يهذون الهراءات والهفوات

تقرع بها سابقا المستشرقون ولاجل هذا قد مست الحاجة إلى تفنيد العقلية السوفسطائية لجرجى زيدان بصورة افضل وقبل ان ادخل فى غمار هذا البحث وتبدو للمشاهدين سوءاته أرى من الافضل ان اقوم بنقل ما ذهب إليه فى كتابه:

" ١- القطع وهو مختلف عن "قط" حكاية صوت القطع وعام فى سائرلغات العالم فى اللاتينية (Coedo) وفى الانكليزية (Cut) وفى الفرنساوية (Casser) ونحو ذلک فى سائر اللغات الآرية، وفى الصينية (كت) وبالمصرية القديمة (خت) وفى العربية (قط) أو (قص) أو قطع ومن هذا القبيل اكثر الافعال المختلفة عن حكاية الاصوات الطبيعة [1]

والغرض من وراء هذا الادعاء ان لغات العالم قد نشأت نتيجة المحاكاة الصوتية حتى اللغة العربية لا تستثنى منها، والدليل على هذا ان الالفاظ كلهاتتشابه وتتماثل مع بعضها.

ويقول فى موضع آخر:

٢- يرى الباحث فى دلالة الالفاظ العربية المدعوة مجردة ان للمعنى الواحد الفاظا عديدة تتقارب لفظا ويمكن تقسيم الفاظ المعنى الواحد إلى مجموعات تشترک الفاظ كل مجموع منها بحرفين هما الاصل المتضمن المعنى الاصلى والزيادة ربما نوعته تنويعا طفيفا مثاله "قط" وقطب و "قطف" و "قطم" و "قطل" جميعها تتضمن معنى القطع والاصل المشترک بينها "قط" وهو بنفسه حكاية صوت القطع كما لا يخفى.[2]

---

[1] الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية الصفحة ١٣

[2] نفس المصدر الصفحة ٥٦

المقصد من وراء هذا الادعاء ان الكلمة العربية تتكون من حرفين فقط واما الحرف الثالث فهو زائد الا انه يفيد معنى جديدا احيانا، وجاء فى موضع آخر.

٣. فنرى فيما تقدم من الأمثال ان الحرف المزيد واقع فى آخر الكلمة وهذا هو اغلب الا انه قد يكون فى الوسط اى بين الحرفين الاصليين (شلق) من (شق) و(فرق) من (فق) وقد يكون فى اول الكلمة نحو(رفت) من (فت) و(لهب) من (هب) و(رفض) من (فض)[1]

الغرض من هذا الادعاء هو اثبات ان الثلاثى المجرد ليس ثلاثيا مجردا بل الواقع هو ثنائى مزيد فالحرف الزائد ياتى فى بداية الكلمة ووسطها وآخرها حسب الحاجة ولكنه لم يبين قاعدة معينة تتبع فى تمييز الحروف الزوائد من الحروف الاصلية، ويقول فى مقام آخر:

٤. ومن غريب الابدال ان تكون (بد) و(قط) أو احدى اخواتها من اصل واحد ولا ننكر ما فى ذلک من دواعى الاستغراب ولكن الدليل يقرب البعيد فان القرب بينهما فى المعنى واضح لان اليدهى مصدر القطع واول استعمال الانسان حكاية صوت القطع انما كان بواسطتها فلا غرو اذا استعمل ذلک الصوت للدلالة عليها ونسبة اليد للقطع معنى كنسبة قاطع إلى قطع ولا يخفى ماهنالک من المشابهة واما فى اللفظ فاننا باستقراء اصل كلمة يد فى اللغات السامية اخوات العربية نرى انها قريبة جدا من "قط" فانها فى الآشورية (غت) وفى البابلية (كت) وهى حكاية صوت القطع بعينه.[2]

---

[1] نفس المصدر الصفحة ٥٧

[2] الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية ص ٩١

وأرى من الضرورى ان انقل بعض قبسات من الكتاب موجزا:

٥- "ويجانس "قط" "قص" ويجانس "قص" (قض) ويجانس (قص) (كس) ويجانس (قص) أيضا (جز) ويجانس (جذ) (جز) جميعها من باب القطع وكلها ترد بالاستقراء إلى اصل واحد وهو حكاية صوت"[1]

٦- "فان (خَصّ) تفيد معنى الافراد بالشيئ فترى معنى القطع فيها مجازيا فكانه يقول خصه بالشيئ اى قطعه عن سواه"[2]

٧- "هذه تنوعات فرع واحد من تفرعات "قط" فقس عليه ما بقى منها واجمع، ترى انها تفوق الالاف عدا."[3]

إن الغرض من وراء هذه الاقتباسات إثبات ان اللغة العربية هى عبارة عن لغة فقيرة ضئيلة الموارد كما أن بضعة الكلمات التى وضعها العرب انها لا تمتّ إلى الأصالة والعربية بصلة بل هى منقولة من لغات اخرى.

الإيراد الاول على ادعاءاته:

لا محيص عن اعتراف العجز للغوى بارز (مثل جرجى زيدان) لأن هنا موضع النقاش والبحث الفلسفة ولا علاقة لهما باللغة والاشتقاق وأسسه وقواعده!! ولكنى مع إحترامه أريد القول: إن عدد الحروف الهجائية لا يتعدى ثمانية وعشرين حرفا أما الإعراب فهو ينحصرفى الرفع والنصب والجر يقابل هذه الحركات الثلثة السكون، فالحاصل، قد اجتمعت أربع صورمكونة من الإعراب والسكون ومن البديهيّى أن الالفاظ والمفردات مهما بلغ عددها من الملايين لكنها تتكون بعد عملية التصريف والتصييغ من هذه الحروف الثمانية والعشرين،

---

[1] نفس المصدر الصفحة ٥٦
[2] نفس المصدر الصفحة ٩٠
[3] نفس المصدر الصفحة ٩٠

ومهما اخلفت مظاهر الكلمات وصيغها باختلاف الحركات أو السكون لكنها لا تتعدى الرفع والنصب والجر أو الجزم، وانطلاقا من هذه القاعدة لا داعى إلى افتراض نظرية المحاكاة الصوتية لغرض إثبات ضآلة العربية ومنه إلى التطفل من اللغات الأخرى والاكتساب من اللغات العالمية تارة أخرى.

الإيراد الثانى:

هو أن (اليد) عبارة عن آلة قطع، و(الآذان) عبارة عن إبلاغ الصوت ولهذا تم وضع كلمة دالة على اليد عبر محاكاة الأصوات ولا شك أن هناك إنسجاما تاما بين المعنى واللفظ ولكن السؤال الذى يطرح نفسه على بساط البحث والنقاش هو "هل كان من الممكن سماع الأصوات دون وجود الآذان؟" و"هل كان من الممكن تلفظ هذه الأصوات؟" ولا شك فى أن هناك تناغما تاما بين المعنى واللفظ ولكن السؤال هو "هل كان من الممكن تلفظ هذه الأصوات دون وجود اللسان؟" و"هل كان من المعقول أن تقوم اليد بوظائفها لولاالأصابع؟" كما لو لم تكن للأوردة والشرائيين دوراً ونعومة فى الأصابع لم تقم بوظائفها أيضا وفى حالة فقدان المتخيلة الفاعلة فى الدماغ كيف كان من الممكن أن يتسرب طيف القيام بوظيفة القطع؟ وقس على هذا. ولو كان الأمر كذلك فهل من الممكن أن يقال: إن كل جزء من أجزاء البدن الإنسانى لا علاقة له بعملية القطع أساسا، فهل من المعقول القول: بأن كل عمل يقوم به الانسان يطلق به على انه فى الحقيقة مأخوذ من كلمة "قط".

وإن هذه الدعوىٰ لا تسع لإيراد بتاتا لأن نظام النحت والكسر لا يخضع لقاعدة معينة فالمبحث هذا ليس مبحثا لغويا.

الإيرادالثالث:

ويمكن أن يقال فى هذا الصدد إن أبهة الحضارة والثقافة الحديثة اليوم والمحافل العلمية الساخنة لن تجدى شيئا فى غمار هذا البحث لأننا لو ألقينا نظرة على حضارة البلاد واطلعنا على ثقافتها ومدنيتها وتقاليدها فتنكشف لنا أن هذه المناظر البهيجة والمتنوعة لم تشق طريقها إلى حيز الوجود إلا بعد عملية التغيير والتصييغ بين الجمادات والنباتات والحيوانات، فإن هذه الأطعمة المتنوعة تتوفر نتيجة النباتات والحيوانات، فبعد أن أخذنا جلود الحيوانات وصوفها نسجنا منها وأنتجنا أنواعا مختلفة من الأقمشة والملابس والأوعية وغيرها، والواقع أن الخبير والدارس يعى جيدا أن الأصل فى جميع هذه الأشياء عبارة عن الجلود والصوف.

وهكذا إذا شاهدت مختبرا كيمياويا ومعملا طبيعيا فإنك لن تشاهد هناك إلا تقلبات هذه الجمادات والنباتات فحسب، فمبنى "التاج محل" فى بلادنا الهندية عند ما نقوم بدراستها فتنكشف الحقيقة أنه ليس إلا مبنى من الجص والحجر، ومع ذلك فمنظرها البهيج يدفع الزوار والسياح إلى شد الرحال حتى من أهالى أوربا وأمريكا.

وبعد هذه التصريحات هل يمكن أن يقوم إنسان مثقف أو متحضر أن يقول للانسان المريض الغير المثقف إن العلم عبارة عن تقلبات بين المواد الثلاثة من الجمادات والنباتات والحيوانات، وأن العناصر الأربعة وهى الماء والنار والطين والهواء تجعلها مفيدة، وأن الإستمتاع والإستفادة من ثمرات هذا العلم عبارة عن الحضارة والثقافة.

لو أن وجهة أنظار المثقفين والمتحضرين تبتنى على الواقعية هذه فلا شك فى هذا الادعاء أن اللغة العربية أيضا تقوم على أساس من الصحة والواقعية، فالإدعاء هو " أن اللفظ المفرد يمكن أن يتحول

إلى أسماء مختلفة وتنقلب فى صورة أفعال متنوعة بالإضافة مع وجودها مع صلات مختلفة ودلالة جميعها على معانى متنوعة ومختلفة لا شك ان هذه الظاهرة عبارة عن ثقافة لغة راقية وقمة رفيعة فى التعبير والفصاحة والبلاغة، وإن حملها على قلة مواردها وضآلة مصادرها دليل الجهل والسفاهة.

الى هنا قد بينا حقيقة الرقم الرابع إلى السابع، والآن أذكر حقيقة الواحد إلى الثالث.

تدليس مفتعل والرد العلمى عليه

مما يبعثنى على الإستغراب أن رجلا يتشدق جاهرا بأنه من أتباع وتلامذة الدكتور فوندک (الذى يشهد بنبوغه وفضله جمع حاشد من المستشرقين) ولا سيما دعواه فى المجال اللغوى، ورغم هذا كله يذهب مذهب الرفض والإنكار لثوابت بديهية قد أجمع على بداهتها وتواترها، جميع غفير من القدماء والمتأخرين.

إن المتلقى من التلميذ يدرس أولا فى مادة اللغة العربية أن الأسماء والأفعال تنقسم إلى قسمين باعتبار مادة الحروف، وهما المجرد والمزيد فيه، فالمجرد يكون خاليا من الحروف الزوائد، وأما المزيد فيوجد فيه حرف أوحرفان أو أكثرمن الزوائد.

وتنقسم الأفعال المجردة إلى الثلاثى والرباعى، أما الأفعال المجردة فتنقسم إلى الثلاثى والرباعى والخماسى، لكن جرجى زيدان يدعى بكل صراحة وهو غير مكترث بما يقول "كلا ليس الأمر كذالک بل إن الثلاثى المجرد هو مزيد فيه فى الحقيقة، فأحد من الحروف الثلاثة يعد زائدًا، ويذهب فى إدعاءه هذا مذهب التكرار والإعادة مرة بعد أخرى. وقد مر سابقا نقلا عن كتابه ، وإليكم المقتبس هذا من نفس الكتاب من الصفحة ٩٨، حيث يقول:

"واللغويون يردون من الإسم والفعل إلى أصول معظمها ثلاثية وبعضها رباعية، ولا يرون هذه الأصول قابلة للرد، إلى أقل من ذلك، وعندى انها قابلة ولو بعد العناء"[1]

إن جرجى زيدان فى إدعاءه هذا لم يتطرق إلى ذكر قاعدة وأساس يستعمل فى باب تمييزالأصل من الزائد، مع هذا فقد ذكر علماء الصرف قاعدة سهلة ومعروفة لتمييز الأصل من الزائد يتمكن بها كل طالب مبتدئ من التميز بين الزائد والأصل، أماهذا المدعى الذى يسعى إلى تقويض دعائم اللغة الأساسية فيصفح جانبا عن ذكر تلك القاعدة والتى تتميز بها الحروف الزائدة من الأصلية إلا أنه ذكر فى مبحث (قط) بأنه محاكاة عن صوت القطع ومنه درج إلى ذكر بضعة من الألفاظ الأخرى، وزعم فى جميعها أنها محاكاة عن الصوت الفلانى، لكن هذا الادعاء لا يدل على تطبيق تلك الألفاظ على أصوات معنية.

هذا، وفى جانب كيف يفهم من هذا كله أن الصوت الغير الضرورية يعتبرحرفا زائدا فالذى يبعثنى على الأسف، إن هذا القول لم يشق طريقا ليحل محل قاعدة أساسية، بل أن الشكوك والشبهات المفتعلة قد جعلت البحوث والدراسات تهيم فى متاهات الأوهام والأفكار، فى مد جزر، دون أن تتكل بنجاح وتوفيق من النور.

فقبل الكل إذا القينا نظرا على كتب اللغة والمعاجم فنجد أن هناك لا توجد كلمة مؤلفة من القاف والتاء فحسب، كأنها ليست من الألفاظ العربية، فهل يفيدنا البحث عن معناه شيئا؟ إلا أنك إذا ركبت حرفاأخر معه سواء هى الطاء او العين أو اللام وغيرها فتجد هناك لفظة عربية تدل على معناها ومفهومها.

---

[1] الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية ص ٩٨

فكما أنهلا بد من وجود الحيوان فى الخارج دون أن يكون موجودا فى الذهن فقط وإلا لن يتعدى هذا إلا إلى صورة نسمة من الحيوان تتحرك وتمشى بإرادته ولا أكثرمن ذلك، ولكننا حينما قمنا بضم فصول أخرى مع هذا الحيوان فمثلا قلنا حيوان ناطق او ساهل او مفترس، فأدركنا الانسان فى الخارج والذهن على السواء، فانطلاقا من هذا المبدأ يمكن أن نقول إن القاف والتاء لا وجود لهما فى اللغة والمعاجم وهما فى حاجة إلى شرح معانيها ودلالة كيانهما إلى حرف ثالث كما يحتاج الجنس فى شرح مفاهيمه ودلالته فى الخارج إلى الفصل.

كلمة "قط" ثلاثية لا ثنائية:

وأما كلمة (قط) التى يشهد بها جرجى زيدان بصفة مكررة رغم أنه لا يشبع بهذا التكرار والواقع أن هذه الكلمة تتركب من حروف ثلاثة دون شك، وهى القاف والطاء المشددتان، والتى تحل محل حرفين يدل عليه تكرارها ، فالإشتقاقات الأخرى من هذه الكلمة تدل على أنها مؤتلفة من حرف الطاء المكررتين، فمثلا (القطا ط) فى معنى (الوافر) و(القِطاط) بكسر القاف بوزن الكتاب، بمعنى "الشعر الجعد"، من باب "سمع" فالإدعاء بأن كلمة (قط) ثنائية تعنى غش الشعوب الأعجمية ولا علاقة لها بهجاء اللفظ الأصلى.

كما أن الادعاء بأن كلمة (قط) يوجد معناها فى أخرى أمثال القطف والقطب، فإن هذا الإدعاء عبارة عن تشييد صرح على أسس واهية، وذلك لأن الطاء المشددة لم ترد فى كلمة من الكلمات العربية وكما تتضح لنا أن واقع كلمة قط مؤتلفة من الحروف الثلاثية وأن هذه الحروف تحاكى صوت القطع فالإدعاء بأن مادة الكلمة هذه ثنائية لا يبنى على الصحة بتاتا.

من الممكن أن يرد قائل على هذا يقول: ان المحاكاة الصوتية يكفيها وجود القاف والطاء، أما الحرف الثالث فيه فهو زائد أمثال الباء والفاء فى كلمات أخرى، لو لم يعتبرها اللغويون زائدا على الأصل فلا غرو فى ذلك، لأن المبحث يتعلق بالفلسفة، ويكفى لهذا المذهب القول بأن هذه قضية فلسفية.

نعم! إننى لا أسلك مسلك الإلحاح والتاكيد الشديد بأن المجرد لا يصح أن نطلق عليه "الثنائية المزيدة". لأن هذا يبطل جميع الجهود والمساعى المبذولة فى سبيل الاعتراف بأن الحروف الثلاثة أصلية لا زائدة.

فالهدف الأول أن اللغة العربية عبارة عن أصوات محضة فى الحقيقة، مثل اللغات المتواجدة الأخرى، وأما نسبة علاقة الكلمات بالمعانى فهى لا تتعدى عن محاكاة الأصوات الطبيعية أو الخارجية.

والهدف الثانى هو التركيز على هذه الحقيقة أن كون الكلمةمؤلفة من أقل ثلاثة حروف، دليل على عدم نضجها وكمالها، والمثال على ذالك وجود الأجسام بدون الصورة النوعية، ووجود الجنس بدون الفصل، وهذا يشعر بأن الأجسام والأجناس من الصعب التمييز بينهما، وأن السحب الكثيفة من الإلتباس والخفاء تحجب الميزات والخصائص التى توجد فيهما، وهذه هى حالة اللغات الأعجمية وان التشديد على القول بأن الحروف الثلاثية ليست مادة الكلمة يرمى إلى أن اللغة العربية لا تقل فى الغموض والخفاءعن زميلاتها من اللغات الأعجمية، الا أن اللغات التى لا توجد فيها ميزات "المادة" أصلا تعتبر أقل منزلة من العربية.

وأما الهدف الثالث هو وجود نكتة الكمال وقمة النضج فى لغة كملت فى حركاتها واعرابها، وان اللغة العربية غنية بهذه الميزة حيث

توجد فيها حروف المادة والإعراب على السواء، وفى حالة البحث عن نقيصة فى هذه اللغة ولغرض المساس من كرامتها، لو قيل ان الحرف الثالث من المادة غير موجود وهناك يتسنى لجماعة انتهازية الإدعاء بأن اللغة العربية ظهرت نتيجة اشتقاق ونحت عن لغة لها سلا سة حروف فى المادة. فهناك لن تبقى العربية إلا عبارة عن آثار لغة مطمورة تؤل فى ارساء أسسها وقواعدها على تلك اللغات التى انقضى عصرها فأصبحت خبرا بعد عين، وإن مذهب الإرتقاء العام يؤيد هذه النظرية.

جرجى زيدان يتخبط فى متاهاته:

وتحقيقا لهذه الأهداف سعى جرجى زيدان جاهدا دون جدوى وراء عرض نظريته إن الألفاظ العربية ثنائية الأصل. وانطلاقا من هذا المبدأ قال أولا إن كلمة القط عبارة عن محاكاة صوت القطع، ومن ثم استخرج بعض الكلمات العربية وهى مؤتلفة من القاف والطاء رغم حرف ثالث يجلو للعيان إلا أنها تحتوى على معنى القطع، لكن جرجى زيدان قد ذهب إلى إصدار الحكم بأن الحرف الثالث فيها مزيد. ولا عبرة بذالك، فالأصل هو القط، لكنه وقت إدلائه هذا الحكم فى كلمة "القطن" (نبات ليفى من الخبازيات) حيث يوجد فيها معنى القط، لكنها خالية عن معنى القطع أصلا، فلم يلتفت المؤلف إلى هذا الجانب كأنه لم يكن شيئا مذكوراً.

أما عند ما نلقى نظرة إلى كلمات أخرى أمثال (جذ) و (عَض) و (جز) وهذه كلها تشتمل على معنى القطع دون شك لكنها لا تماثل القط فى المحاكاة فى حال من الأحوال، فمن المضحكات عند ما نأخذ جانب المحاكاة الصوتية ونترك جانبا آخر لأن المعنى لا يؤيده، وفى حالة مشاكلة المعنى لا تؤيده نظرية المحاكاة.

على أية حال فى جميع هذه الكلمات إدعى هو أنها متجانسة وعلى وزن واحد، ولذالک تم الإدعاء بأنها كلها تحتمل معنى القطع، وهذا كأنه عبارة عن أن الكلمة سواء تكون محاكاة لصوت أو على وزن تلک المحاكاة الصوتية تدل على افتراضاته، وتطبيقا لهذه النظرية قال فى كلمة "الخاص" أنها منحونة من كلمة (خصّ) التى تدل على معنى القطع ايضا، لكن كلمة "غم" و "هم" فى معنى "الحزين" و "مس" فى معنى لمس و "شم" فى معنى أدرک الرائحة و (سب) فى معنى شتم، و(حض) و (حث) فى معنى آثار، فهذه كلها على وزن "جذ وقص" وهناک مئات من الكلمات على نفس الوزن لكنها خالية عن معنى القطع ومن الطريف أن جرجى زيدان قد صب جل طاقاته فى أن (خص) تضم معنى "القطع" أما كلمة (عم) وهى من أضدادها لم يتطرق إليه بتاتا، فما بال مثل هذا الفيلسوف وفلسفته بأنه قام بوضع أسس المحاكاة الصوتية وفى هذا الصدد حالما وجدت المحاكاة فلا تؤيد المعنى كما هو ظاهر فى كلمة (قطن) وحينما وجد المعنى المطلوب فالمحاكاة الصوتية لا توجد كما هو واضح فى كلمة (جذ) وغيرها. ولما لجأ إلى الإدعاء بأنها مؤتلفة من الحروف المتجانسة فهناک نجد أن المجانسة موجودة لكن المعانى لا تؤيد دعوى الفيلسوف كما هو ظاهر فى كلمة (غم) فإنا لله وإنا إليه راجعون.

فهل هذا عبارة عن تحقيق غربى أنيق، حيث بدأ الأساس يتزعزع وقت تطبيقه على كلمة وبعد برهة فى عملية تطبيق هذا الأساس على كلمات أخرى قد تهدم بنيانه تماما. وأصبح الفيلسوف ضحية افتراضاته ومزعوماته فلا ندرى هل هذا عبارة عن الخوض فى بحار الدراسة وإخراج كنوز الحقائق أو هو عبارة عن التخبط فى

المتاهات، ومما يؤسف له أن اختراع قسم جديد باسم الثنائى المزيد ووضع الثلاثى المجرد فى قائمة الثلاثى المزيد فيه عبارة عن استيصال الثلاثى المجرد، والإدعاء بأن هذه استنتاجات فلسفية لا علاقة لها بالقضايا اللغوية والألسنية، وسرد كلمة "قط" كمثال فى اثناء بحثة مرات وكرات خلال صفحات الكتاب وما إلى ذلك من آراء ونظريات غريبة، تنم عن تخبط الفيلسوف وتيهانه، وبالتالى بدأت فكرته الزائفة ونزعاته الفلسفية عيانا للناظرين.

التحقيق السليم:

والآن أقوم ببيان الواقع الصحيح، فالمامول من الباحثين النظر إليه نظرة عادلة ومتأنية: عند ما تجتمع (القاف والطاء) من حروف الشدة، فيدل هذا على القوة الكاملة ويكون عبارة عن القطع، وبناء على هذا قيل: الكلمات التى يجتمع فيها هذان الحرفان تحتوى على معنى القطع البتة، وهذا يعنى أن بين القاف والطاء وبين معنى القطع توجد نسبة العام والخاص المطلق، والصدق الكلى فى مجموعة القاف والطاء أى حيثما تجتمع القاف والطاء فيفهم منه معنى القطع لكن هذا يدل على أن كل كلمة تضم معنى القطع ليس من الضرورى وجود هذين الحرفين فيها،كما يقال: كل عالم انسان ولكن ليس كل إنسان عالما.

والآن عند ما تحققت نسبة العام والخاص المطلق فى كلمات مركبة من القاف والطاء وبين معانيها الدالة على معنى القطع فلا حاجة الآن إلى إثبات ان كلمات (جز) و(جذ) و (قص) وغيرها تاتى على وزن (قط) ولهذا وجد فيها معنى القطع وكما لا حاجة إلى بذل الجهود فى إثبات معنى القطع فيها والمواضيع التى لا تسعفها جهود البحث والتطبيق نلجأ إلى إدعاء القول بأن هذه البحوث فلسفية ونلزم

الصمت آنذاك. نعم هناك من الضرورى الكشف عن سر هذا الواقع بأنه ما هوالسبب فى الكلمات التى لا تتركب من القاف والطاء ومع ذلك تدل على معنى القطع؟ فلا بد من كشف القناع عن هذا، بعد دراسة صفات الحروف، وفى هذا الصدد من الضرورى أولا الإلمام بالأحوال المختلفة المتعلقة عن ماهية الشئ المقطوع فبعض منها صلبة وبعضها ناعمة وبعضها طرية وأخرى جافة كما أنها تختلف فى النوع والكيف أيضا فمثلا صلابة الأحجار والعيدان، وطراوة العنب والبطيخ تختلف عن طراوة التفاح والقثاء، كما تختلف عملية القطع من حيث العرض والطول فيها فبعضها تجرى عليها عملية القطع على جزء من أجزائها وأخرى منها يتم إستيصالها.

إن وفرة الألفاظ فى اللغة العربية وبيان كمالها لا يحصيها إنسان، وقد اختصت ألفاظ مستقلة لتلك الأحوال المختلفة الطارئة على الأشياء المتنوعة وهى تختلف عن حالات القطع الأخرى.

نسبة الألفاظ الإحدى عشرة إلى معانيها:

والآن أنا اقوم بجمع سائر الألفاظ الدالة على معنى القطع وقد استطرد ذكرها جرجى زيدان فى صفحات متفرقة من الكتاب وهى: (قط) و (قد) و (قطع) و (قطب) و (قطف) و (قطم) و (قطل) و (قص) و (جذ) و (جز) و (عد) و (قضم) وهناك بضعة كلمات أخرى قد ادخلها المؤلف فى معنى القطع بعد تعسف ومعاناة طويلة وأنا أطوى الصفح عنها الآن فكتب المعاجم تبرهن على ما ذهبت أصالة إليه وأما كلمة (قط) و(قد) و(قضم) و(خضم) وقد سبق ذكرها فى مستهل الكتاب وليراجع هناك كلمة (قطع) و(قطب)، (قطف)، (قطل) وسبق ذكرها بين الصفحات الماضية، فلست فى حاجة إلى إعادتها فلم تبق الآن إلا اربع كلمات فحسب وهى: (قصّ) و(جدّ)

و(جزّ) و(عضّ) وانى اذكر علاقة معانيها مع بيان علتها بنوع من الايجاز، فالاولى من الكلمات الاربعة تبدأ من القاف واثنتان منها بالجيم والاخيرة منها بالعين، وإنى قد سبقت بذكر صفات القاف أما الجيم فإن صفاتها نفس صفات القاف إلا أنها تختلف بعض الشئ منهاحيث تعد هى من حروف الإستفالة والقاف من الاستعلاء، وإن هذا الاختلاف فى الصفات لن يؤثر على قوة الجهر والشدة والقلقلة الموجودة فيهما، اما الذال والزاء فهما من الحروف المجهورة والرخوة، إلا ان الزاء من حروف الصفير ولكن بعد عملية الادغام والتشديد بينهما حصل معنى الرخوة بنوع من الشدة فيها والمثال على ذلک ان خيط النسيج يعد ضعيفا لا قوة فيها لكنه بعد عملية الفتل والتدوير تزداد قوة، هذه هى حال حروف الرخوة عند ما تصير مشددة.

وأماحرف الصاد فهى من الحروف الرخوة والمهموسة الا أنها من الصفير ايضا، والعين من المجهورة والمتوسطة اما الضاد فهى من المجهورة والرخوة.

(ا) (قص) يدل على معنى قطع الشعر والريش فالقاف تدل على الشدة والجهر والصاد على الرخوة، ان القوة فى القاف والضعف او الرخوة فى الصاد يقومها التشديد نوعا ما، ولهذا المعنى تم وضع كلمة (قص) وهذا ظاهر عن صفة الحروف وبجانب ذلک صفة الصفير الموجودة فى الصاد والتى تجلو واضحة لدى النطق بها، هذا كله يدل على محاكاة صادقة لذلک الصوت.

(ب) (جزّ): الغنم أو البُرُّ او النخلة: حان لها ان تُجَزّأ اى تقطع، الجيم من الحروف القوية وفيها جهر وشدة ايضا اما الزاء وفيها جهر ولكنها تضم صفة الرخوة (رخوة قطع الزرع) هذه نفس الحالة

وقت جز صوف الشاة أو الغنم وقت قطعها ولكن الوضوح فى هذا الصوت يكون جليا من الصوت السابق (صوت قطع الزرع) إلا ان الزرع أو الصوف فيهما نعومة ورخوة دون شك وان علاقة اللفظ مع معناه واضح وكما ان صفة الصفير للزاء هنا تشعر عن كيفية الصوت.

(ج) جذ: إن قوة الجيم ظاهرة عن صفاتها لكن الذال التى هى من المجهورة والرخوة تدل على معنى قطع شئ صلب يمكن كسره أيضا ولإدلاء هذا المفهوم يطلق (جذه) أى قطعه.

(د) عضّ: امسكه بأسنانه فالعين من المجهورة والمتوسطة اى بين الشديدة والرخوة اما الضاد فهى من المجهورة والرخوة وعند ما نلقى النظر على آلة القطع هذه وعلى الشئ المقطوع ونعيد النظر على صفات العين والضاد فتجلو لنا حقيقة وضع هذه الكلمة وعلاقتها الوثيقة بمعناها وهذا ما يبهر الألباب والعقول.

وبقيت هناك بضعة كلمات أخرى دالة على معنى القطع، ومع هذا فان هذه الكلمات الثلاثة عشر المذكورة خير برهان على شمول العربية وكمالها وفضلها حيث كل كلمة منها مشعرة عن حال ووضع خاص، وما يثير على الدهشة أن الألفاظ المصوغة كلها مع هيئتها وصياغتها تحاكى تماما عن الحالات والكيفيات ذات الصلة، فالواقع أن صوت القطع على اختلاف أنواعه يختلف عن الأخرى ، فإن صوت قطع البطيخ يختلف عن صوت قطع الأخشاب والعيدان. وهذا الفرق يتلمسه الجميع، وبناء على هذا ليس من الأنسب القول بأن صوتا معينا دالا على القطع هو الأصل فى سلسلة المحاكاة الصوتية المعبرة عن (القطع) وهناك يطوى الفيلسوف الكشح عن الأصوات الأخرى الدالة على القطع أيضا، فهذا ترجيح بدون مرجح، ولا يبتنى

هذا على العدالة، هذاوفى جانب لن تعتبر هذه المحاكاة مبنية على الصحة حيث لا ينسجم صوت المحكى عن صوت المحكى عنه، ولغرض الإلمام بهذا الإنسجام والتناعم الصحيح يرجى مراجعة اللغة العربية حيث نجد أن النطق الصحيح للألفاظ العربية المذكورة فى هذا المبحث ينم تماما عن أن جميع حروفها خير برهان على التناعم والإنسجام بين معانيها. فمظاهر الرخوة والشدة بين الأشياء الناعمة والصلبة وقت عملية القطع، والتى تتلمسها الأسماع تكون متوفرة عند النطق بهذه الألفاظ الموضوعة لتلك المعانى، فالحاصل ان الإنسجام بين اللفظ ومعناه والدال عليه تركيب الحروف بالإضافة الى محاكاة أصوات تلك الكلمة ظهرت بجلاء ووضوح بين الألفاظ العربية وهذا ما خطر على خلد جرجى زيدان أبدا. ولو أنى لست من الذين يؤيدون نظرية المحاكاة الصوتية فى وضع الكلمات وبالرغم مع ذالك لو اعتبر هذا أحد من المحققين الفضل والكمال فإنى أجد هذا الوصف متكاملا فى العربية أيضا.

وبعد سرد هذه البحوث المذكورة آنفا من السهل الإعتراف مدى سخافة الأسس العلمية والبحوث الفلسفية وتفاهتها، وعلى الدارس أن يستنتج عن واقعية الدراسات التى أجريت أو طبقت فى هذا المجال فإننى لست أدعى بأننى فلسفى لغوى بل ذكرت هذه المباحث وهى موجودة فى كتب الإشتقاق والمعاجم، ومنثورة هنا وهناك.

سبب وضع فن التجويد:

إن نطق الحروف بمخارجها واجب على كل من يتداول اللغة العربية وهذا غير خاف على المشتغلين بهذه اللغة ولهذا السبب نشب الخلاف فى لفظ "الضالين" وذلك نتيجة النطق السليم لكلمة "الضاد" فالظاء والذال والزاء والضاد لكونها تمتاز من زميلاتها الباقية فى المخرج

والصفات، وأن دلالة الحروف على معانيها ثابتة، وبناء على هذه الأسس تقرر أن عملية التغيير فى أصوات الحروف تدفع الكلمة إلى إحداث معنى جديد فيها.

ان التاكيد الشديد على تلقى علم التجويد للمسلمين ليس نابعا عن زخرفة الحروف وتزئينها، بل هو يهدف إلى صيانه المعانى عن التغييرات الطارئة نتيجة التبديلات فى أصوات الحروف، فالغافل عن هذاالسر الواقعى فى تدريس فن التجويد يزعم أنه علم لا جدوى فيه وليس من الضرورى صرف الاهتمام إزاءه فهو ليس إلا عبارة عن مظاهر التزيين والتجميل فى تلاوة القرآن الكريم والواقع عكس ذلك.

القطن ودلالته:

والآن أنا فى صدد "القطن" حيث أذكر فيها بعض التفاصيل المتعلقة بهذه الكلمة ليتجلى مدى تأثير القاف والطاء بعد تركيبهما فيما بينهما، لو عمد جرجى زيدان إلى نعوت الحروف فما كان له إلاالإعتراف بأن لفظة "قطن" أيضا تحمل معنى القطع فى ذاتها حسب مذهب المحاكاة الصوتية لديه، فقد احتار فى تحليل هذه الكلمة، لكن الواقع أن معنى القطع يتواجد فى هذه الكلمة أيضا حيث ان آلة القطع لم تظهر من الخارج بل وجدت فى داخل القطن، فالقطن نفسه قاطع نفسه.

وتفصيله أن القطن فصيلة تنقسم إلى عدة أقسام فبعضها قصير الحجم وبعضها طويل، لكن كلها تشترك فى عملية النضج والإستواء وبعد هذه المرحلة تنشق حبات القطن وتخرج موادها.

ان القوه الموجودة فى داخل القطن تقوم بشق حباتها كأنها قطعت عن آلة حادة، وإن حرف النون التى من صفاتها الغنة يتم تلفظها

عبر الخيشوم وهى من الحروف المجهورة والمتوسطة أيضا، وإن تركيبها مع القاف والطاء يدل على أن عملية القطع قد تمت من داخل الحبات مثل عملية نطق النون فى باطن الخيشوم.

والآن أنا آتى إلى نهاية هذا المبحث فالذى له إلمام بالمعارف يمكن أن يدرك أن الأمر الذى سماه جرجى زيدان بالفلسفة ليس إلا عبارة عن سفسطة، كما يؤسفنى أن بعض المباحث من هذاالكتاب قد جاءت معادة فأسهبتها فى بعض المقام إلى حد التطويل الممل ولعل هذا يكون سببا لسآمة بعض المتدوقين الكيسين، لكنى أعيد القول هنا ثانية بأنى كنت مجبرا على أن أقوم بأعباء الإنقاذ للذين يتبعون الغرب دون هوادة وأنبههم على تدليس مستشرق على ما أمكن.

إن جرجى زيدان يزعم أنه قدم فكرة بديعة وجاء بأشياء لم يأت بها الأوائل فقد ذهب فى دراسته أن الإنسان تمكن من النطق نتيجة محاكاة الأصوات وأن الفاظه كلها ليست إلا عبارة عن محاكاة الأصوات الطبيعة وهذا أمر لم يتلق بالقبول فى كل عصر ومصر، لا فى الغرب ولا فى الشرق فى زمن من الأزمان، ولا شك أن هذا المذهب المعتزلى قد لقى بالقبول والإعجاب فى أوربا لفترة من الفترات، لكن كبار علماء اللغة فى العصر الحديث ذهبوا إلى إبطاله وتفنيده، كما ذهب كبار علماء اللغة أنفسهم إلى القول بأن الخوض فى مثل هذه المباحث والسعى وراء اثبات اشتقاق لغة من لغة أخرى ليس إلا عبارة عن إضاعة الوقت. وان كتاب البروفيسور ميكس ميلور المعروف بـ فلسفة اللغة (Science of language) خير مصدر لإثبات ما ذهب إليه من آراء، وينبغى مطالعته لجميع المشغوفين بعلماء الغرب، فلهم فيه شفاء وغلة.

المبحث الخامس

فلسفة تطور اللغة

إن قمة تطوراللغة العربية تدهش الألباب فلا تضاهيها لغة فى حال من الأحوال فى مسألة الإشتقاق الكبير، ومع ذالك أرى من الواحب أن أقوم بسرد المراحل التى ذكرها اللغويون فى شأن تطور اللغة. فقد أسهب بيانها وليس هؤلاء العلماء فى مصنفاتهم، وليس قصدى من وراء هذا المبحث إلاإماطة اللثام عن حقائق الإشتقاق الكبير، نظرا إلى المكانة العالية التى يتربع عليها هذا الإشتقاق فتعجز عن ادراكها القوى ويضطر العقل بإعتراف أن المدارج الكمالية جميعها تتوفر فى هذا النوع من الكلام.

(١) قد اتفق معظم اللغويين على أن اللغة ظهرت تبعا للمحاكاة الصوتية، ويستدلون عليه قائلين بأن الإنسان تعوّد على نطق الكلمات التى يسمعها منذ نعومة أظفاره، فلغة إيران فارسية، والدول العربية تنطق بالعربية ، وإنكلترا تتعامل بالإنكليزية والفرنسيون يتكلمون بالفرنسية، فالطفل اينما يولد يتأثر بلغات تلك البيئة، فمثلا الطفل من الأصل الهندى حينمايولد فى بلدعربى يبدأ يحاكى اللغة التى يسمعها وينطقها، رغم كون أبويه من الهند، ورغم لغة أسرته لغة هندية كابرا عن كابر، وتبعا للبيئة التى عاشها تتحول لغته من الهندية إلى العربية، وأما لغته الأم (الهندية) تبقى لدية لغة أجنبية، كاللغة العربية لهؤلاء الهنود.

(٢) والدليل الثانى أن مولود الإنسان لوعاش فى الغابات والصحراء ولم يعاشر أحدا من أبناء جلدته إلا الوحوش والطيور والأشجار والغابات فهذا النوع من الإنسان لن يقدرعلى النطق مهما كبر أو شاخ ، فقد تخرج الأصوات من فمه، وقد تحدث مظاهر العواطف المختلفة من خلال نبراته الصوتية، لكنها لن تتشابه والصوت الإنسانى، بل يبقى يحاكى أصواتا ظلت مرتادة على سمعه منذ الصغر.

(٣) والدليل الثالث إن لغة من لغات دولة قد تطرأ عليها مظاهر التغيير والتقليب بعد فترة معينة، فعلى سبيل المثال لو قارنت بين لغة حية فى العصر الحديث وبين مصطلحات وظواهر نفس اللغة قبل قرن كامل فتتلمس نماذج باهرة من التقليب والتغيير كما أن اللغة المتداولة اليوم لن تبقى لغة الأجيال القادمة بعد قرن تقريبا. ففى كل قرن تطرأ مظاهر التبديل والتغيير نسبة إلى القرن الأخير وهذا ما يدهش الناس ويبعثهم على الاستغراب.

خلا صة الاستدلالات الثلثة:

ولو أن الإستدلالات الثلثة ترتكز على مبدأ واحد لكنها تدعوإلى الإعتقاد بأن أصوات الإنسان ليست إلا نتيجة محاكاة الكائنة الحية وقد بدأت تجلو لغة الإنسان تدريجيا وتتميز، إلى أن ترقت إلى درجة لغة إنسان مكتملة ومن ثم تبدأ مرحلة تطور تلك اللغة ولكن المرحلة الإنتقالية هذه (من المحاكاة إلى اللغة) قد استغرقت قرونا لا تعد ولاتحصى، كما أن الفترات الطويلة أحاطتها لغة فى مراحل تطورها المختلفة تفوق القياس.

فمن الأفضل أن تقسم هذه المراحل إلى أقسام تالية (الف) المرحلة الطبيعية (ب) المحاكاة (ج) المرحلة الصوتية (د) المرحلة النطقية.

بدء المرحلة الطبيعية:

إن المرحلة الأولى من حياة الإنسان لا تختلف كثيرا عن حياة الحيوانات والبهائم التى لا تعقل، لا مأكل ولا مأوى لها، ولا قوة كبيرة ولا آلات الحرب والسلاح لمقاومة الأعداء بالإضافة إلى ضرورته المحلة تجاه لغة التفاهم، فكان يقتات على الأثمار والأوراق وحتى قشور الأشجار، وأحيانا يسد جوعه عن طريق صيد حيوان بالأحجار، وينام فى كهوف الجبال أو تحت الأشجار، ويعبر عن عواطفه بأصوات وحشرجات فارغة، لا علاقة لها بما يقتضيه العقل والحال فهى مجرد أصوات خارجة عن حناجر إنسان حسب مقتضياته وإرادته.

الحاجة إلى الإجتماع:

عند ما لاحظ الإنسان إغارة الوحوش الضارية على بنى جلدته فدب إليه دبيب الخوف، ورغم كون الكهوف خيرملاذله لكنه كان من الضرورى الوقاية من الحشرات الموذية والوحوش الكاسرة، فنظرا إلى هذا مست الحاجة إلى التفكير فى حياة اجتماعية، حتى يتمكن البعض من تقديم مساعدات لبنى نوعه فى أوقات حرجة، وبالتالى نتج هذا عن خلق بيئة تعاونية عن طريق تضامن إجتماعى، ولعله كان هذا تمهيدا لتعاون جماعى فى المجتمع الإنسانى آنذاك.

ومنذ ذلك اليوم أصبح من الضرورى للانسان وجود بنى جلدته فى المنطقة التى يقطنها.

التجمع والحاجة إلى التفاهم:

إن الحيٰوة الإجتماعية قد اقتضت إلى ضرورة إيجاد وسيلة التفاهم بالتعبير عن أحاسيسها ومشاعرها. والتى تم افتعال حيوة إجتماعية مقابل حيٰوة فردية، وحينما بدأت متطلبات الحيٰوة الإنسانية تتوسع

وتتطور وجدت مظاهر غريبة من التفاهم مانتجت فى البداية عن الإشارة، فاللفظ فالجملة فالكلام.

الانسان يتمتع بمواهب المحاكاة والتقليد دون الحيوان:

عند مانلاحظ الحيوانات وهى تعبرعن أحاسيها الداخلية نجد أن ألفاظها الخارجة قاصرة عن صلاحيات النمو والتطور كما نتلمس ظاهرة نبرات مماثلة سائدة خلال الأصوات الخارجة من أفواهها وجوارحها، دون حدوث التنوعات فيها ولهذا لم تبق الإشاراة الصادرة من هذه الحيوانات مفيدة كما أن نطاق التفاهم لم يتوسع من خلال أصواتها ورغم إجتماعها ووحدتها ظلت مهينة ومستضعفة إزاءالإنسان ولم تتمكن هذه الحيوانات على تنمية قدرات التفاهم المودعة فى كيانها منذ القدم.

أما الإنسان فقد عاش يستغل هاتين الصلاحتين، وذالک بفضل قدرات المحاكاة ومواهب الاختراع حيث تأبى مدنية الحديثة اليوم وحضارته وثقافته المعاصرة من الإعتراف بأن الانسان سبق وأن عاش حياة تخلف وخمول فى عصر ومصر.

مرحلة المحاكاة:

سبق أن الإنسان تدرب فى حياته الفردية والبدائية على محاكاة الحيوانات والكائنات الحية أما ضرورة الإجتماع والوحدة فدفعته إلى درس جديد ألا وهو "الإشارة".

الإشارة قسمان: ألإختيارى والإضطرارى، فظهور أمارات السعادة والعبوس على المحيا من القسم الثانى والإنسان يسعى لمحاكاتها عبر أعضاءه ووجهه.

أما الإشارة الإختيارية فيعتبر فيها أهم وسيلة فالأخرس عند ما أرادالتعبير عن شئ فيستخدم الإشارات فمثلاعلامة الخمار أو

الحجاب تدل على إمرأة وأما الشوارب واللحى فهى تدل على الرجل، ولدى التعبير عن حالة الغضب والمقت فيجعل وجهه عبوسا وقمطريرا هذه هى الإشارة الاختيارية.

فكان الإنسان قبل وضع ألفاظ أخرس ولهذا كان يقوم بالإشارات فى تأدية أموره وقد حلت هذه المظاهر محل التعبير عن مشاعره وأحاسيسه ورغم أن الاشارات ظلت قليلة ومحدودة فى البداية لكنها بدأت تتطور تدريجيا أن تمت تأدية جميع المشاعر والعواطف عبر الإشارات دون كلفة فلم يقتصر هذا.. الآن.. على أمور خارجية فحسب.

ضيق نطاق الإشارة:

إن صنعة الإشارة وتتطورها قد سهلت إلى درجة كبيرة مشكلة التعبير ولكنها كانت فى حاجة إلى الملاحظة والمشاهدة والحجاب ظل حاجزا فى تنفيذ هذه العملية فلذا كان الإنسان فى حاجة إلى تخطى هذه المعوقات ونظرا إلى هذا لجأ إلى إيجاد كلمات وألفاظ ولو لاها هذا لم تبق فى الدنيا إلا لغةالإشارات فقط.

التفاهم الصوتى:

رغم وفرة الإشارات ظل الإنسان يعانى من عدم القدرة على التفاهم فلجأ إلى محاكاة الأصوات المسموعة فيما بينه فمثلا خروج "التأوه" عند الوجع، فبدأ يستعمله فى المواضيع التى تنم عن الغضب والسخط كما أنه لجأ لمحاكاة أصوات الحيوانات المعبرة عن أحوال مختلفة فى التعبير عما يجيش فى صدره فمثلا الكلب عند ما يشاهد ربه فيخرج صوتا لا هو نباح ولا لحة، فبدأ الإنسان يحاكى صوته هذا بمناسبة مقدم شخص يبعث على الفرحة وإن إخراج مثل هذه الأصوات كان دالا على السرور والفرحة.

كما أن الكلب يشرع فى النباح عند ما يرى انسانا غريبا ولكن يسعنا أن نلتمس نبرات خاصة من الإنقطاع والتسلسل والتى تشير إلى حدوث شئ غير مفرح وقدحا كى الإنسان نفس الأسلوب حالة ملاحظته عدوا أو وحشا كاسرا.

فالحاصل ظل هذاالنوع من المحاكاة وسيلة للتعبير والأداء، فطورا تم التعبير عن العواطف والشعور الداخلى، وعن الواقع الموجود تارة أخرى، فمثلا النباح كان خير دال على تواجد كلب، وبالرغم مع ذلك ما زالت الإشارات متداولة فى مجال التعبير، فأحيانا عن طريق المحاكاة وتارة عن طريق الإشارات.

كما أن وجود الأخرس خير مؤشر على التفاهم بالإشارات، فمظاهر المحاكاة الصوتية نلتمسه فى طفل رضيع أيضاوهذه الظاهرة مؤيدة لما ذهبت إليه من راء.

فالطفل يبين ما يريده من الأشياء بواسطة الإشارات أو عن طريق محاكاة الأصوات، ولكن هذا النوع من الأداء لا يطول حيث يحيطه أهله وأقرباءه بذخيرة كبيرة من المفردات ويتم تذكيره من قبلهم فى جميع الأوقات حيث لا يلبث الطفل إلا يبدأ ينطق الألفاظ حالة مقدرته على التكلم.

إنه من نماذج المضحكات فلا يذعن لها العقل الانسانى بسهولة، القول، بأن اللغات والألسن المتطورة الراقية لم تبلغ قمة أوجها إلا بعد أن تخطت مراحلها المختلفة عن طريق محاكاة الحيوانات والجمادات. وبالتالى ضاقت مجالات تدوين لغة وتاريخها بمارحبت ولكن مظاهر الاستعجاب والحيرة تزول البتة لو ألقينا النظرعلى الحياة الأولية للانسان وما آل إليها فى تلك الفترة من الظروف والأوضاع، وأن العقل سوف يستسلم لهذا الرأى. فالذى يشاهد الحياة

المتحضرة ومظاهر عيشها الراقية الرغيدة لن يتطرق هذاالطيف إلى خاطره بأن الانسان قد أتى عليه يوم لم يكن فى حوزته إلا جلد حيوان فحسب يؤول إليه فى جميع شؤنه اليومية، فيرتديه فى النهار بدل الملبس، ويفرشه فى الليل بدل الحشايا والمطايا ويلتحفه فى الشتاء ويستخدمه فى الحرب كالدرع ويظلله فى المطر، وهووعاءٌ له لحمل الأمتعة، وباب له لسد فتحة الكهوف.

ولكنه من الثوابت التاريخية بأن الإنسان عاش فترة من الحيات قد سد فيها حاجاته المختلفة عن مظروف واحد، أما الظروف والأوعية المتنوعة فقد توفرت لديه بعد مرور الزمان تدريجيا.

فهذه هى حال اللغة أيضا، فقد سمع فى البداية صوتا واستمرت محاكاته وتقليده لفترة معينة، ثم صقله الجهاز النطقى الناعم المتلجلج، فجلت قليلا، حتى ظهر فيما بعد فى شكل لفظة متكاملة.

وكان... اتذاك ... تدل لفظة واحدة على معانى كثيرة متعددة، فهى الفعل والمصدر والمشتق واسم ظرف كذالك واسم الة أيضاً، فكانت تطلق على أى من هذه المعانى، وما يتعلق منها، وتستعمل فى جميعها، إلا أن نظرية المحاكاة الصوتية قد ترقت إلى درجة الألفاظ تدريجيا بعد العصور فقد رقت الألفاظ والمفردات إلى مرتبة الإسم والفعل والمشتق تدريجيا وبعد مرورالزمن.

ففى عصر الحضارة والمدينة الحديثة اليوم قد نجد فئات من الناس تقطن فى كهوف الجبال والغابات وأن الإنسان المتحضر و من مجتمعنا يأبى من قبولهم من حيث أنهم من أبناء جلدته، فحينما نشاهد هؤلاء الطبقة من أهالي الكهوف والغابات الموحشة، وطريقة حياتهم وظروف معيشتهم فتجلو لنا أمام أعيننا مظاهر الحيٰوة

الأولية للانسان على وجه الأرض فى سالف الزمان، حيث لم تظهر لبنة الحضارة والمدنية فى تلك الأيام إلى حيز الوجود.

وهكذا قد ظهرت فى بعض جوانب المعمورة بعض المظاهر من هذا القبيل هى تعتبر بمثابة خير شاهد ودليل على أن اللغة خاضعة لمثل هذه الافتراضات فى مجال تطورها وتنميتها، أن لها صولة وجولة فى جميع مظاهر المدينة وانواعها ، حتى أن الذات الإنسانية تعتبر من احدى مظاهر هذاالتطور، فهو أيضا ظل يتطور وينمو إلى الأمام حتى رقى على مرتبة النوع الإنسانى، فهناك بعض من سكان امريكا الجنوبية ووسطها، وجزء من مناطق استراليا قبل بضعة عقود، وكذلك جزء من أهالي من قارة افريقيا، تحث المعنيين بالقضايا اللغوية والإخصائيين فى مجال علوم اللغة وفقههاعلى دراسة لغتهم ولهجاتهم، فهى تؤيد نظرية الإرتقاء وتساندهاتماما.

إن أهالي مثل هذه المناطق تعوزهم ذخيرة المفردات والكلمات، وإنهم يلجأون إلى اشارات متنوعة من العيون والأيدى والأرجل وهكذا يعبرون عما يجول فى خواطرهم من أفكار وآراء أثناء الحوار، فأحيانا يستندون إلى نبرات خفيفة ، وشديدة تارة أخرى للتعبير عن معان مختلفة، فإن حوارهم يتكون من قسط كبير من الإشارات، لو لم يتنبه إليه المتكلم لن يستوعب مكنونهم ولن يفهمه.م تماما.

أما فى باب الأعداد والأرقام فإنهم يعانون من ضآلتها إلى درجة الفقر، بحيث لا توجد الأرقام إلا للواحد والإثنين فقط، أما للثلاث وما فوقه فإنهم يلجأون إلى تكرير الأرقام وإعادتها، لكن هذا التكرير ينتهى إلى الستة فحسب، فمثلا عند ما ينطقون الستة فيكررون الإثنين ثلاث مرات، وكذالك للخمسة ينطقون الإثنين

مرتين والواحد مرة واحدة، لكنهم إذا حاولوا أداء السبعة وما فوقها فلا يجدون لفظا مناسبا لها ولا تكرير اللفظ أيضا، إلا أنهم يكتفون على كلمة "كثيرا" فقط.

كذلك المعانى التى لا توجد لها الفاظ وكلمات فى لغتهم فيلجأون إلى التعبير عنها بماياناسبها ويشبهها، فمثلا لا توجد كلمة دالة على الطول أو الطويل ففى هذاالصدد لو أرادوا التعبير عن الطول فيقولون: "ساقا" ويلفظون "القمر" بدل "الشئ المدور" وقس على هذا.

إن تعاسة اللغة وضألة مواردها وسيطرة الإشارات عليها دليل صارخ على أن الإنسان قد عاش مرحلة من الحيواة اعتمد فيها على الإشارات بدل النقاش والحوار، ثم شرعت الألفاظ والمفردات تحل محل الإشارات تدريجيا، وهناك كانت تستخدم مفردة لحالات ومدلولات مختلفة، وبالتالى ظهر التوسع فى الكلمات والألفاظ بشكل متواصل.

الدور النطقى:

نظرا إلى الدراسات المذكورة اعلاها يمكن لباحث ضئيل المعرفة أن يتوصل إلى نتيجة تقول: إن الطفل عند ما تترسخ فيه صلاحيات النطق فهو يتمكن من أداء الألفاظ والمفردات، ومن ثم من نطق الكلمات والجمل المكونة من الفاعل والمفعول والمبتدا والخبر وما إلى ذلك، وفى ضوء هذا يمكن أن يقال: إن الحاجة الملح والمقتضيات البشرية المتنوعة دفعت المجموعة الانسانية الأولية نحو وضع المفردات والكلمات وبناء على هذا كان من الممكن أن قامت هذه المجموعة بتوفير كميات كبيرة من الألفاظ وحتى أواخر عمرها اعتبرت ذخيرة مدخرة للأجيال القادمة، فتطورت ونمت على

الأيام، وأنها استكملت فى الأجيال الآتية فى صورة لغة مستقلة وأصبحت بمثابة لغة كاملة.

أما الذى يتمتع بالمام تام بقواعد التطور يعى جيدا أن المجموعة الأولى من الإنسان لم يتمكن بملاحظة الأصوات الخارجية ومشاهدة الطبيعة بصورة أفضل، فما بال قضية المحاكاة أو قضية الوضع إزاء المحاكاه، فإن هذه المراحل الثلثة تتطلب الآلافا من القرون، كما أن مئات من الأجيال عسى أن خلت دون الوصول إلى تلك المراحل. فالفترة التى استغرقت فى السمع والمحاكاة وليس من السهل تقديرها وتخمينها، كما أن اجراء حالات القلب والإبدال والنحت والترخيم ومنه إلى توفير كميات كبيرة إلى المفردات، وصوغ الأسماء والأفعال ووضع الحروف إنها كلها مراحل متشعبة عويصة تحتاج إلى فترات طويلة من القرون لا تنتهى، فلاغرو لو قيل: إن الإنسان صعد إلى مرحلة النطق ومنه إلى درجة الكمال فيها واستغرق هذا مئات الألوف من السنين.

فالمرحلة الأولى هى مرحلة وضع المفردات، والثانية مرحلة تعيين درجات الإسم والفعل والحرف والتمييز بين هذه الأقسام، والمرحلة الثالثة هى للمشتقات والرابعة وضع اصناف المشتقات وأنواعها، والخامسة مرحلة التنسيق والتركيب بين هذه المفردات لتمثل فى صورة جملة مفيدة، والمرحلة السادسة تبنى على الإختلاف فى التركيب والذى يدل على الإختلاف فى المعنى، أما المرحلة السابعة فهى مرحلة وضع الإعراب والحركات، وإن نقطة العروج والكمال تنتهى إلى هذه المرحلة فى جميع اللغات، فلو القينا نظرة على لغات العالم نجد عملية التطور والتنمية جارية فيها حتى إلى عصرنا هذا، فاللغة التى مرت بمراحل كثيرة تعد أكثر نضجا وكمالا بالنسبة إلى

اللغات مازالت فى عهد صباها، ولم تكتمل بعد، وانطلاقا من هذا فاللغات التى تعوزها الحركات وحالات الإعراب تعتبر غير مستكملة إلا أن اللغات التى تتمتع بهذه الميزات الإعرابية، لكنها لا تدل على معانى متنوعة جراء التغيير فى الحركات والإعراب تعتبر غير متكاملة وغير ناضجة، إزاء اللغات التى يدل التغيير فى الإعراب فيهاعلى فوائد معنوية أيضا، فاللغات الغير المتكاملة تستخدم الحروف بدل الإعراب، فالإعراب عندهم لا يدل على معنى بل هو عبارة عن أداء المفردة وصيانتها فقط، فمفاد الكلام أن نقص الإعراب والحركات أو عدم دلالتها على المعاني يدل على النقص والتخلف لتلك اللغة، ويسع القول عن هذه اللغات:هى فى مرحلة العبور فهى فى عهد صغرها وحداثة سنها.

نظرة على دراسات المستشرقين:

قد أسهبت فى هذا الباب ذكر الموضوعات والدراسات المتعلقة فى باب تاريخ اللغات وهى تعددراسة متينة وحديثة فى يومنا هذا، فالكتب القيمة والضخمة أيضا لن تتعد إلا مالخصتها فى هذا الشأن.

ولو أن هذا المذهب ليس حكرا على الأوربيين فحسب، فلهم الاسبقية فى هذا المضمار بل هذا هو نفس مذهب أبى هاشم المعتزلي الذى سبق ذكره فى البداية، أما علماء أوربا فلم يقوموا إلا بتصبيغ وتنميق وتجديد المسلك المتقدم ذكره بعد مرور الأزمان، فى منهج جديد ولباس قشيب، وهذا ما دفعهم إلى الإعتقاد بأن محاولاتهم ودراساتهم واستنتاجاتهم تحل محل الإعتزاز والإفتخار لهم.

لست الآن فى صدد ذكرتاريخ اللغة والسعى وراء ادراک كنهها ومعارفها التى تعد حجرة أساس فى مجال وضع اللغة والبيان، كما أننى لست أركض وراء أصالة اللغات وأصولها وفروعها. ولاأرى

من الأنسب التخبط فى رسوم بابل والكلدانيين ولا البخع على آثار المقابر والنقوش المرسومة عليها ولا دافع لايجاد التوافق والإنسجام بين الأصل والفرع ولا أطمح فى اقامة فرع جديد فى جانب فرع آخر. فإن هذه الأعمال والجهود لا يقوم بها إلا من يتخبط فى متاهات الأوهام والافتراضات لا أساس لها من الصحة والواقعية، بهدف الوصول إلى نتيجة عقيمة زائفة ويصب جام موهبته وجل طاقاته العقلية فى هذا الباب، ويعتقد فى دراساته أنها من أنيق وأرشق الدراسات التى وصلت إليها عقول نيرة. وينسب جهوده كلها بالعلم بالآثار وبهذا اللقب الجميل يسعى إلى تلقى الإعجاب والثناء من قبل عقول مريضة.

بل ان مقصدى من خلال دراستى هذه ليس إلا إثبات أن اللغة العربية تستوفى جميع مراتب الكمال والعظمة والنضج التى تخصص وتحدد للغة ما. وأن اللغات الأخرى ستكون عاجزة وقاصرة فى الوقوف أمامها بالإضافة إلى تطبيقها العجيب الرائع، لقواعد الكمال وتربعها على مناصب درجات العظمة والرفعة تبرهن على أن العربية تفوق فى الأصالة والأقدمية على بقية لغات العالم.

وإننى لاأريد اثبات ما أذهب إليها من إدعاء بواسطة آيات مرسومة فى التوراة عن طريق الرسوم المنقوشة على القبور والأطلال، ولست أسعى إلى إدعاء الأوهام والافتراضات بأنها قبس من التاريخ وليس على القراء إلا الاعتراف بأحقيتها وواقعيتها بل إننى أسعى إلى إثبات نظريتى من خلال ذكر نماذج عادية من اسس التفوق وقواعد التطور الثابتة حيث أن لغة تخطت جميع هذه المراحل من التطور والتنمية استغرقت فترة كبيرة نسبة إلى اللغات التى مازالت فى مرحلة الحداثة والصغر، بحيث لم توضع لها أسس مستحكمة

بعد. ونظرا إلى هذا فإن كمال اللغة العربية واستواءها وازدهارها خير نموذج وأعظم دليل على أقدميتها وأصالتها، فخلاصة القول أن اللغة هذه وكمالها وبراعتها شهادة صارخة على أصالتها ولا حاجة لها فى هذاالباب إلى شهادة أخرى، فبزوغ الشمس دليل على وجودها.

الحواس الظاهرة والباطنة:

الإنسان يمتع بعشر حواس خمسة منها ظاهرية وخمس منها باطنية فالباصرة والسامعة والشامة والذائقة واللامسة من الحواس الظاهرة بحيث لا تحتاج إلى تحديد مواضعها وبيان وظائفها وأن كل حاسة منها تمتاز بميزات تختلف عن الأخرى، فالواحد منها لا تحل محل الثانية فى حال من الأحوال، فمثلا فى حالة ضياع الحاسة السامعة من المستحيل أن تؤدى البقية وظيفة السماع، وليس السبب فى هذا إلا أن كل واحد منها معنية عن وظيفتها الخاصة، أما الحواس الباطنة فهى الخيال والواهمة والحافظة والمتصرفة والحس المشترک ومن الأفضل الالمام بمواطنها ووظائفها كلها، فذهب العلماء فى تقسيم دماغ الإنسان إلى أنه ينقسم إلى ثلثة أجزاءٍ و أن الأول والثالث منها أكبر حجما نسبة إلى صنوها الثانى فهو عبارة عن "الممر" او "البوابة". وتفيد دراستهم بأن الجزء الأمامى من البطن الأول عبارة عن الحس المشترک والجانب الأخير منه هو موطن الخيال وأما الجزء الأمامى من البطن الثالث فهو موطن "الواهمة" والجانب الأخير منه هو موطن "الحافظة". أما البطن الأوسط (الممر أو البوابة) فهو محل القوة المتصرفة، ونظرا إلى وظيفته المتنوعة تعرف بأسماء ثلثة آتية: وهى المتصرفة والمتخيلة والمفكرة.

وعندما علمنا مواطن الحواس الباطنة وأسماءها، فأقوم بسرد وظائفها وهى كما تلى:

الحس المشترك:

الصور أوالأشكال للعناصر المحسوسة تتلمس بها الحاسة وتبقى جميعها منطبعة فى الحس المشترك ولهذا يعرف بـ "لوح النفس".

الخيال:

إنه مصدر المعارف للحس المشترك فالصور التى يتم خزنها يحافظ عليها الخيال ومراعاة لهذا يقع محلها قريبا من الحس المشترك.

الواهمة:

وظيفتها الإدراك والإحاطة بالمعانى الجزئية وهى أخص من الحس المشترك، والمعانى الجزئية أخص من الواهمة، فمثلا حب الحمل لوالدتها الشاة، أو عداوة الذئب للشأة وأمثالها تقوم الواهمة بإدراك هذه المعانى الجزئية.

الحافظة:

والمعانى الجزئية التى تدركها الواهمة تحتفظ بها الحاسة الحافظة ، فالنسبة بين الحافظة والواهمة هى نفس نسبة موجودة بين الخيال والحس المشترك.

المتصرفة:

وظيفتها هو الربط بين ادراكات الحس المشترك والواهمة وفصلها أحيانا (الترابط بين الصور المحسوسة والمعانى الجزئية) موطنها البطن الأوسط من الدماغ وهى فى حركة مستمرة متواصلة، تستوى اليقظة لها والمنام وبناء على هذا لن يعتبر الإنسجام والتناغم ضروريا فى وظيفتها، فمثلا يمكن أن تفترض إنسانا صاحب اربع

رؤوس، وإنسانا دون رأس، أو تتخيل انسانا نصف جزئه من الحيوان ونصفه الآخر كالانسان ، أو تفترض الجبن فى الأسد والبسالة فى الشأة، فإن هذه التصريفات ناشئة عن تلك القوة المتصرفة ولهذه سميت بـ "المتصرفة".

المتخيلة:

إن العقل يقوم بإدراك كنه الكليات ويجعل الواهمة وسيلة لهذه الوظيفة وفى تلك الحالة تنحصر خصائص المدركات الجزئية، وبناء على هذا تعرف هذه القوة بـ "المتخيلة".

المفكرة:

تجعل هذه القوة كنه الكلية فى ملبس الصور الجزئية فى حالة استخدام النفس تلك القوة وتعرف هذه القوة بالمفكرة.

إن هذا المقام لا يسع للتوضيح والتشريح والبرهنة ولكن هذا الإسهاب كان من الضرورى فى خضام هذا المبحث حتى يكون الدارس ملما بأسماء الحواس الباطنة ووظائفها، وتشمل الفائدة فى مباحث قادمة، ويكون الكلام مترابطا مع بعض.

مرحلة الإنسان اللاشعورية:

من الملاحظ أن الحواس، الظاهرة منها أو الباطنة، لا تحتاج إلى كسب أو تعليم فى وظيفتها بل تبرز الصلاحية المؤدعة فيها إلى حيز العمل فى حينها، فالعلماء يقولون: إن الطفل لا يبدأ بالشعور والإدراك فى البداية بل تمر عليه أيام لا تعمل فيها حواسه البتة ولو يخيل للناس أنها تعمل لكنه فى الواقع لا تعمل بتاتا وأن الحواس تبدأ فى الوظيفة تدريجيا.

فترة توظيف الحواس:

أن القوة اللامسة تبدأ بوظيفتها أولا ثم الباصرة والسامعة والذائقة أما الشامة فهى تبدأ عملها فى نهاية الجميع وأن أجهزة إدراك الحواس الباطنة هى نفس أجهزة الحواس الظاهرة ولأجل هذا لن تبدأ الحواس الباطنة وظائفها بدون الحواس الظاهرة.

فالحاصل إن وظيفة الإحساس والإدراك تبدأ بوظيفة الحواس الظاهرة إلى الباطنة ومن المظهر إلى المعنى ومن الجزئيات إلى الكليات وهذا لا يحتاج إلى الوقت والزمان ولا إلى التعليم والإكتساب.

و من البديهيات أن هذه الحواس الظاهرة والباطنة موجودة فى الحيوانات أيضا فأنى لها التدريس والتثقيف.

الشعور أمر غير كسبى

إن الدراسة هذه تفيد بأن الحواس وتوظيفها فى أوقاتها المناسبة أمر بعيد عن الإكتساب الإنسانى وعند ما تستوفى الحواس شرائط توظيفها فهى تشغل لتعمل عملها فالحواس تبدأ بالإدراك ويستوى فيها الإنسان والحيوانات الأخرى.

قوة التمييز والإدراك

إلا أن الطفل عند ما يبلغ السابعة من عمره فتنشأ فيه قوة أخرى تعرف بصلاحية التمييز ويظل هذا النوع من الصلاحية تنمو إلى أن تتحول فى السنة العاشرة إلى قوة مستقلة أخرى تدعى بالعقل.

النفس الناطقة ووظائفها

بفضل العقل وقوة التمييز يتمكن الإنسان من وعي الكليات والمجردات ويصل إلى نتيجة جديدة بعد عملية ترتيب المعلومات ويقوم بإيجاد وإختراع أمور وإنتاجات معتمدا على فكره وآراءه فهذه هى الوظائف التى خص الله بها الانسان دون غيره بصفة

خاصة وبهذه قد كرم الله بنى آدام على جميع الحيوانات وإلا فالمشاعر الخمسة الظاهرة منها والباطنة تتوفر فى الحيوانات والإنسان على السواء وإن التعليم والإكتساب لا تضفى شيئاً جديدا إلى هذه المشاعر والأجهزة الطبيعة ولا تحدث فيه قوة عمل أخرى فوجودها ووظيفتها كلها فطرية وموهوبة أما وظيفة التعليم والتثقيف عبارة عن ثقلها وجلائها وتنميتها لا غيرها.

إعتراض

وفى هذا الباب يرد على الانسان وحواسه الظاهرة والباطنة بأنه لماذا نشأت قوة التمييز فى ذاته فى السابعة من عمره وبدأ العقل فى وظيفته فى العاشرة فما السرّ فى أن الإنسان رغم كونه أكثرعددا فى القوة المدركة من الحيوانات الأخرى لكنه لا يتمتع بالشعور والإدراك إلا بعد مرور زمن فهل تنشأ المشاعر والقوة المدركة نتيجة الثقافة والحضارة؟ أو أنها رهينة الإكتساب والتعليم.

القدر المشترك بين النوعين العالى والسافل وطريقة التمييز بينهما

لا مفر من الإعتراف بأن الإنسان عبارة عن كائن يتمتع با لقوة الإرادية وميزة الإدراك أكثر من أى كائن فى هذا العالم فى ضوء نظريتين مختلفتين، تقول إحداهما: إن الإنسان خلق فى صورة الإنسان منذ القدم وتدعى الثانية بأنه إرتقى مرتبة الإنسان تدريجيا، فالذين يبحثون عن كنه الأشياء، يختلفون فى أن المواصفات الخاصة فى النوع العالى هل توجد بعضها فى النوع السافل أم لا ولكنه لم يذهب أحد منهم إلى أن النوع العالى عارمن المواصفات الثانية للنوع السافل فمثلا يقال فى القوة اللامسة والتى إعتبرها كثير من

العلماء من ملازمات الحياة توجد حتى فى الجمادات أيضا ولكن لم يذهب أحد إلى أن هذه القوة غير موجودة فى الحيوان أو الإنسان فإننى لا يمكننى الفهم عن الحوافز التى تدفعهم إلى جراءة الرفض عن مثل هذه البديهيات إن الإنسان هو الأخيرفى سلسة التطور وفى هذه المرحلة عند ما تدرج إلى مقام الإنسانية فكان من الضرورى أن تلاحظ مظاهر أخرى فى ذات الإنسان بعد وصوله إلى هذه الدرجة غير الصفة الحيوانية.

فساد أساس المحاكاة الصوتية:

ياللعجب!! إن الحيوان يسع له التعبير عما يجيش فى صدره من أحوال السرور والحزن أما الإنسان رغم تربعه على منصب الإنسانية يبقى غير عاقل ولا يسع له إخراج أصوات إلا إذا لم يستمع إلى أصوات الحيوانات والجمادات.

هذا، ومن المضحك أن الإنسان فى جانب اعتبر عاقلا حيث أنه تمكن من محاكاة الأصوات المختلفة للبهائم والحيوانات، ومن ثم استطاع على ترتيب النتائج وتطبيق هذه الأصوات على ذاته، لكنه فى جانب آخر اعتبر فى غاية من البؤس والشقاء حيث لم يتمكن من استخدام الأجهزة الصوتية المؤدعة فى كيانه بالإضافة إلى إخراج الأصوات منها إلا بعد أن اصطدمت آذانه بأصوات البهائم ومما زاد الطين بلة أنه لم يقدر على تأدية الأصوات إلا بقدر تلقيها فحسب. ولم يتعد هذا إلا مرتبة المحاكاة لا غيرها.

هذا، ولا ندرى عن ذالک الحيوان الذى سبق سماع صوته أولا، وذلک لأن أصناف البهائم تتنوع فهذا تمتاز أصواته عن الأخرى مثل النوع الإنسانى تمتاز لغاته ولهجاته عن البعض فى يومنا هذا، وكم عددا من الحيوانات كان موجودا وقت بدء الخلق الإنسانى؟ فهذه

الأسئلة تحتاج إلى البحث والتنقيح وأى صوت من هذه الأصوات الحيوانية يعد مصدرالمحاكاة؟ وهل يحدد لهذه المحاكاة صوت معين لحيوان معين أو ثم محاكاة بعض الكلمات والأصوات من جميع تلك الحيوانات؟ فكلما نخوض فى غمار هذه الدراسات تتجلى لنا تفاهتها وتعقيداتها للأعيان، فمنها أن الحيوان هو قادر على تأدية وتعبيرأحاسيسه وإخراج الأصوات من أفواهه بجوارحه وأعضائه البدنية واصواته المختلفة دون الإنسان، فهو فى هذا الباب كائن محض لا حول له ولا طول. ورغم صعوده مرتبة الإنسانية فهو فى حاجة إلى التعليم والإكتساب دون الحيوان وليست الدراسة العلمية الدقيقةهذه عن الإنسان وتطوره إلا مبعث السخرية والدهشة.

فالطفل يبكى عند ما يولد، تخرج أصوات من فيه فمن البديهيات أن الإنسان فى حاجة إلى اكتساب لغة معينة أو جمل محددة ودراستها وتلقيها دون دراسة أصوات مطلقة محضة، فالصم والبكم هم أيضا يقومون بإخراج الأصوات من أفواههم، وأن نبراتهم تختلف باختلاف العواطف والمشاعر، فلمن يحاكونه ياترى، وهل هذا يرضاه من له عقل سليم؟

وهكذا حالة الطفل فهو يظل يقدر على اخراج الأصوات عند ما يتقوى الجهاز الصوتى الكائن فى جسمه مع مرور الأيام، رغم أنه لم يسمع لغة قوم أبدا، ولا شك فى أن الأصوات الخارجة تنم عن نبرات مزيجة بالرخوة والشدة والخفة والجهر، ولو افترضنا أن هناك مجموعة من الصغار نشأت وترعرعت، وقرعت آذانهم أصوات انسانية، فرغم الإدعاء بأنها مجرد أصوات لا تضاهى لغة من لغات العالم لكنها تعتبر بمثابة لغة التفاهم والكلام دون شك، كما أن فئة الخُرس عندما تجتمع فى مكان فيتم التفاهم فيما بينهم

عبر أصواتهم واشاراتهم الصادرة منهم رغم أنهم لا يتمتعون بالجهاز الصوتى، وبناء على هذا يمكنى القول، إنه لا مانع من اعتراف أن الإنسان الموهوب الحواس والمشاعر أيضا قادر على التفاهم وتبادل الآراء بمجرد سمع الأصوات وإسماعها لأبناء جلدته، إلا أن اللغويين والإخصائيين يبقون قاصرين فى فهم أصواتهم لأنهم ملمون بأصوات ولهجات محدودة ومعينة دون النبرات والإشارات ولكن هذا لا يدل على نقص فى نظام التفاهم والمحاورة. فخلاصة الكلام، أن الإدعاء بأن الإنسان لم يتمكن من التفاهم والتعبير عما بجيش فى خواطره إلا بعد أن تلمس الجو الذى يعيشه ومن ثم سعى إلى محاكاة أصوات الريح والمطر والحيوانات والبهائم، ليس هذا مذهب الباحثين الكيسين والآن عند ما دلت بداهة الأمر على أن الإنسان ليس بمفتقر إلا فى باب الإكتساب للكلمات وتعليم المفردات والألفاظ دون الأصوات فانطلاقا من هذا المبدأ هل يصح التركيز على دراسات إكادمية مفترضة والتشديد عليها فيصب جل الطاقات فى ترويجها، وعند ما ظلت البداية خاطئة وفاسده فهل تبقى جميع النتائج المستنبطة منها مبنية على الأصالة والواقعية؟ فمن الواقع أن علوم الطبيعة وفلسفتها تشتمل على كشف الأسرار المتعلقة عن الأرض ولكنهاعند ما تدخل فى الأجواء الواسعة الرحبة فترجع خاسئة وهى حسير تعبر عن معاناتها وهى تكون محاكاة عن مشاعرها دون البحث عن حقائق الأشياء وكنهها.

نظرة متانية على نظرية المحاكاة الصوتية:

وهنا أرى من الأنسب أن أقوم بدراسة نظرية محاكاة الصوتية التى تتشدق بها الحناجر فأقوم بسيطرة الأضواء عليها لتتجلى لنا أصالة هذه النظرية ومدى معاييرها العلمية الدقيقة.

إنه من الظاهر أن الإنسان له خمس حواس وأن كلها تختلف عن الأخرى فى وظائفها وواجباتها والعمل، فالأذن للسمع ولا علاقة له بالنظر والشم والتذوق واللمس، فلو قيل فى هذا الشان: إن النطق الإنسانى قد ابتدأ من محاكاة ماتسمع الآذان وهناك قام اللسان بمحاكاة تلك الوظيفة فيلزم إذن عدم قيام الإنسان بوضع الألفاظ عن بقية الحواس الأربعة الأخرى لأن فيها لا يوجد صوت أو ما يشبهه الصوت حيث يتم ظهوره، وفى هذه الحالة يمكنك تلمس المعانات الفكرية للدماغ الإنسانى فهناك أربع حواس تقوم بوظائفها والقوة المدركة تعيها كما أن الأعضاء والجوارح تتأثر وتنفعل أيضا ولكن الأجهزة الصوتية للإنسان لا تقبل أثرا فى هذا الشان والسبب هو أنها تحاكى الأصوات فقط دون المدركات والمحسوسات وسواء أن يختنق الإنسان نتيجة هذه الظاهرة المحرجة لكنه لا يستطيع على القيام بإخراج الأصوات إلا بعد أن تمر المحاكاة بعملية النحت والقلب والإبدال والترخيم.

فمن غريب الافتراض لو قيل: إن القوة اللامسة قد بدأت وظيفتها قبل الجميع ونظرا إلى هذا كان من الأنسب أن توجد قوة التعبير فى الملموسات أولا، ولو قيل هذا لأيدته الدراسات والبحوث فى هذا المجال ولا يبعث على الحيرة ولكن هذا لم يكن مبعث التقدير والثناء لقاء دراسة قيمة، وتحقيقا لهذا الغرض كان من الضرورى إبطال جميع الثوابت العلمية البيلوجية والحياتية حيث تتجلى فيه للناس أهمية الفيلسوف اللغوى وليعلم أهل المعمورة الغر أن الفلسفة شئ وفلسفة اللغة شئ آخر وإننى لا يسعنى الفهم أن هذا السلوك المعاند فى باب الدراسات والبحوث العلمية هل يستاهل أن يطلق عليها إسم "التحقيق" وإننى فى غمار الحيرة والإستغراب إذ أيهما

أكثر بعثا على الدهشة، دراسة الباحثين أو أتباعهم ومقلدوهم فكلاهما أعظم خطبا وأكبر دهما من الآخر.

مرتبة الأولية والصدارة فى الحواس الخمسة:

إن معظم الباحثين فى مجال علم النفس يذهبون إلى أن الحواس الخمسة يختص باالكائنات الحية أمابعضهم فيرون أن القوة اللامسة تتعدى إلى الجمادات أيضا، (فالدخان) يصعد إلى الأعلى، والحجارة المرمية تهوى إلى الأسفل، ليس إلا ناتجاعن اللمس دون القوة الكامنة فى ذاتهم، فالرفعة للحجارة والهبوط والتدنى للدخان لا يلائمهما، وأن هذه الظروف غير المناسبة دفعتهما إلى ما يرضيان به، فالدخان صعد نحو الأعلى ولقى بما هو يلائمه، كما أن الحجارة تنفست صعداء بعد هبوطها على الأرض.

إننى لست هنا فى صدد القول الفصل فى هذا الشأن لكن هذا يدل على عظمة القوة اللامسة ودورها الريادى، وأن هذا الشعور كان مؤدعا حتى فى الجمادات وتعدت إلى الحيوانات الأخرى وبالتالى إلى النوع الإنسانى.

الشيخ ابوعلى سينا يؤيد أهمية القوة اللامسة:

وفى خضام هذا المبحث اسرد ما ذهب إليه الشيخ ابو على سينا، وتحقيقه الأنيق فى كتابه الرائع "الشفاء" وهو جدير بالإهتمام ، فالقوة اللامسة عند الشيخ تحل أهمية كبيرة حتى أن القوة السامعة والباصرة أيضا فى حاجة إليها فى معرفة ما يلائهما وما لا يلائمهما، وهو يستطرد فى هذا الشان قائلا: إن حاسة الأذن والعين عند ما بطلت بسبب أو خلل طبيعى فالعين لن تستمتع بلذة الجمال ولا تكره منظرا شنيعا بشعا كما أن الانغام العذبة ولو على مرتبة اللحن الداودى فى عينيه تحل محل الأصوات الخشنة والثقيلة

وتتساوى عنده جميع الأصوات الحلوة منها والخشنة دون شعوره بلذة أو فرحة أواستكراه ونفور، فالذين لا تستانس أذواقهم بجمال النظر وحلاوة الصوت ولا تتمتع بالتمييز بين الحسن والقبح فليس هذا إلا نتيجة الحواس الباصرة والسامعة وزالت الصلاحية المودعة فيها،[1] فخلاصة تحقيق أبى سينا هى رغم وجود الحواس الباصرة والسامعة لاتترتب الأحوال عليها أمثال ظاهرة الألم والفرحة وغيرها لا تأتى إلا عن طريق القوة اللامسة الكائنة فى الحواس السمعية والبصرية على السواء.

إن تحقيق الشيخ هذا ماحظئ بالقبول بين الحكماء الذين يلونه ورغم تأييد الإمام فخر الدين الرازي له لم يشق هذا الموقف طريقه إلى القبول لكن هذا الراى يعد بمثابة حجة ثانية تثبت أهمية القوة اللامسة، فالجميع من علماء الطبيعة قد يما وحديثا مجموعون على وظيفة الحاسة اللامسة تبدأ قبل الكل ولم يختلف فى هذا القول احد منهم فى زمن ما، أما مسألة اهمية هذه الحاسة وتحديد درجتها ظل مبعث خلاف بينهم فإن وجود الاختلاف فى هذا الشأن لدليل صارخ على مدى اهميتها وقيمتها.

إن غرض القيام بسرد هذه المذاهب فى هذالباب لم يكنإلا الادعاء بأن الحواس اللامسة عسى أن طالبت ضرورة التعبير والأداء قبل الحواس السامعة، فالمباحث الفلسفية والطبيعية هذا الرأى كما أن هذا نابع عن أقوال العلماء الطبيعين أيضا، وإن خلاف ذلك يجعل الإنسان الفائزعلى منصب الكرامة أقل شأنا من الخرس، وأدنى منزلة من البهائم، فهذا لن يكون عبارة عن كشف واقع وإماطة اللثام عن حقيقة مفتعلة بل هو اسم اخر عن تزوير وتشويه للحقائق.

---

[1] ينظر: القانون، صنفه ابو على سينا ص ٩٥، ترجمة: حكيم سيد غلام حسين، طبع نول كشور، لكناؤ عام ١٩٣٠

حقيقة السمع

والآن من الضرورى ذكر نبذة عن حقيقة السمع فى الأسطر الآتية، وأسلط الضوء على كنه الصوت الإنسانى ومدى دور الجهاز السمعى فى هذه الوظيفة وكيفيته.

الوريد والعصبات الكائنة فى الجانب الداخلى من الأذن هى نفس الجهاز السمعى وقت اصطدام القوة فجأة بالنظام الهوائى فتأثيرها على ذلك الجو السائد، يحدث تموجا واضطرابا فى الهواء وبالتالى يبلغ هذا فى الثقب الداخلى الكائن فى داخل الأذن، وهناك تقوم بتفعيل الهواء الهادئ الموجود فى داخل الأذن وتحدث نفس التموج فيه، وإن هذه الموجات عند ماتصطدم بتلك الأعصاب والأوردة فتتمكن القوة المدركة عبر هذه الأعصاب المودعة من إدراك الصوت وهكذا يقوم الإنسان بتعبير أحاسيسه بواسطة الصوت.

اللسان ناطق بإسم الأحاسيس والمشاعر

من الواقع أن الحواس الخمسة عند ما تقوم إحديٰهابشعور معين فهذا لا يخلو عن حالتين: الأولى يتلذذ بها ،والثانية: يتأذى بها وفى كلتا الحالتين تسود كيفية الإنفعال فى سائر اعضاء البدن ويمكن مشاهدة هذا الإنفعال للناظرين، وإن شدة الإنفعال والتأثير تجعل الإنسان غير قادر على كتمانها أو السيطرة عليها رغم محاولاته الجادة فى هذا الشأن إلاالانفعالات الخفيفة الشأن فيمكن كتمانها والتغلب عليه، وفى هذه الحالة هل من الممكن الإدعاء بأن الأحوال التى طرأت عليه جراء القوة الحاسة تعدت إلى الجلد ومنه إلى الوريد ثم إلى العضلات، أماللسان فبقى غير قادر على التعبير عن هذه الحالة والسبب فى هذا هو الإنفعال هذا لا علاقة له بالصوت، فهذا لا يختلف فيه إثنان أن اللسان هو خير وسيلة للتعبير عن مثل هذه

المظاهر وكبح جماح شدة التأثر والإنفعال إلى أن يأخذ مجرى الإعتدال، فالحاصل أن تأثر الأعصاب وتغير قسمات الوجه أمراضطرارى هكذا إبداع الأصوات والنطق بها من أمور إضطرارية دون اختيارية، فالأصوات الإضطرارية مثل (آه) و(واه) تدل على أن الإنسان هو قادر على التعبير عما يعيش فيه من أوضاع فى صورة الفاظ، ولكنه نتيجة إحاطته بحالات إضطرارية تاتى كلمات مرتجلة على لسانه تعبر عن حالاته، ولأن الإرادة والقصد لم تجد سبيلا وفرصة فى هذه الأشياء، ولهذا لا تجد انسجاما وتناغما بين الشعور والتعبير، ولكنه يشير إلى أن التعبير عن هذه الحواس من متطلبات الحيوة وخواصها، فليس من الممكن أن تقوم الحاسة بوظيفتها ولن يتمكن الصوت من محاكاتها، فأحيانا عند ما يعرب الانسان عن العواطف والمشاعر، فيبدأ فى النطق به والتمتمة دون من يخاطبه ويستمع إليه بنبرات مختلفة وإن هذا النوع من الأسلوب البيانى خير دليل على أن التعبير والبيان عما يحسه النوع الإنسانى من فكر ورأى هو من مقتضيات الطبيعة الإنسانية حتى أن الإنسان يضطر أحيانا على النطق والتكلم دون من يستمع إليه.

القوة السامعة محك التعبير والبيان للملفوظ والمسموع

وتبدأ هناك قضية أخرى وهى: أن النطق إنما هو ذريعة تعبير للعواطف والأحاسيس النفسية كلها لا لحاسة فقط، ففى هذه الحالة كان من الواجب وجود صورة للمفردات تنم عن المشاعر والأحاسيس التى هى فى صدد التعبير عنها، فالهواء المفتعل عند ما يصطدم مع الجهاز السمعى وآنذاك يتمكن السامع أو المتكلم من

إدراك مدى الإنسجام والتناعم بين العواطف والأحاسيس المعبرة عنها، ومدى التوفيق فى هذه العلمية، فالجهاز السمعى ليس عبارة إلا عن وظيفة البحث عن مدى التوافق والتناعم بين المفردات ومعانيها، فهو يقوم بوظيفة المحک فى تقييم المعانى والألفاظ ومدى صحة التعبير.

ومما لا يختلف فيه اثنان أن الجهاز السمعى له دور كبير فى وضع المفردات، لكنه هذا لا يعنى عند ما يقوم بمحاكاة أصوات الحيوانات فيتسنى له وضع المفردات، بل أن الألفاظ التى تم وصولها إلى الآذان عبر الهواء قيست فى ميزان الجهاز السمعى حيث هل يوجد انسجام بين اللفظ والمعنى أم لا؟ وهل توافق بينهما أم لا؟ وتبقى المحاولات مستمرة فى حالة عدم التوافق بينهما إلى أن يظهر العدل ويسود التوافق.

بحث المستعمل والمهمل

ولمزيد من الإيضاح يمكنک الإعتماد على أن اللفظ ينقسم إلى قسمين، فاللفظ الدال على معنى يعرف بـ "المهمل" وهذا يعنى أن الألفاظ التى تحمل فى كيانها معنى وتأثيرا فهى من الكلمات الموضوعة وأماالألفاظ التى لا تحمل معانى وتأثيرا ولو هى مركبة من الحروف ولها هيئة كهيئة المفردات.

فان لم توجد دلالة الألفاظ على المعانى وأن الألفاظ نفسها لن ترتكز على المفاهيم، فإن هذا التقسيم للمستعمل والمهمل لن يكون مبنيا على قواعد علمية متينة بل عبارة عن تقسيم ناتج عن صدفة.

فعند ما نصب الواضع الكلمة إزاء معنى وعدها فى عداد اللفظ الموضوع، وعكس ذلک اعتبر مهملا دون المراعاة وايجاد الترابط بينهما ففى هذه الحالة القول بأن هذا موضوع وذلک مهمل لا يعد إلا

وليد الصدفة، فإنه كان من الممكن أن يختار الواضع المهمل محل المستعمل، ويضع المستعمل جانبا وفى هذا يختلف الأمر ولن تكون عملية الموضوع والمهمل إلا عبارة عن الأخذ والترك.

ولو كان الأمر كذالک فى عملية وضع الألفاظ فقط، فلا يصح الإدعاء بأن الألفاظ خير معبرة عن الأحاسيس والمدركات، وهذا خطا صريح و من المدهش العجيب أيضا فالأصوات لا تعبر عن مشاعر الانسان بالحواس المتكاملة بل يشمل الخرس والحيوانات أيضا، وفى جانب آخر تشاهد هذه الظاهرة كظاهره التقدم وتطور الدراسات اللغوية ان الأصوات عند ما تمثلت فى صورة الألفاظ ففقدت آنذاک صلاحية التعبير واصبحت تحت نير الوضاع لها بأنهم يقومون بتقديرها وتقييمها من الموضوع والمهمل. فكل من له المام ومعرفة يعى جيدا أنه لا بد عن صلة وربط بين المعنى الحقيقى الموضوع له والمعنى المجازى وفى فقدان هذه الصلة والربط بين المعنيين لن يعد هذا الإسناد صحيحا كما أنه امر يبعث على الإستغراب أن المعنى الحقيقى أصبح غريبا عن اللفظ بحيث لا يسمح له البحث عن صلة وربط بينهما بل يعد هذا خطأ وأن دور الوضاعين فى مجال الوضع هو دليل الربط والصلة فحسب.

هل من الممكن أن يتربع شخص على منصب الواضع العظيم بأنه وضع ألفاظا إزاء معانى مختلفة نظرا إلى مكانته وتقدمه الزماني ولو هذا جعل مقياسا لوظيفة الوضع والواضع والكلمات الموضوعة فإنها لن تكون مقبولة لدى اللغة العربية أبدا، رغم قبول اللغات الأعجمية لهذه المقاييس ذالک لأن اللغة العربية تمتاز بصلات وطيدة مع معانيها الحقيقية، وتدل دلالة واضحة على عظمة واضعها ومكانتها الرفيعة بالإضافة إلى وجود نور العلم فى اللفظ الموضوع

وجدارة التعرف على كنه الأشياء وحقائقها لوظيفة الوضع دون تمعن وتأن للعيون.

المبحث السادس

فلسفة الإشتقاق

الإشتقاق الصغير والإشتقاق الكبير

إن مباحث الإشتقاق الكبير تدفع إلى الاعتراف بأنه حينما يتم وضع لفظة فى اللغة العربية تبقى ذات المعانى والدلالات فى جميع أشكالها، وبرغم الإنتقال من صورة إلى اخرى تظل روح المعنى سائداً فيها.

أما الإشتقاق الصغير: فهو أخذ كلمة أخرى شريطة سلامة الهيئة التركيبية مع جواز الزيادة وبقاء مادة الكلمة محافظة على المعنى الأصلي، فالمضارب اسم فاعل من (الضرب)، و (مضروب) اسم مفعول و (مضراب) اسم آلة، و (مضرب) اسم ظرف و (يضرب) فعل مضارع و (ضرب) فعل ماض، فقد صيغت هذه كلها من لفظة (الضرب)، فمادتها: (ض،ر،ب) وكلها موجودة في الصيغ جميعها مع الترتيب نفسه ومع الشكل الذى أورده المصدر من حيث التقديم والتأخير، وإن الزيادة فى الحروف تاتجة عن زيادة المعنى فى داخل الكلمة التى هى: (الضرب). وإن هذا النوع من الإشتقاق معروف لدى الجميع، وهذا لم يكن حكراً على اللغة العربية فحسب ، بل هو موجود لدى جميع اللغات الحية المتطورة.

أما الذي تمتاز به اللغة العربية فهو الإشتقاق الكبير، وهو عبارة عن بقاء حروف المادة الاصلية مع التغيير فى الشكل والترتيب للكلمة.

<u>الفرق بين الإشتقاق الصغير والإشتقاق الكبير:</u>

لكى نفرق بين الإشتقاقين نأخذ كل واحد منهما على حدة، فالصغير منهما يزاد فيه حرف فأكثر أو يحرك ساكن أو بالعكس، مع البقاء على الشكل الترتيبى للمادة.

وأما الكبير فهو تغيير محال حروف المادة الأصلية، من غير إعلالٍ بحيث تبقى الكلمة ذات دلالة ومعنى، رغم الأشكال المختلفة الممكنة التى تطرأ عليها من أثر التغيير والقلب.

إن مادة الكلمة فى الإشتقاق الصغير هي المصدر ، ويشتق منها الماضى والمضارع والظرف وغيرها، مع ان الدلالة والمعنى فى الإشتقاق الكبير هو بمثابة الأصل الذى تشتق منه الكلمات الأخرى ، وكان الإشتقاق قد استعمل فى الصغير فى معناه الحقيقى، مع أنه استعمل فى الكبير فى معناه الصناعى هادفا إلى تركيب الحروف وصياغتها، إلى حين وصولها إلى مرحلة ذات معنى ودلالة، فمهما تغير ترتيب الحروف فى هذه الحالة فإنه لا يوحي إلى أن اللفظ الذى طرأ عليه التغيير يعد مهملا أو لا معنى له'، بل تقررت له ظاهرته الدلالية بصورة متينة مستحكمة، إذ مازال يدل على معنى من المعانى، وأن التغير فى الشكل يدل على تغييرً فى المعنى، ولكن هذا لايعنى أن التغيير والاختلاف في لفظ له دلالته ومعناه يؤدى إلى لفظ لا دلالة له ولا معناه، إن وجه الإشتراك في الإشتقاق الصغير هو أن يظل معنى المصدر واضحاً في جميع مشتقاته، كذلك الحال في الإشتقاق الكبير فيلاحظ فيه أن اللفظ يشترك فى كونه "ذا معنى ودلالة" فى جميع عمليات تغيير لبنية الكلمة.

الإشتقاق الكبير من مادة (ق،م،ر):

لو قلبت مادة (ق،م،ر) إلى أشكالها الممكنة نتجت عنها ستة أوجه وهى: (القمر) كوكب من الكواكب السماوية و(المرق) يعنى الخط والكتابة، و (المقر) السم القاتل، و (الرمق) بقية الحياة، و (القرم) سيد القوم و (المرق) الماء الذى أغلي فيه لحم فصار دسماً، وكل وجه من هذه الوجوه الستة ذات دلالة ومعنى ولا سابع لها، لو درسنا هذه الأشكال بتمعن وتأن فيتبين، أنه من الممكن أن يحدد لهذه الأوجه الستة دلالة ومعنى ، وهو القاسم المشترک فى جميعها ، فمثلا معنى الظهور تدريجيا، كمايشيرالحصول على السيادة والوصول إليها على التدرريج والتأني كذلک يدل عليه مفهوم (الرمق) دلالة واضحة، حيث تنبئ نبضات القلب الخفية والبطيئة عن بقية الحياة للإ نسان ، وكذلک واضحة حالة ظهور الخط (النقش) ومن ثم تتكون جمل من هذا الخط بالتدريج، وأما الزيادة والنقصان في ضوء (القمر) تدريجيا فأمر بديهى كذلک.

ويمكن أن يأوّل هذا بتعبير آخر، وهو أنه حين نسأل عن القاسم المشترک بين أشياء مختلفة الأنواع فالجواب حينئذٍ يكون عن الجنس المشترک فيها، مثلا : لو سأل أحد عن حقيقة التين والفيل والزمرد والإنسان فالجواب يكون عن الجنس المشترک في كلها جميعا.

على الرغم من أن جواب الجنس لا يلائم – ابداً - فى تعريف الفيل والتين والزمرد والإنسان، وبالرغم من ذلک فإن الجواب لا يخلو فى هذاالسؤال عن الجنس ، لأنه هو (القاسم المشترک) بينهما ، ولا يستساغ له جواب ثانٍ بتاتاً، وإن كل الأشكال المكونة من مادة

واحدة هى بمثابة (النوع) على الرغم من إختلاف الصيغ، ومع الأصل الواحد للنوع هو الذى يؤدي إلى وجود القاسم المشترك بين الأنواع جميعا، بصورة أو بأخرى.

رد على شبهة:

ليس هناك شك بأن لفظ (قمر) قد تحول إلى ستة أشكالٍ، وبقى كل لفظ ذو معنىً ودلالة، فى ضوء قاعدة مضبوطة الشكل حيث يمكن إجراءها فى جميع الألفاظ، لتكون دليلا لها، فالمسألة توفيقية فى كثير من الظواهر والصفات، أما ان اجتمعت الحقيقة عكس ذلك فتستثنى منها، وإلا تفيد هذه القاعدة فى جميع المواضع، إلا الكلمات التى تخضع لعملية التقليب فهى تنافى روح الفصاحة وقواعد الصرف، وهى لا تتعدى عن خمسة مواضع، وهى:

أولاً: أن تكون (العين) و (اللام) من جنس واحد فى الكلمة الثلاثية، وتم إدغام الأول فى الثانى، نحو (صر)، (ضر)، (مد)،و(قدّ)، وغيرها، فإن قواعد الصرف تمنعها قلبها إلى أشكالها الستة ، أو تكون (الفاء) و (اللام) من جنس واحد أو متقاربتا المخرج، نحو: الشمس

ثانيا: أن يكون حرف فى موضع التعليل أو الحذف.

ثالثا: حين تصاغ الكلمة بأسلوب ينبو عنه الطبع العربي أو السليقة العربية كأن يكون متروكاً أو مهجوراً، مثل استعمال (الجيم) بعد (الكاف) أو ورود (العين) بعد (الغين) او (الغين) بعد (الحاء الحطية) أو العكس وغيرها.

رابعا: قد يتم تكوين الكلمات بعد القلب غير أنها لا تعد فصيحة، نحو استعمال (خضع) عند العرب، فهى كلمة فصيحة، إلا أن

تحويلها إلى (غضخ) يعد غير فصيح ، وكون الكلمة غير فصيحة يجعلها فى عداد الألفاظ متروكة الإستعمال.

خامساً: فهو أن تكون الكلمةالخماسية مؤتلفة من الحروف المصمته فقط ، ولا يكون فيها حرف من المذلقة ولا من المطبقة، فيهجر مثل هذا اللفظ ويعد غير فصيح.

وما عدا هذه المواضع الخمسة ففى كل شكل من الاشكال يتحول اللفظ إلى ست أوجه وكل وجه فيها يبقى ذا معنى ودلالة وبالتالى يمكن أن يحدد له قاسم مشترك.

ولقد سبق آنفا أن بينا أن الإشتقاق الصغير، هو الأصل إذ تشتق الألفاظ كلها من أصل واحد ، ولكن لا يسعنا القول هذا اللفظ مشتق من الثانى إذ ليس هناك اشتقاق إذا صح التعبير، لأن (القمر) ليس مأخوذا من (الرقم) ولا (الرقم) من (القمر) فكل واحد منهما يملك كيانه ووجوده المستقلين ، ولكن بحكم أن مادتهما واحدة فقد وجدت بينهما قرابة مشتركة رغم الخلاف التركيبي والشكلى ، ونتيجة الإختلاف في صياغتهما لم يتحد معناهما، وقد نتجت هذه القرابة المشتركة، عن القاسم المشترك البعيد بينهما، وأفادت المادة، حيث بقيت الكلمات ذات دلالة ومعنى فى مخلف أشكالها، وإليكم نبذة الكلمات لمزيد من الإيضاح والبيان.

المثال الأول على الاشكال الستة:

(ج،ر،ب) تدل الأوجه الممكنة المكونة من هذه المادة على اشتراك مفهوم القوة فى الجميع.

١- جبر: الرجل الشجاع - والضماد -- اصلحه من كسر، صلح بعد الكسر.

٢- جراب: وعاء من جلد.

- بَجَرَ: خرجت سرته وغلظ أصله: البجرة جمع بجر السرة.

٤- بُرج: الحصن: قسم من بناية عظيمة.

٥- بَرَجَ : تبرجت المرأة: أظهرت زينتها ومحاسنها للأجانب.

٦- رجب :أرجب: عظمه وهابه.. الشهر السابع من السنة القمرية بين جمادي الاخرة وشعبان عدد ايامه ٣٠ يوما وقد سمى بذلك لتعظيمهم إياه فى الجاهلية.

٧- ربج: كان بليداً، تربج: تحير.

الثانى:

هو (ق،س،و) إن الأوجه المشتقة من هذه المادة يشترك فيها معنى القوة والإجتماع.

١- القسوة: الذنب مقساة للقلب، أى يقسى القلب.

٢- ألقوس : آلة على شكل نصف دائرة ترمى بها السهام، قطعة المستقيم

الواصلة بين منتصفى القوس ووترها.

٣- ألوقس: الفاحشة وذكرها ، قذفه به.

٤- الوِسق: ستون صاعا: حمل البعير.

٥- السوق: موضع البضائع والامتعة، سميت بذلك لأن التجارة تجلب إليها

وتساق المبيعات.

٦- سقو: لم يرد استعماله.

الثالث:

وهو (س، ل، م) ويشترك فى اشتقاقات هذه المادة معنى الليونة.

١- سمل: سمل: الثوب: خلق وبلى.

٢- سلم: السلام: السلامة: الصلح.

٣- لمس: مسه

٤- لسم: سكت حياءً او عياً.

٥- ملس: ملسنى الرجل بلسانه ضد خشن فهو أملس .. واهنه وتملقه.

٦- مسل: سال الماء

الرابع:

هو (ق،و،ل) وتشترك أالفاظ هذه المادة فى معنى السرعة والحركة.

١- القول: ضد السكوت، تلفظ تكلم، حركة اللسان ظاهرة فيها للعيان.

٢- قلو: جاء فلان يقلو دابته قلواً أى: يتقدم بها فى السير سرعة.

٣- وقل: من الخيل .. صعد.

٤- وَلَقَ: فى السير .. أسرع

٥- لوق: الطعام أصلحه بالزبدة ، يقال (هو لا يلوق عندك) من لا يستقر

ولا يبقى.

٦- لقوة: داء يصيب الوجه يعوج منه الشدق إلى أحد جانبى العنق.

الخامس:

هو مادة (ك، ل، م) وتوجد فى اشكالها الستة دلالة القوةكذلك .

١- كلم : كلمه: جرحه، ومنه: الكلمة ، يؤثر بهما على المسامع.

٢- كمل : تم وكان كاملاً

٣- لكم : ضربه باليد مجموعة الأصابع، دفعه.

٤- مكل: أن يجف البئر، ولكن يتسرب الماء من العين متقطعا.

٥- ملك: الاحتواء قادراً على التصرف والاستبداد.

٦- لمك: الأثمد تكحل به العين ، وهو يقوى العين ويغذيها.

السادس:

هو من أصل: (ك،ف،ر) ويوجد معنى عدم الرضا فى الأشكال المختلفة له.

١- كفر: بفتح الكاف، الارض البعيدة على الناس، بضم الكاف ، الجحد

وستر النعم.

٢- كرف : الحمار وغيره ، شم البول فرفع رأسه وقلب جحفلته.

٣- فرك: أبغضه.

٤- فكر : تردد الخاطر بالتأمل ولاتدبر بطلب المعانى.

٥- ركف : تساقط الثلج.

٦- رفك: متروك الإستعمال.

السابع: (س،ر،ج)

١- سرج : الرحل وغلب استعماله للخيل، إناء يجعل فيه زيت أو نحوه

فيصعد في فتيلة ويتحلل إلى مواد مشتعلة فى طرفها عندما تمسه النار

فيستضاء به.

٢- سجر: هو ضرب الحمرة الى البياض.

٣- رجس : بكسر الراء القذر، قصفت بالرعد.

٤- جرس : جسم يخفف من حديد أو نحاس يضرب بمدقة فيسمع صوتاً.

٥- رسج: متروك الإستعمال.

الثامن: (ل،ج،م)

١- لجم: خاط الثوب، لجام: ما يجعل فى فم الفرس من الحديد مع الحكمتين والعذارين. لُجام : دابة يتشاءم بها.

٢- مجل : ان يكون بين الجلد والدم ماء من كثرة العمل.

٤- ملج: الصبى أمه : تناول ثديها بأدنى فمه فرضعها.

٥- لمج: اللفظ: أخرج لسانه بعد الأكل أو الشرب فمسح به شفيته.

٦- جلم:التيس والجدي.

التاسع: (م، ل، ح)

١- ملح: كملح الطبخ الذى يصلح به الطعام.

٢- لمح: ابصره بنظر خفيف

٣- حلم : الصبر والأناة والسكون مع القدرة والقوة.

٤- لحم: من جسم الحيوان خلاف العظم.

٥- محل : انقطع المطر ويبس الارض.

٦- حمل : ما يحمل.

العاشر: (م، س، ك)

١- مسك: طيب وهو من دم دابة كالظبى يدعى غزال المسك.

٢- مكس: دراهم كانت تؤخذ من بائعى السلع فى أسواق الجاهلية.

٣- كسم على عياله: كدّ ليكسب رزقهم.

٤- كمس: عبس

٥- سمك: الحيوان من خلق الماء

٦- سكم : تقارب خطوة في ضعف ورخوة.

الحادى عشر: (ع،ل،م)

١- علم: عرفه، تيقنه.

٢- لعم: اللعاب.

٣- ملع: اسرع فى السير

٤- لمع البرق وغيره: برق

٥- معل أمره: عجله قبل أصحابه.

٦- عمل: صنع ، مهن.

الثانى عشر: (ع، ر، ش)

١- عرش: سرير الملك

٢- رعش: رجف أخذته الرعدة.

٣- شعر: ينبت من مسام البدن ليس بصوف ولا وبر.

٤- عشر: بفتح العين زاد واحداً على تسعة بضم العين : جزء من عشرة :

اجزاء الشيء .

٥- شرع : ماشرع الله لعباده.

٦- رشع: (متروك).

الثالث عشر: (ر،ط، ب)

١- رطب : ضد اليابس.

٢- طرب: إهتز واضطرب فرحاً.

٣- بطر باطلاً: هدراً

٤- طبر: قفز واختبى.

٥- ربط: أوثقه وشد.

٦- برط: متروك الاستعمال.

الرابع عشر (ع،ر،ب)

١- عرب: خلاف العجم جيل من الناس بلادهم شبه الجزيرة الشرقية والبحر الأحمر.

٢- عبر : إعتبر: إعتمد.

٣- برع: فاق علما وفضيلة أو جمالاً

٤- ربع : ألبيت أو الحوض، بضمه : جزء من اربعة اجزاء الشىء ٤/١.

٥- بعر: رجيع ذوات الخف والظلف أو الفقر المدقع.

٦- رعب: بضم الفزع بفتح الراء، الرقية من السحر.

الخامس عشر: (ع،ق،ل)

١- عقل: الدرك والفهم الحكيم.

٢- علق: المال الذى يكرم عليك.

٣- لعق: لحسه وتناوله بلسانه وإصبعه.

٤- لقع : مضى مراً مسرعا، رمى به الشىء.

٥- قعل : بضم الكاف : الرجل النحس.

٦- قلع: بضم الكاف : الرجل القوى المشي، بكسر الكاف: الرجل الذى لا يثبت على الخيل.

السادس عشر: (س، ل، ب)

١. سلب: السير الخفيف السريع

٢. سبل : المطر النازل من السحاب قبل ان يصل الى الأرض.

٣. بلس: من لا خير عنده.

٤. لبس: ما يلبس.

٥. لسب: لعق العسل.

٦. بسل: عبس من الغضب أو الشجاعة.

السابع عشر: (ف، ر، ق)

١. فرق: تباعد مابين الثبتين.

٢. رفق: لين الجانب واللطف.

٣. فقر : ضد الغنى وذلك أن يصبح الانسان محتاجا أو ليس له ما يكفيه.

٤. قفر: المكان خلا من الناس والماء والكلأ

٥. رقف : ألإمن شدة البرد.

٦. قرف : الشديد الحمرة.

الثامن عشر: (ب،ر، ق)

١. برق: نور يلمع فى السماء على أثر انفجار كهربائي فى السحاب .

٢. ربق : العروة فى الريق أو فى الحبل

٣. بقر: حيوان أليف لبون مجترمن الفقريات ذوات الاربع.

٤. قبر : الميت : دفنه.

٥ قرب: خلاف البعد.

٦. رقب : غلظ الرقبة.

التاسع عشر: (ر،ك،ب)

١- ركب: على الدابة: علاها.

٢- بكر: الغدوة

٣- ربك: تتعتع فى الكلام ، الرجل المغرض

٤- برك: مستنقع الماء، الحوض

٥- كرب: الحزن والمشقة.

٦- كبر: الشرف والرفعة.

العشرون: (ح،ب، ل)

١- جبل:ما ارتفع من الارض اذ عظم وطال

٢- جلب: بفتح الجيم: الذنب، الجنابة، بالضم: سواد الليل

٣- لبج: حديدة ذات شعب يصاد بها الذئب

٤- لجب: بحر اذا سمع اضطراب امواجه

٥- بجل : البهتان

٦- بلج: التباعد مابين الحاجبين.

الواحد والعشرون: (م،ك،ر)

١- مَكر: الخداع

٢- كِمر: بالكسر: أرطب فى الأرض ولم يرطب على نخله

٣- ركم : جعله بعضه فوق بعض حتى صار ركاما

٤- كرم: القلادة

٥- مرك: الحزين

٦- رمك: أقام المكان

الثانى والعشرون: (ف،ر،ش)

١-فرش: مافرش لينام عليه.

٢- فشر: الكلام السخيف المهمل

٣- شفر: ضرب شفرها (فى النكاح)

٤- شرف : العلو والمجد

٥- رشف: الماء القليل يبقى فى الحوض

٦- رفش: يجرف به التراب ونحوه

الثالث والعشرون: (ش،ر،ق)

١- شَرق: الشمس

٢- رشق: القوس السريعة السهم

٣- رقش : المنقط بسواد وبياض

٤- قرش: نوع من السمك يعرف بكلب البحر يقطع الحيوان باسنانه كما يقطع السيف

٥- شقر: الامور المهمة الملتصقة بالقلب.

٦- قشر: غشاء الشيء خلقة، او عرضاً/الملبود

الرابع والعشرون: (ش،ر،ب)

١- شرب: جرع وروى منه

٢- رشب: النارجيل الفارغ الذى يغترف به.

٣- بشر: الانسان واحدا وجمعا، ذكراً أو انثى.

٤- شبر: ما بين طرف الابهام وطرف الخنسر الممتدين.

٥- برش: نكت صغار فى شعر الفرس تخالف سائر لونه.

٦- ربش: البياض الذى يظهر على اظفار الشباب.

الخامس والعشرون: (د،ر،س)

١- درس: عفا ومحّى

٢- ردس القوم : رماهم بحجر

٣- سرد الحديث: أى حكى حديثا بالإسناد ، ومتابعة الصوم وموالاته

٤- سدر: المتحير من شدة الحر

٥- دسر: طعنه ودفعه

٦- رسد: (متروك)

السادس والعشرون: (د،ر،ج)

١- درج: بفتح الدال، ما يكتب فيه، وبالضم: سفيط صغير تدخر فيه المرأة طيبها

٢- ردج: أول ما يخرج من بطن الجحش

٣- جدر: الحائط

٤- دجر: الخشب المنصوب للتعريش

٥- رجد: نقل السنبل الى البيدر

٦- جرد: المكان لا نبات فيه.

السابع والعشرون : (ع،ب،س)

١- عبس: الوجه : كلح أو قطب

٢- عسب: ضراب الفحل وطرقه

٣- سبع: عدد بين الستة والثمانة المؤنث السبعة، المفترس من الحيوان

٤- سعب الماء : سال وطال

٥- بعس : الناقة : الشائلة المنهوكة

٦- بسع: (متروك)

الثامن والعشرون: (ع،ش،ب)

١- عشب: كثيرة العشب أرض

٢- بشع: صار المرء بشعا، أى: عكس حسن طيب.

٣- الشبع: مايشبع

٤- عبش: الصلاح فى كل شىء

٥- شعب : ما انفرج بين الجبلين

٦- بعش: (متروك)

التاسع والعشرون: (ع، ر، ق)

١- عرق: الماء الذى يرشح من الجسد وما أشبهه

٢- عقر: بالفتح: بناء مرتفع ، وبالضم : أصل الشىء، ووسطه.

٣- رعق: هو صوت بطن الدابةحينما تعدو خببا.

٤- رقع: الحم خرقه، وأصلح بالرقاع.

٥- قرع: دقه ونقر عليه

٦- قعر: من كل شىء نهاية أسفله

الثلاثون: (ب،ح،ر)

١- بحر: خلاف البرّسمى بذلک لعمقه واتساعه

٢- برح: الشدة/ الأذى.

٣- ألحبر: العالم

٤- الحرب: ألمقاتلة والمنازلة

٥- رحب: الواسع

٦- ربح: مايربح

الواحد والثلاثون: (ن،ح،ط)

١- نحط: الفرس أى : صات من الإعياء والتعب

٢- نطح: الثور أى : اصابه قرنه

٣- الطحن: الدقيق

٤- طَنّح: سمنة الإبل

٥- حنط: حان حصاده، أخرج صوته

٦- حطن: (متروك)

الثانى والثلاثون:

١- البطن : جوف كل شىء

٢- بنط : أظهره من خفاءٍ

٣- البطن : بفتح الطاء : الجمع الكثير وبالضم : الطنبور.

٤- طنب: طال ظهره وطالت رجلا فى استرخاءٍ

٥ النبط: أول ما يظهر من ماء البئر

٦- نطب: ضرب أذنه بإصبعه.

وأنا اعتقد أن عدد الأمثلة المذكورة خير شاهدٍ على أن اللفظ العربى الموضوع يبقى ذا دلالةٍ ومعنى رغم القلب والنحت، وقد قمت با ستعراض ثلثة وثلثين مادة فى هذا المجال ، والواقع ان هناك حوالى مأتى كلمة قد أجرى معها عملية الا شتقاق الكبير وبناءً على ذلك أقول: إن لـ(قمر) ستة أشكال فما المانع أن لا يقال : إن لـ(رقم) ستة أوجه، وفى (الرمق) كذلك؟

فالواقع أن هذه الأشكال الستة ليست مشتقة من البعض، فليس الغرض من عملية القلب هذه إلا إبراز مدى قوة اللفظ العربي وإحكام صياغته.

أسباب ترك الاستعمال:

١- على الرغم من أن معانى بعض الكلمات لا توجد فى اللغات والقواميس المتداولة أحيانا ، وهى تسعة ألفاظ من (رفك)، (رسج)، و(رشع)،و (برط)، و(رسد)، و(سقو)، و(بعش)، و(بسع)، و(حطن) ، فإن هذا لا يؤدى إلى الإعتقاد بأن تلك الأشكال لا معنى لها فى الحقيقة ذلك لأنه لا يوجد معجم أو قاموس أحاط بجميع الكلمات لحد الآن، ولأن اللغة العربية بحر لا يدرك مداه ، وإن هذه اللغة من السعة بحيث اتفق الأقدمون على أنه لا يوجد إنسان أحاط بجميع بجزئياتها ، أويدعى بأن له إلمام تام باللهجات العربية قاطبة سوى رسول الله (صلى الله عليه وسلم).

وقد سعى بعض علماء اللغة جاهدين لإستقصاء الشواذ ونوادر اللغة، فألفوا فيها الكثير ، مثل : النوادر لأبى زيد، والنواد لإبن الاعرابى، والنوادر لأبى عمرو الشيبانى وغيرهم، وقد عقد ابن دريد فى نهاية الجمهرة بابا خاصا عن النوادر ، ولكن ما زال الحكم قائما: إن البحر عميق جداً...

(ب) أما السبب الثانى فهو أن مراعاة (الأفصح) و (الفصيح) و (غير الفصيح) فى العربية كثير جدا ، وتبعا لذلك تم ترك استعمال الألفاظ الكثيرة بسبب ضآلة فصاحتها مثل كلمة (الكوب) فإن إستعمالها فى صيغة المفرد غير واورد هو متروك، ولم يرد فى كلام الفصحاء، ولكن حين يصاغ فى صيغة الجمع فيعد فصيحا.

ويستشهد بوجوده فى كلام الفصحاء ، فقد جاء فى القرآن الكريم: (ويطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب[1]) كذلك (اللب) بمعنى العقل غير فصيح، مع أن جمعه (ألباب) فصيح، جاء فى القرآن الكريم: (لآيات لأولى الألباب[2]) وتعتبر كلمة (اللب) فصيحة حينما تكون مضافة مثلا: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم[3]) أو تكون مضافة إليه كما ورد فى قول جرير: يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به[4]

والخلاصة: لا يصح استعمال (اللب) بدون الإضافة أو الجمع،

وهناك بعض ألفاظ يكون مفردها فصيحا وجمعها غير فصيح، فمثلا (الارض) جمعه: الأراضى أوالأرضات غير فصيح بل متروك الإستعمال، أو كلمة (البقعة) جمعها : (البقاع) مفردها فصيح، ولكن جمعها بدون الإضافة غير فصيح، فلا يقول الفصحاء (البقاع) فقط، بل يضيفونها إلى الأرض، فيقولون: بقاع الأرض.

كذلك توجد بعض الألفاظ معروفة بصيغة التثنية، ولكن مفردها متروك، مثل (حنانيک) بمعنى التحنين بعد التحنين، و (لبيک)و (سعديک) أو (مذروان اثنان) و (أنثيان) وغيرها.

وكذلک هناک ألفاظ يستعمل جمعها ومفردها متروک إلى درجة يصعب تحديده، مثلاً: (خلابيس) و(شماطيط) و(أساطير) و(أبابيل) و (هزاهز) و(شعارير) و (مقاليد) و (مذاكير) و (محاسن) و (ممادح) و (مقابح) و (معائب) وغيرها، مع أن الجمع بدون

---

[1] الدهر ،١٥
[2] آل عمران، ١٩
[3] الجامع الصحيح للبخارى ج ١ ص ١٩٧، باب الزكوة على الأقارب
[4] تكملة البيت: وهن أضعف خلق الله أركانا، (ينظر: تاريخ الأدب العربى لعمر فروخ ج١ ص ٦٧٧

المفرد لهذه الألفاظ قد ثبتت لدى اللغوين أنها غير فصيحة، ولهذا تركوا استعمالها ، وهجرواها إلى درجة عسر تحديد مفردات هذه الألفاظ، وفى ضوء هذا نستطيع القول: ليس من الضرورى استعمال ألفاظ لها دلالة ومعنى كذلك.

أما قضية الفصيح وغيره أو قضية الفصيح والأفصح والحكم عليها فيجب أن يكون فى اطار الاطلاع الواسع على قواعد والأصول التى وضعها أهل اللغة، وقد تنشأ هذه المهارة العالية الصحيحة بممارسة كلام الفحصاء ومزاولته، وقد سبق ان ذكرت قاعدة من (المزهر) فى البداية، فانها تفيد، المبتدئين والناشئين، الذين يدرسون أسلوب التمييز بين الفصيح وغيره أثناء دراستهم لكتب النحو والصرف، ولأن دراسة المراحل الناضجة والمنتهية تفتقد إلى سعة المطالعة والخوض فى هذا المجال، فإن دراسة علم المعانى والبيان وكتب اصول اللغة توضح هذاالأمر بشكل أفضل ، وتستنير الكتب الاتية دروب السالكين: الجمهرة لإبن دريد، والتهذيب للتبريزى، والأمالى للثعلب والزجاجى، وأدب الكاتب لإبن قتيبة.

(ج) أما السبب الثالث فهو بالرغم من أن علم اللغة هو من العلوم النقلية غير أنه حينما درسه العلماء، توقفوا عند أصول وقواعد أدت إلى جعل العلوم النقلية فى مدار العلوم العقلية من حيث الدلائل والبراهين، فتطرق العلماء إلى مباحث المطلق والمقيد، والعام والخاص ، والحقيقة والمجاز، والمشترک والمترادف، والشاذ والغريب، والشواذ والنوادر، والمطرد والشاذ والمذموم والردئ، والفصيح والمتروک، والمرسل والمنقطع. والآحاد المتواترة، وقسموا اللغة الى هذه الأقسام فهذا ما يبين أن لكل لفظ مقامه

وكيانه، كما يثبت بمجرد تقديم الدلائل العقلية كونها قضية مقبولة عقلاً، وبفضل مراعاة الأقسام المذكورة يستخلص الحكم: فى معنى واحد، فيتم اختيار اللفظ الذى يكون أقدم رواية ، ويعتبر المتأخر متروكا.

إن الغرض من إلفات النظر الى الأسباب الثلاثة آنفة الذكر هو أن قاعدة الإشتقاق الكبير ثابتة على وصفها ، وهو امر صحيح بدون شک، فهنا لک كثير من الألفاظ التى تقبل الأشكال الستة وتوجد معانيها فى اللغات والقواميس المتداولة أيضا، مع ذلک فانها لا تتعدى إلى أربعة أو خمسة أشكال فقط أما الوجه الخامس أو السادس غير وارد فى كلام اللغوين والمعاجم، ففى الواقع لا يعنى هذا أن الوجهين الباقين مهملان ولا معنى لهما ، كلا، ليس الأمر كذلک بل السر فيه هو أن علماء اللغة لم يلتفتوا إليها نظرا الى وجود لفظ أخر اقوى منه تأثيراً وأكثر فصاحة فى معناه، و الكثرة وتراعى دائماستناداً إلى القاعدة، ويأتى القليل فى عداد الشواذ والنوادر.

من عرّف الاشتقاق الكبير

يقول ابن جنى فى الخصائص: " عرفنا على الإشتقاق الكبير فى -- بادى ذى بدء -- استاذنا ابو على الفارسى خلال التدريس"[1] وبناءاً على هذا اوضح ابن جنى بابا مستقلا للإشتقاق الكبير ، وضح فيه طريقة استخراج الأشكال الستة لخمسة من الالفاظ ، ثم ذكر العلماء بعد ابن جنى أمثال الامام فخر الدين الرازى وجلال الدين السيوطى والزمخشرى وغيرهم الإشتقاق الكبير فى كتبهم وأوردوا أمثلة على ذلک.

---

[1] المزهر ج١ ص ٣٤٥

فالاشتقاق ليس أمرا ابتكرته أنا بل قدذكرها القدماء وأيدها المتأخرون من العلماء، إلا أننى قدمت ما يربوعلى ثلثة وثلثين مثالاً إضافة الى الخمسة التى أوردها الأولون لاغراض التمرين، ولو أراد أحد أن يضيف عليها إضافات جديدة فعليه أن ياخذ كلمة ثم يحولها إلى أشكالٍ ممكنة، ثم يرجع فى البحث عن معناها إلى معاجم ومظان اللغة ليطمئن قلبه على صحة القاعدة والأصول ، وبهذا يكون قد اضاف مثالاجديداً فى هذا المجال وإذا دققنا النظر فى الألفاظ الآتية يتبين أن هناك عدداً هائلاً من الألفاظ تستعمل فى المعاملات اليومية إلا أن هذه الألفاظ قد مرت بعملية الإشتقاق والقلب، مثل: العلم والعمل، والقمروالرقم، والكفر، والفقر والفرق، والبرق والقبر وغيرها.

التجاهل المعرفى للبروفسور"وتنى"

وأنا اعتقد أن علماء اللغة الأوربين أيضا قد أدركوا سر اللغة العربية هذا، ولكنهم لزموا الصمت بحكم طبعهم المنغلق وتعصبهم المذهبى، فما ذهبوا إلى الاعتراف بأفضليتها وكمالها ، فيقول البروفيسور وتنى بعد إجراء عملية التقليب على الألفاظ الإنجيليزية:

"إن الأشكال المقلوبة لا تقبل غير صورةواحدة متداولة؛ وذلك لأوجه أخرى يصعب تلفظها على اللسان."[1]

ولم يتطرق "وتنى" فى كتابه عن اللغة العربية إلى قضية الإشتقاق وقلب الألفاظ، وإنما مر عليها مرا سريعا مرور الكرام، وان عدم خوضه فى مثل هذه المسائل المهمة، يؤمى بأنه يطمح أن يبحث عن نموذج للإشتقاق الكبير فى اللغات الأوربية ، كى يتسنى له إبراز لغة أخرى مماثلة للعربية، لكنه حينما رأى ظاهرة

[1] ينظر: الفلسفة اللغوية والالفاظ العربية لجرجى زيدان، ص ٨٥

الإشتقاق متوفرة فى اللغة العربية مع فقدان هذه الظاهرة واستحالتها فى اللغات الأوربية المعاصرة، فتجافى بصره عن العربية ، كأنها لم تكن شيئا مذكوراً.

ولو كان هذا ممكنا فى اللغات الأوربية لفعلها ، ولكنه حينما عجز عن استخراج أربعةٍ أو خمسة الفاظ على الأقل نفض قائلاً: "كان هذا ممكنا ، غير أنى قد تركته نظراً لصعوبة الأمر وعسره"[1]

لهجات خاصة فى بعض القبا ئل:

من المثير للعجب كيف وردت فى ذهن البروفيسور مسألة القلب؟ هل توجد كلمات فى اللغات الأوربية تبقى ذات دلالات ومعانى بعد اجراء القلب عليها؟ أما مسألة اليسر والعسر فمن حق أى شخص أن يثيرها لكن الواقعية هى: أن الواقعية والمصداقية هى شأن اللغة العربية فقط، فالسلاسة والثقل والسهولة والصعوبة ومدى مراعاة هذه القضايا وأبعادها لدى العرب يوضحها القول : وان بعض القبائل العربية كانت قد وضعت فى لهجاتها بعض الميزات التى يثقل أداءها على ألسن القبائل الفصيحة الأخرى، مما أدى إلى اندثار لهجاتهم ومحوها ، حيث لم يرد ذكرها إلا فى ضمن الأمثلة والشواهد فقط ، ولم يظهر كتاب أو مؤلف فى عالم الكتب يحتوى على تلك الميزات، فلما حان عصر التدوين أختيرت الألفاظ الأكثر فصاحة وسلاسة كانت هى لهجات الفصحاء وتركت الاخرى فمثلا: كانت قبيلتا ربيعة ومضرتضيفان (ش) للمؤنث بعد (كاف) الخطاب، وتضيفان (س) للمذكر، فبدل (عليک) تقولان: (عليكش) وبدل (عليک) (عليكس).

---

[1] الفلسفة اللغوية والالفاظ العربية، ص ٩٨

وكانت تبدل قبيلة قيس وتميم (الهمزة) الواردة فى بداية الكلمة (عيناً) فتقول (عسلم) بل (أسلم) : وكانت هذيل تبدل (الحاء الحطية) بـ (العين) فتقول: (عتى) بدل: (حتى) ، وقضاعة تبدل (الياء) المشددة (جيما) فتقول (تميمج) بدل (التميمى) .

أما هذيل وأزد فتبدل العين الساكنة قبل الطاء بالنون، فتقول: (أنطى) بدل (أعطى) وتبدل أهالى اليمن السين تاء فتقول (النات) بدل (الناس).

وكان أهل اليمن يبدلون (الكاف)(شيناً) فيقولون : (أللهم لبيش) بدل: (أللهم لبيك) وينظر لمزيد التفضيل فقه اللغة لإبن فارس ، والمزهر للسيوطى والخصائص لإبن جنى[1].

لقد ذكرنا بعض هذه الأمثلة بهدف توضيح كيف تراعى بعض القبائل العربية ثقل الألفاظ بينما كانت قبائل عربية أخرى أكثر فصاحة لم تكن ترضى بهذه الظاهرة، وقد ظهرت فاعلية عدم الرضا وعدم القبول بتلك الظاهرة فى عصر التدوين والكتابة ، عندما أختير الأفصح لهجة فى اللغة ، وتركت لهجات القبائل وخصوصياتها الى الأبد بسب الثقل والشدة ، فالغرض: أن إنتهاج الأوربيين فى لغاتهم أصول الثقل والسلاسة والعسر واليسر لا يحمل فى ثناياه واقعية وأصالة أكثر من نسج العنكبوت.

واكتفى بقولى هذا فى نهاية المبحث: أنه مراعاة للسلاسة والسهولة كثرت الألفاظ الثلاثية فى العربية ، وقلت الألفاظ الرباعية، أما الخماسية فيندر وجودها عادة.

اجراء الإشتقاق الكبير فى الألفاظ الرباعية والخماسية

---

[1] المزهر ج ١ص ٢٢١-٢٢٢

تجرى عملية الإشتقاق فى جميع الكلمات الثلاثية، وهى تدل على معانيها فى القواميس المتداولة بنسبة ٩٥% مئوياً ، أما الكلمات الرباعية فتتفرع الى عشرين شكلا، وتتفرع الخماسية الى ١٢٠ شكلاً، غير أن معظم الأشكال الرباعية متروكة على الأغلب، لا يوجد معنى لأكثر من ستة أو سبعة منها ، أما الخماسية فتستعمل فى معنى أو إثنين، وذلك نادر جداً، فهنا يترك الكل عامة، ويرجع هذا إلى العلة نفسها، وهى : أن تركيب الكلمات من الجروف الكثيرة يتنافى وسهولة وسلاسة الأداء عند العرب ، ولو كانت الأشكال المقلوبة من الخماسى والرباعى مقبولة لديهم لوجدت من هذا كثرة ذخيرة الألفاظ الخماسية والرباعية بدلاً من بضعة الألفاظ المتداولة، فكان يؤثر سلبيا على نفاسة اللغة ورونقها جراء الكثرة والتضخم، ولأجل هذا لا يؤخذ الوزن الخماسى أو الرباعى من المصادر والأفعال، أى: لا تجد مصدرا أو فعلا تتكون حروفه الأصلية من خمسة حروف.

إنه واقع يثير التعجب والدهشة أن اللغة العربية تحمل فى طياتها ميزات الرونق والنفاسة تجذب الأنظار دراستها المتعمقة والمتأنية، وتبهر النفوس، فلا يمكن أن يقول الإنسان فى أية لحظة لقد ارتوينا من ينابيعها لا، وكلا ، فهى دائمة التدفق بالجمال، إنها كما يقول الشاعر:

كلما أمعنت فى خديک عينى * جد لى منه جديد فى النظر

فمثلا العسل معناه: الشهد ، وبعد القلب يتحول إلى (لسع) فهو يعنى أن النحلة تعطى شهداً من جانب وتلسع من جانب أخر، أو نطلق (النحل) على نحلة الشهد ويجعله القلب (لحناً) يعنى : الصوت ، أى : النحلة، وقس على هذا.

اللغة العربية ليست مأخوذة من الأعجمية وليست تنحدرمن اللغات الأعجمية

قد تم حسم هذه القضية فى المباحث السابقة: هل العربية مأخوذة من اللغات السامية أوالتورانية أو الفارسية أم لا؟ إذ لا توجد قواعد خاصة لوضع الألفاظ فى أية لغة من لغات العالم إلا العربية ، أللهم إلا أن يعين لفظ إزاء معنى لذلك اللفظ ، أما لماذا وضع هذااللفظ إزاء ذلك المعنى فما أجاب عليه علماء اللغة بل التزموا الصمت إلا العرب، ومن هذا المنطلق لو وجدنا فى اللغات غير العربية أى: اللغات الأعجمية كلمة من لغة أخرى فنحكم عليلها بحكم المشاكلة الصورية والمعنوية بأنها منقولة من اللغة الفلانية الى هذه اللغة.

إن مجرد تكوين اللفظ وصياغته واشتراك المعنى فى اللغات الأعجمية لايكفى للدلالة على المصدر والمشتق والمأخوذ والمأخوذ عنه والمنقول والمنقول عنه، أما الحكم على أى واحد منها بأنه مصدر والآخر مشتق فإنه يحتاج إلى الأصالة والأقدمية ، فأية لغة تكون أعرق وأقدم فى مجال وضع القانون والأصول للعلوم واللغة حيث تعتبر مصدراً والأخرى مشتقة منها.

أما اللغة العربية التى تتمتع بإمتلاك أسس وأصول لوضع الألفاظ لا يتبين لديها المنقول عنه من المنقول إلا إذا جاءت منسجمة مع تلك الأصول والأسس بالإضافة الى المشاكلة الصورية والمعنوية، فالعصر الذى كانت الشعوب الشرقية متحررة فيه من أغلال أوربا الفكرية والسياسية لم يتجرأ أحد على القول: إن اللغة العربية كانت نتيجة استعارة الفاظ من اللغات الأخرى ، وحينما أحكمت أوربا هيمنتها السياسية، ورسخت سيطرتها على الشرق،

آنذاك أصبحت حتى الجوارح الفكرية الشرقية مستعبدة للغرب، وفى هذه الحالة راح الجمود يدب تدريجيا فى الحواس الفكرية لأولئك المستعبدين، فلم يبق لديهم مصرفاً للعطايا الإلهية التى تتمثل فى القوى الفكرية للإنسان إلا تقليد الغرب، والحذو حذوهم ، والركض وراءهم بدون وعى وتروّ، وما اعتزازهم وافتخارهم وتباهيهم إلا محاكاة لما تقوله الغرب

ولقد كان من جراء تقليدهم المتحجر ادعاءهم أن اللغة العربية ليست لغة مستقلة بحد ذاتها ، هى لم تستعر ألفاظها من اللغات السامية اى العبرانية والسريانية فحسب بل ليس هناك من لغة من لغات العالم إلا ومدت إليها يد العون والمساعدة.

والواقع أن وجود ألفاظ من لغات أجنبية فى لغة أخرى، واشتقاق لغة من لغة أخرى أمران متباينان تماماً، ومما لا شك فيه أن اللغة العربية قد ورد فيها استعمال بعض الألفاظ الأجنبية ، وكل يعى هذا، وليس هذا تحقيقاً جديداً وآراء مبتكرة، فحتى طلاب الدراسات الإبتدائية الذين يدرسون "نحو مير"[1] يعرفون جيدا أن العجمة من أحد أسباب منع الصرف، فلو لم يستعمل لفظ أعجمى فى اللغة العربية فلما ذا قالوا فى العجمة: أنها إحدى أسباب منع الصرف، ولكن لا يلزم هذا أن الألفاظ العربية نفسها مأخوذة من العجمية، فليكن هذاالمصطلح مترسخا فى بال الجميع أن كل اللغات غير العربية هى لغات أعجمية، سواء كانت عبرانية أو سريانية أو إنجليزية أو ألمانية فما عدا العربية كلها لغات أعجمية.

أما المفردات الأعجمية الموجودة فى اللغة العربية فإن معظمها عبارة عن أسباب الأماكن والبلدان والأشخاص والأنبياء،

---

[1] كتاب فى فن النحو بالفارسية يدرس فى المدارس الابتدائية

فتقتضى العلمية والتسمية أن تذكر كما هى، فأصحاب العلم والمعرفة يعون جيدا أن التغيير فى الأسماء والأعلام أحيانا يؤدى إلا إحداث مشاكل علمية تنتهى بالإضطراب والفوضى فى الأوساط العلمية ، فلهذا تبقى الأعلام والأسماء على حالها حتى فى اللغات الأخرى، وإن عدم تغيير العلمية ليس مثاراً للشبهات والاسئلة ولا مبعثا للمعارة والنقص بل إن من الأفضل المحافظة على الأداء والتلفظ الصحيحين إن أمكن.

أما الحالات التى جاءت جراء تركيب الألفاظ من الأحرف الثقيلة التى لا عهد للعرب بها، فهى غير منقولة لديهم، أو أن تلك الأحرف ليست من لغتهم أصلاً مثلا : (ڈ)، و(ژ)، و(كه)، و(چه)، و(ټه) وغيرها ففى هذه الأحوال إن العرب يستبدلونها بحرف مناسب لها، وإن هذاالتبديل لا يخص العرب فقط ، بل جميع أهل اللغات يبدلون حرفا غير معهود لديهم بحرف ملائم ، والخلاصة: أن إستعمال الأعلام ونقلها بدون تصحيف وتبديل من باب الرواية الصحيحة، والحكاية الصحيحة لا تعتبر أخذا من اللغات الأخرى.

أما أسماء الأجناس التى توجد فى العربية من أصول أعجمية، فتدل على عجمتها بنيتها وشكلها، وإن عدم اشتقاق ألفاظ أخرى منها وعدم الألفاظ الأخرى اشتقاق منها دليل صارخ على عجمتها، كما أن جمودها وسكونها يأبى عربيتها أيضا، وليس هناك دليل ثالث على عجمة تلك الألفاظ، وإذا صادفت الألفاظ العربية العجمية فى المشابهة والمشاكلة فنلجأ إلى الإحتكام إلى القاعدة والأصول ، فإن وجدت فيها ميزات العربية فلا داع للقول بعجميتها، ولا يصح الإدعاء بالعجمة بحكم التوافق الصورى والشكلى فقط.

فإن المتقدمين من العلماء أمثال الأصمعى، وقطرب ، وأبى الحسن الأخفش، وأبى نصر الباهلى ، ومفضل بن سلمه، والمبرد، والزجاج، وابن السراج والنحاس وابن خالويه، وغيرهم ، ومؤلفاتهم المعينة بالاشتقاق تهدف دراستها إلى ترسيخ الإعتقاد بأن اللغة العربية ليست وليدة لغة أخرى، بل إن العلماء الفطاحلة قد ذهبوا إلى الإيمان بأن اللغات العجمية والعربية توجد بينهما ثغرات وفجوات كبيرة، بل تباين شديد بينهما ، وانهم لا يذعنون بهذاالزعم أن العجمية مشتقة من العربية، ونظرا إلى هذا فقد منع ابن السراج فى رسالته (الإشتقاق) القول بشدة أن تعتبر لغة عجمية مشقة من العربية حيث يقول " ومما ينبغى أن يحذر كل الحذر، أن يشتق من لغة العرب شيء من لغة العجم ، فيكون بمنزلة من أدعى أن الطير ولد الحوت"[1]

وقد حظى حكم ابن السراج هذا لدى العلماء بالقبول الحسن ، لأن علاقة المصدر بالمشتق تفتقر إلى التشابه، وأما الألفاظ العربية فتتمتع بالعلاقة بالمعنى أو الدلالة وتبين حقيقتها بصورة كاملة، وفى جانب آخر توجد فى الألفاظ العجمية علاقة بين اللفظ والمعنى، وإنما لتحقيق هذه العلاقة يوجد نوع من التفاهم بينهما لغرض الإشارة إلى حقيقة المعنى والدلالة، فبأى حق يقال إن هذه الالفاظ العجمية مشتقة من العربية فإنه من الممكن حينما يدرس هذا الأستاذ تلميذه فتذهب جهوده هباء ولا يصل علمه إلى الطالب، ولكن هل يمكن أن يدرسه جاهل العلوم والفنون فيجعله عالما ويبقى نفسه جاهلا محضا، فإن كان وقوع هذا مستحيلا، فإنه من المستحيل أيضا

---

[1] ينظر: المعرب للجواليقى، نقلا عن ابن السراج ص ٣ والمزهر ج ١ ص ٣٥١

الاعتقاد بأن الألفاظ العربية التى تكشف عن حقيقة معناها أشتقت من ألفاظ كانت صماء وبقيت صماء حتى بعد عملية الإشتقاق.

أسس التمييز بين العربية والعجمية

والان اذكر بعض الأسس والقواعد التى وصفها علماء اللغة لغرض التمييز بين اللغتين العربية والعجمية، حتى يتسنى للناشئين التفريق بينهما عبر تلك الأسس والقواعد:[1]

أولا: أن يكون اللفظ على وزن لم ترد عليه الكلمات العربية فمثلاً (أبريسم)، فالاوزان التى صاغها العرب للكلمات العربية وحددوها تخرج عنها لفظة(أبريسم) لأجل هذا يحكم عليها بانها لفظة اعجمية.

ثانيا: ان تكون بنية الكلمة حيث يتصدرها (النون) ويتبعها (الراء) فان صياغة الكلمة وبنيتها تعلمان بأعجميتها.

ثالثا: أن يكون تركيب الحروف على شكل يكون الحرف الاخير فيه (زايا) وقبل الاخير فيه (دالا) مثل (مهندو) فان هذا التركيب ليس مستعملا فى العربية.

رابعا: ان تجتمع (الصاد) و (الجيم) فى كلمة واحدة، مثل (صولجان) و (الجص).

خامسا: ان تجمع (الجيم) و (القاف) فى كلمة واحدة ، وأن تزيد أحرف الكلمة فيها على خمسة أحرف مثل: (منجيق).

سادسا:ان تاتى الكلمة على الوزن الرباعى اوالخماسى بدون حرف من المذلقة والمطبقة فيها، مثل: (عسجد) و (قرطعب).

سابعا: صحة الإسناد المتواتر، أى لو كانت بنية الكلمة عربية ولا يوجد امر من الامور السبعة المذكورة تنافى وعربية الكلمة ففى تلك الحالة تحتاج للقول بأعجميتها الى صحة الاسناد والرواية، هل

[1] ينظر: البحث كاملا فى المزهر للسيوطى الجزء الأول ص ٢٢١/٢٢٢

هى ألفاظ مشتقة منها ام لا ؟ وهل توجد دلالة مشتركة او معنى مشترک فى جميع الكلمات المشتقة منها ام لا؟ وأن الاحرف تدل على المعانى ام لا ؟ وهل تبقى الكلمة ذات معنى ودلالة فى حالة القلب والتغيير ام لا؟ فلو كان الرد على الاستفسارات جميعها بالإيجاب فتزول إذن عجمة الكلمة رغم الاسناد والراية، وتبقى الكلمة عربية أصيلة، ولما كانت الكلمات العربية تتمتع بدلائل وشواهد على عروبتها فى ذواتها فلم الإتكال على الأقاويل والافتراضات؟ فالادعاء بأن هذا اللفظ مأخوذ من اللغة الفلانية لا يحسب له حساب ابداً لدى اللغويين والإخصائين حتى يثبت هذا بالادلة بان تعوزه خصائص الكلمات العربية ودلالتها الباهرة على عروبتها فكأن هذا اللفظ أصم مثل الألفاظ الأعجمية الاخرى ولا حياة فيها كذلک أمثال المفردات الأعجميةالباقية.

وقد مست الحاجة إلى ان نوضح هذه القاعدة بمزيد من التفصيل والأمثلة، فإن جرجى زيدان الذى قد زاده التعصب خبالا ، قد الف مجلدات ضخمة فى الموضوع نفسه ، وسعى جاهداً فيها إلى إثبات أن الألفاظ العربية ليست فحسب بل الضمائر والاسماء الموصولة وأسماء الاشارات أيضا قد جاءت منقولة ومأخوذة من لغة أخرى ، فان التصدى لهذا الجنون الطائش لا يسع إلا لمجنون مثله فأنا معتذر، اللهم إلا أن هناک الفاظا قد ذهب علماء اللغة الى القول فيها بأنها اعجمية فإننى أقوم بتفسيرها وتوضيحها ، فعليهم أن يزنوا على وفق هذا الميزان عملية التمييز بين العربية والعجمية بأنفسهم.

وان هفوات جرجى زيدان التى سماها بـ (الفلسفةاللغوية والألفاظ العربية) لن تسع للرد عليها إلا مجلدات ضخمة إلا ان الامثلة الآتية وشرح ألفاظها تجعل أراه أو هن من نسج العنكبوت.

دراسة لبضعة الفاظ لغرض التمثيل والتوضيح

إن كتب اللغة تتحدث عن كلمتى (اللجام) و (المسک) بأنها قد خضعتا لعملية التعريب، حيث أخذت الأولى من (لغام) والثانية من (المشک) الفارسيتين، ولكننا لو تتبعنا هذا القول فى مقاييس الاشتقاق فيبدو لنا مدى مفاهمة هذا الرأى وتفاهته، فقد انحرف اللغويون عن الحق حين عدواها من الأعجمية و إليكم الدليل.

أولا: قد جاء (اللجام) على وزن (الكتاب) فإن إستعمال هذا الوزن فى العربية كثير شائع.

ثانيا: أن هذه الكلمة ثلاثية البنية و (اللام) فيها من الحروف المذلقه.

ثالثا : وقد صيغت من هذه الكلمة اسماء جنس ومصادر كثيرة، مثل: لجم وتلجيم، ولجام ، وإلجام ولجيم، وتلجم وغيرها.

رابعا: والشاهد الاقوى إفحاما هو دلالة صفات الحروف على معانيها فـ (اللام) من الحروف المنحرفة و(الجيم) من الشدة و (الميم) من المتوسطة و (اللجام) لغرض التحويل والتوقيف ولكبح جماح الحصان ولكن يجب ان تنتهى هذه العلمية بمهارة وكفاءة بدون شدة وهمجية، وقد دلت الحروف المنحرفة على معنى التوقيف والتحويل للحصان وتشير (الجيم) الى شجاعة الراكب وقوته وكون (الميم) من المتوسطة تدل على المهارة والهدوء.

خامسا: واستنادا الى الاوجه الستة لهذه الكلمة فانها كلها ذات دلالة ومعنى فى جميع اشكالها فيستعمل اللجم ، والمجل، والجمل، واللمج، والجلم) فى مباحث الاشتقاق الكبير.

وهل يمكن أن يقال بعد هذه الدلائل كلها أن هذا اللفظ أعجمى ؟ وليس على عجمته إلا نوع من المشابهة الصورية بين (لغام) و

(لجام) فاعتقدوا انه من الممكن ان غير العرب (الغين) او (الكاف) جيما.

هذا وفى جانب أن الحصان العربى معروف بمحاسنه لدى العرب وركوبهم عليه من من الثوابت التاريخية، فهل من المعقول ان يضطر العرب لإعاره اللجام من الأعاجم؟ ، لن يقبل العقل هذا التفسير ابداً.

لو سألنا الأعاجم لماذا تقولون اللجام لجاما أو لغاما؟ فلا يردون على هذا غير قولهم: أننا سمعنا هكذا ، ولكن لو سألنا العرب فيردون قائلين: عليكم ان تراجعوا اللفظة بنفسها، حيث كل لفظ يدل على معناه بلا منازع ، ولاجل هذا سميناه عربيا ، وكما ان تواجد الاشتقاق الكبير من جملة البراهين الخمسة يعد شهادة كبرى لا تعاد لها شهادات، فهل يبقى اللفظ الاعجمى ذو معنى ودلالة بعد عملية القلب والنحت؟

وكذلك كلمة (المسك) كلمة عربية أصيلة ، وقد قال اهل العجم انفسهم فى هذا الموضع. " قد أخذ (المشك) الفارسى من (المسك) العربى" وإن الألفاظ المشكلة من أصل (م،س،ك) توجد فيها معانى السدود والوقف والمنع بالتأكيد.

وقد جاء (المسك) بمعنى : الجلد ، فالقطعة منه: (مسكة) سمى بذلك لانه يمسك فيه الشيء ، اذا جعل سقاء،وورد: ومافيه مسكة أى: لا خير فيه، و (المسك): هو عظم المسكة يصنع منه الشط و (المسكة) : الموضع الذى يمسك الماء ، وقد وردت من هذه المادة اوزان المصدر المجرد والمزيد فيه كذلك ، مثل : الإمساك، والتمسك، والاستمساك وغيرها، أما إشتقاقه الكبير فتجرى فيه الاوزان الآتية: (مسك، كمس، كسم،مكس،سكم) وينظر للمعنى

مبحث الاشتقاق الكبير فى الباب نفسه فوزن اللفظ هو عربى خالص ، ويؤيده حرف (الميم) حيث هومن الحروف المذلقة، وان معانى المادة تشترك فى الالفاظ كافة، وتبقى الأشكال الستة فى الاشتقاق الكبير ذات معنى ودلالة ايضا و(الميم) من الحروف الشفوية يدل على الانسداد والغلق، و(المسک) يقوى ويغذى القلب كمايمنع الحالة الاختلاجية فى النفس، واختلاطه فى الروائح الاخرى يجعلها خالدة كذلک، ولاجل هذا يحتل مكانة عالية بين العطور الفاخرة و (المسک) هو طيب من دم الظبئ وكل الحروف الثلاثة فيه من المنفتحة جاءت دالة على تضوع المسک ، وان (السين) و (الكاف) هما من الحروف المصمتة ، وانهما تدلان على أن صفة افتتاح تدل على نشر المسک وتضوعه ولن تكتمل الرائحة إلا بعد عملية التكرار والصک (هو المسک ماكررته يتضوع).

وهناک ثلاثة ألفاظ أخرى يتوجب القول فيها: إن علماء اللغة قد وقعوا فى التسامح والإنزلاق فى تحديد مصيرها والقول الفصل فيها فاولها: (السراج) بمعنى: المصباح ، ذهبوا فيه انه معرب والثانية هى: (الملح) والاخيرة هى: (الكافور) نوع من البخور والروائح، ولاحاجة لتوضيح وتشريح هذه الكلمات الثلاثة كثيراً، لان الاوزن هذه كلها عربية ، وفى جميعها الحروف المذلقة موجودة ، وإن معنى المادة يتوفر فى الكلمات كلها وأخيراً أن اشتقاقها الكبير موجود فيه على وجه اكمل فما الذى يدفع الى القول بان هذه الكلمات أعجمية ؟ أو انها منقولةمن الاعجمية وتشبهها؟

فمثلاً: إن مادة (ک،ف،ر) التى هى اصل (الكافور) تدل جميع مشتقاتها على معنى الإخفاء والإضمار ومن ثم يدعى الكافر كافراً حيث هو أخفى واضمر الهداية الفطرية، ويقال للفلاح كافراً ايضاً

حيث هو يخفى البذرة تحت الأرض ، وأن الكافور يتسم بالتربية حيث يخفف من أثر المواد السامة والمهلكة.

(الكفر): الأرض البعيدة من الناس، (وان خفاء المراحل البعيدة ظاهر فيه).

(الكفرة): ظلمة الليل واسوداده. (وان خفاء الشيء فيه لا يحتاج الى ايضاح المزيد).

(الكفر): جحد نعم الله وتناساها وذلک ضد الشكر.

(الكفر): وعاء طلع النخل.

(كفر الشيئ): ستره وغطاه.

(الكافور): مادة عطرية تستخرج من شجرة الكافور، وتستعمل فى الطب ويطلق على شجرة أريجية من فصيلة الغاريات ، تشبه زهرتها زهرة الاقحوان ، كما يطلق على زمع الكرم تشبيها بكفر الطلح لأنه ينفرج عما فيه.

فخلاصة القول: ان الكافور يستخدم فى عدة أغراض وتشترک فى معان كثيرة ولكنه ليس من باب القياس العلمى ان مجرد كون الكافور عند العجم حيث يطلق عليه فى اللغة السنسكريتيه (كبور) وفى اللغات الاخرى يعرف بـ(كابور) يقال فيه : إن العرب قد أخذوا الكافور من العجم أيضا ، فانه ليس من الادوات العربية، والعرب قد تعلموا هذا الاسم من عندهم ، فأبدلوا (الباء) بـ(الفاء)، ان هذا هو قياس الجهلة والعامة وليس من باب قياسات اهل العلم والخبرة الذين يجعلون الحقيقة والتقصى نصب اعينهم.

فإذا سألنا اهل الهند عن سبب تسمية (كابور) فلا يسعهم الا القول بأننا تناقلنا تسمية هذا الشيئ كابراً عن كابر ، فحينما يدل لفظ (الكافور) على التقليل والتخفيف من وطأة المواد السامة والمهلكة،

فان اشتقاق كلمات ناطقة من كلمات صماء هى مثل إعداد تلميذ عالم من استاذ جاهل فهل يمكن هذا؟

ولمزيد من الإيضاح لو قلنا : إن الكافور معروف للطيب والرائحة، وقد استعير من الكلمة السنسكريتية التى هى (كبور) ، فأين المعانى الاخرى له لا تؤافق ومعانى الكلمات الاخرى بتاتا، إلا أن معنى الخفاء والإضمار متوفر ومشترك فى جميع الالفاظ عادة.

واليكم الآن كلمة (السراج) اصله : (س،ر،ج) وكل كلمة مشتقة منها يتوفر فيها معنى الظهور، مثلا:

(السرج) : الرحل، وغلب استعماله للخيل ، فظهوره على ظهرالخيل واضح (السرجج): للالصاق والمواصلة.

(السرجوج): الاحمق، (ويظهر هذا عن كل تصر فاته من قول أوفعل) (السرجوجة): فطرة الشخص وسريرته، ولا مفر من ظهور الطبيعة الفطرية.

(سرجت شعرها) أى: ظفرته.

(سرج وجهه) أى: حسن وجهه.

(السراج): إناء يجعل فيه زيت أو نحوه، فيصعد فى فتيلة يتحول الى مواد مشتعلة فى طرفها عندما تمسه النار فيستضاء به.

أما (الملح) فأصله (م،ل، ح) واشتقاقات هذه المادة تدل على الزيادة والكثرة.

(الملح) لجة البحر.

(الأملح): ما فى لونه ملحة، ويقال: (كبش أملح) اذا كان اسود يعلو شعره

بياض

(المَلحُ): الورم الخفيف فى رجل الخيل.

(المِلاح): الريح تجرى بها السفينة.

(الملح): ملح الطبخ الذى يصلح به الطعام .

وقد كثرت المصادر المجردة والمزيدة فيها بهذه المادة المستعملة، مثلا : إملاح، وتلميح، وممالحة، والتملح، واستملاح وغيرها وكل واحد منها يختلف فى صورها المقلوبة مع صلاح المعانى ودلالتها ، ولو راجعتها فى مباحث الاشتقاق الكبير لتجد الالفاظ ومعانيها معا.

ورغم كل هذا فالقول بأن العرب قد أخذوا هذه الالفاظ من الاعاجم ، ثم صاغوا منها أسماء وافعالا متعددة اشتركت فى جميعها معانى المادة الاصلية وأجرئت عليها عملية الاشتقاق الكبير كذلك، وأخيرا بدأ كل لفظ منها يدل على معناه فان هذا زعم لا يمت الى الحقيقة بصلة وانه بمثابة الهذيان والأباطيل التى تعوزها الحجة الدامغة.

والآن فانا اطوى صفحات هذا المبحث هنا ، فقد اسهبت فى ذكر الأصول والقواعد ووضحتها بسرد الامثلة فان لم يفهمها احد فليس ذلك بسبب قصور فى التعبير.

فإن لم يفهم المتلقى الكلام * فلا تبحث عن قوة الأسلوب فى المتكلم

(لا يستوى الأعمى والبصير)

إن الغرض من تأليف هذا الكتاب هو إثبات أن اللغة العربية هى أقدم لغة وأكملها وذهبت فى توضيح هذه الحقيقة الى سرد قواعد وصيغ خالدة ضمن الأصول العربية الرائعة، وأن التنوعات فى الحركات وضم الحروف الزائدة وغيرها من المظاهر تحدث تنوعا فى المعانى أيضا ، ورغم أن كثرة الألفاظ والتى تفوق العد والحصر، فإنها تبقى ذات معنى ودلالةبعد القلب والتغيير كذلك.

وهنا يكمن سر كمال فى لغة، أما ظاهرة الإلتزام بالقواعد وانضباطها من حيث الفتحة والكسرة والضمة فهى وضعت استناداً إلى أصول وقواعد وبنود محكمة وهذه هى محاسن فذة تثبت عراقة هذه اللغة وأصالتها وكمالها.

وإن كل ما تستدل بها على أصالة وكمال لغة من حيث البنية والصياغة، هى موجودة ومتوفرة بشكل ملحوظ، ففى الوقت الذى يشهد لها بالكمال والنضج، فلما ذا نلجأ إلى النقوش الحجرية والأطلال بحثا عن الدليل على عراقتها وأقدميتها؟

وبهذا، فقد تقرر حسم هذا الأمر أن العربية ليست مأخوذة من اللغات الأخرى لأنها لا تخلو من النقص والشطط، فهل تشتق لغة متكاملة وناضجة من لغة مليئة بالنواقض والسلبيات ولو يزعم أحد ويدعى بأن العربية مأخوذة من لغة اخرى فعليه أن يثبت على الأقل تلك المحاسن والميزات فى الماخوذعنها ، والمفروض أن يكون المأخوذ عنها اكثر وأعظم صلاحية وقابلية من حيث المحاسن والميزات والنوادر، ولكن لما تقرر أن إثبات هذه المزاعم ليست إلا بمثابة القول فى وضح النهار: إنه ليل، فان مجرد القول بأن هذا اللفظ جاء متصرفاً من اللغة الأخرى هراء لا أساس له من الصحة.

وإذا لا نستطيع أن نعد صرخات الإنسان الأصم وصخبه كلاما فصيحا وبليغا "هكذا لن تسع آية لغة عجمية من لغا ت العالم أن تضاهى العربية وتنافسها.

(وإنا له لحافظون)

إنه من الواقع أن العرب لم يأتوا للعلم والتعليم ، وما شغلوا بالتصنيف والتاليف قبل انبلاج فجر الإسلام ، ولم تدون علوم الصرف والنحو عندهم لغرض التصحيح للعربى، ورغم هذا كله

فهى لغة عربية خالدة ينطقها العرب فى غاية من الصحة والدقة والكمال.

وعندما جاء الإسلام، وهطلت الرحمات الربانية فى صورة القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة على العرب جميعا ، فخلد الله لغتهم بهما إلى أبد الآباد ، وصانها وجعلها فى حصن حصين، الا أنه بعد تلك الفترة طفق يدب دبيب اللحن والخطأ فى أحشاء اللغة العربية الغراء ، فظهرت آنذاك عمليات وضع القواعد وحلقات الدرس والتدريس، ورغم هذه الإجراءات المشددة بقيت موجات اللحن فى شغل ونشاط بين الأوساط العربية.

وبفضل القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف مازالت اللغة العربية التى نحن الآن بصدد محاسنها وفضائلها قائمة على قدم وساق رغم عكوف أهل اللغة عنها ، وتظل إنشاء الله قائمة مادام خدام العلوم الدينية موجودين على الكرة الأرضية.

وبقيت اللغة العربية فى مأمن من حوادث الأيام وتقلبات السنين جملة وتفضيلا قبل بزوغ شمس الإسلام، فنزل القرآن الكريم فى هذه اللغة، وصدع رسول الرحمة وخاتم النبين محمد صلى الله عليه وسلم بالدعوة والإرشاد الإلهى فيها، فحينما اكتمل نزول القرآن واكتملت الإرشادات والتعليما ت النبوية أيضا، لم تبق الحاجة لأمين ثالث قوى أمام هذين الأمينين (القرآن والسنة) فكأنها أمانة قد تحصنت وأمنت من جميع المكروهات حينما أودعها الله فى ذمتهما ومسؤلياتهما.

وبعد هذا كله فمهما تغيرت لغة العرب ، أو تداخلت المصطلحات والألفاظ العجمية فيها، ومهما حصل فيها من تغيير

وتحوير على نطاق واسع فاللغة العربية المنزلة من السماء تبقى حية خالدة للأبد، ولا حاجة هنا لمزيد القول فى هذاالصدد.

لقد دأب المستشرقون على إثبات إدعاءاتهم فى شأن اللغة العربية، بأنها قد طرأ عليها تغيير وتبديل عبر القرون ونظرا الى هذا فالعربية لم تكتمل بعد، ولكنهم عندما أدركوا عدم جدوى مسعاهم فلم يبق لهم إلا الإعتراف بشأن هذه اللغة : "أن العربية متداولة بين الألسن مذ آلاف السنين دون أن يطرأ عليها تغيير وتحريف".

فقد استطرد البرفيسور "وتنى" فى كتابه (دراسات لغوية) قائلا بوضوح وجلاء "إن اللغة العربية كانت سائدة ومتداولة فى أارض الحجاز بكل فصاحتها وبلاغتها فى الوقت الذى كان سيدنا موسى (عليه السلام) يجوب الأقطار العربية مع قومه بنى إسرائيل بحثا عن أرض الميعاد.

فخلاصة هذه المباحث كلها: أن جميع الدراسات التى قام بها المستشرقون وإن كانت مبعث تنوير للغات الأعجمية ، إلا أنها بالنسبة للغة العربية الغراء تعد مهانة، وبناء على هذا فالأخذ بآراءهم، والركض وراءهم واستراق السمع منهم يعد دليلا صارخا على ضيق نظر الذى يكتب ويتلقى السمع منهم بهذا الإتجاه على السواء.

*إن العنقاء عشها فى الأعالى * فاذهبوا بفخكم إلى طائر آخر*

أغراض المستشرقون الأساسية :

اللغويين الغرب سعوا من البداية وراء تقليد مذهب محاكاة الأصوات الطبيعية، ثم انتقلوا فيها إلى مرحلة الاجتهاد، فذهبوا إلى

القول : إن الإنسان تعلم الكلام عن طريق محاكاة الأصوات الطبيعية، وإن كان هذا الإدعاء ينافى العقل لكنه كان يرمى إلى تحقيق غاية منشودة بطرق خفية ، ولأجل هذاقام المتأخرون بتحريف الموضوع ، فقالوا : إن الانسان جبل على قوة النطق فطريا، ولا حاجة له للتعلم من الحيوان واشياء الكون ، غير أن كل ما تكلمها الإنسان فى بداية نشأته بحكم أهليته للحياة لم تكن ألفاظا ، بل إنها حروف علة، ثم مزج معها حرف صحيح، فتشكلت منها كلمة ذات حرفين، وجرت على الألسن ، وهكذا بدأ يزداد عدد الحروف الصحيحة تدريجيا، إلى أن جرت على اللسان كلمات خماسية كذلك ، ولم يكن بوسع كلمة أن تخلو من حرف علة.

إن مقصد كلام المتأخرين هذاهو تأئيد مذهبهم القائل بأن الإنسان منذ البداية هو أصم وغير ناطق والقصد الثانى هو أن الجهاز الصوتى غير قادر على النطق ، فهو أمر بديهى لا يلزم إنكاره.

يبدو أن المتأخرين قد أنكروا وضع بنية الألفاظ على أسس المحاكاة الصوتية وكذلك لم يروا لغة مصدرلغات أخرى، فكانت النتيجة اللف والدوران الذى تم سرده فى الصفحات السابقة فى مبحث التطور اللغوى.

ولا يختلف الفريقان فى هذا الشأن كثيرا، إلا أن المتقدمين قد جهلوا وغضّوا عن البديهيات والمشاهدات لتحقيق ما يرومون إليه، منجرفين فى تيارات العصبية، فأعربوا من وجهات نظرهم بشكل غير منتظم ودقيق، أما المتأخرون فقد أفلحوا فى إثبات أهدافهم وأغراضهم الملفقة التى تفتقر إلى الأصالة مستغلين القواعد والأسس

الثابتة والمحكمة، وقصدى من المتأخرين هما: (ميكس ميلر) و (سيس).

فعندما أرادت دولة أوربية فرض سيطرتها الغازية على إقليم من إقاليم آسيا، فراحت تلهج بنبرات الشفقة أنها تسعى الى ترويج الثقافات، والحضارة والمدينة، وتهدف إلى تطوير الخدمات التعليمية والمجالات التربوية ، وليس الغرض السيطرة السياسية وتولى الحكم والإستعمار بتاتا، ولكن الحقيقة تتحدث عنها ألسن أهل آسيا الذين عانوا ما عانوا جراء هذه الأحلام الخضراء فالأندلس أمامنا حقيقة ماثلة لن تنسى.

لم تثمر الدراسات اللغوية للعلماء الغربيين منذ أن عكفوا عليها، ولم تأت سوى كثرة الكلام عن محاسن اللغات المندثرة وتمجيدها، ولا ريب فى انه لا ينظر الى النقائض والعيوب الكامنة فيها، بل تكبر وتعظم محاسنها فى عيون الناس وتجذب القلوب إليها فلا عجب اذ عقد العلماء الغرب مجالس العزاء، وأقاموا ندوات المآتم والمراثى على اللغات الدراسة ولا غرو إذا اعتبروا ميزاتها العادية على قمة من الكمال والفضيلة، ولكن مثار العجب والاستغراب هو حسن ظن الشرقيين بهم الذين رأوالسراب بحراً، فتنازلوا واستسسلموا.

إننى لا اعترض على بكاء الميت والحداد عليه، وذكره فى أجمل وأحسن الألفاظ ، ولكن خنق الأحياء والإعتداء عليهم ودوس شرفهم ومحاسنهم منفعلا بالأحداث والغضب ليس وفاء للميت بل إنه حيلة للهجوم على الأحياء والظلم والإعتداء عليهم.

وقد أكل الدهر وشرب على إندثار اللغتين : العبرانية والسريانية، ولكن الحملات التمجيدية والدعائية لهما جعلت الانسان

يعتقد اليوم بأنه ليس من الممكن أن تدرس علوم اللغة العربية وآدابها بشكل أفضل دون الإلمام بالعبرانية والسريانية، والذين لغتهم الدينية هى السنسكريتية والتى تعد منذ أمد طويل فى عداد اللغات الميتة ، قد بدأ علماء أوربيون ينفخون فى روعهم روح الإذعان واليقين بأنها لا توجد لغة أكثر تكاملا وشمولا من السنسكريتية ولا غرو إذا تفرعت اللغات كلها من السنسكريتية هذه؟

إن أصحاب اللغة السنسكريتية فرحون على أن لغتهم حازت على تقدير وتثمين من أوربا والغرب والواقع هم أيضا فى صدد الإبعاد عن جبهاتهم ، فما أن يصلح أمر من أمور الشرق إلا ويدب إليه الفساد بأيدى الغرب، فإن لم يصدقه اليوم أحد، فغدا سيعض عليه أنامل الحسرة.

وعلى أية حال ليس هذا موضوع مبحثى، ولم أكتب هذه الأسطر إلا عن عفو الخاطر فيدور رحى كلامى حول اللغة واللسان، ولا تهمنى سذاجة الشرق وشطارة الغرب وليس غرضى إلا بيان أن (ميكس ميلر) الذى يعد من أكبر علماء اللغة بين المتأخرين، قد سعى إلى جعل اللغات الأعجمية أيضا من فصيلة اللغة العربية ، وكانت دراسته تهدف إلى كشف السبب من تحديد معنى اللفظ، وماهو سر دلالة اللفظ على معناه؟ ولكنه أدرك بعد قليل أنه مهما بذل الإنسان من جهد فى سبيل تعليم الحيوان والأخرس، فإنه ليس مقدور التكلم مثل الانسان ، واخيرا إعترف بعجزه خاسئاً وهو حسير.

ومن العجب العجاب أن مستوى الغرب الثقافى والعلمى فى مجال اللغة العربية وآدابها يعتبر غاليا ورفيعا جدا، بحيث إن لم توجد توقيعات الجامعات الغربية الأمريكية على الشهادات فلا يعتد

بها الجامعات الهندية، فما الذى يدفع هولاء الفضلاء الى البحث من محاسن العربية فى اللغات غير العربية؟ولا يتطرقون إلى الإشارة إلى تلك المحاسن الموجود فى العربية ذاتها؟

فقد يطمح أحد منهم أن يرى اللغة العجمية ذات دلالة الألفاظ على معناها وكشفها، ولكن لا احد يبحث عن الميزات والمحاسن نفسها فى العربية ، ولا يعترف بأنها موجودة هنا ، وفى هذا المقام أود أن أترجم نص ما كتبه (ميكس ميلر) دون نقص أوزيادة:

" وبعد إزالة هذه المعوقات فى شأن من القواعد والأسس المختلفة الموضوعة، القابلة للفهم ، هناك ألفاظ لا تخضع للدساتير والقواعد ، ولا هى مبنية على الأصول النحوية وغير مفهومة كذلك، نطلق عليها فى الحال" المادة" أو"العنصر الجوهرى" مثل كلمة HISTORCALLY إذا حذفنا منها الجزء هى (LY) وعلامة الصفة منها كذلك وهى : (AL) فيبقى : (HISTORIC) والذى تدعوه باللاتينية بـ(HISTORICUU) ويمكننا أن نحذف منه جزأ، الأخير وهو (CUS) ، فقد علمنا أن (HISTORICUS) مأخوذة من (HISTORIA) أو من كلمة: (HISTOR) .

ثم أن (HISTORIA) مصرفه من الإضافة التأنيثية وهى : (IA) أو يصرف منه الإسم المجرد وهو: (HISTOR).

إن : (HISTOR) كلمة يونانية وهى صورة مشوهة لكلمة (ISTAR) وعلى أية حال، فكلا الوجهين مستعملان.

وينسب استعمال (SPIRITUS, ASPER) بدل (SPRITUS LENIS) فى بداية الجملة، متأثرة باللهجات السائدة فقط.

ثم يقسمون (STAR) إلى : (IS) و (TAR) و (TOR) اسم فاعل مفرد، وهو مشتق عن : (TAR) فمثلا يستعمل فى اللاتينية:

(DA-TOR) وفى السنسكريتيه: وفى اليونانية: (DO-TER) و "العنصر الجوهرى" "و" "المادة" هى: (IS) و (S) فى: (IS) بدلا من : (D) قبل : (T) تتحول إلى: (S) فى اليونانية.

وهكذا نتوصل أخيرا إلى مادته وأصله، وهى : (ID) الذى يعرف فى اليونانية بـ" (OIDA) وفى السنسكريتيه بـ (UIDIA) وفى الإنجليزية بـ (TO-WIT) بمعنى المعرفة ، فإن معنى (HISOR) الحقيقي هو العالم أو المدرک ، وجاء : (HISTORIA) بمعنى العلم ، ولا نستطيع أن نجازف بمعنى (UID) ولا نقدر أن نقول : لماذا جاء (UIA) بمعنى النظر والعلم والإدراک.

لو قمنا بعملية المزج لكلمة (UID) بـ (UI) الذى يعنى الفصل أو العزل، يمكننا أن نجد فيه معنى معانى التقسيم والفصل والنظر ، لكنه لا يجدى كثيرا ، وصحيح أن الانسجام الدلالى هذا موجود فى حرف الجر العبرى: (BIN) والمصدر: (BIN) الوسط ولأجل هذا لا نستطيع أن نحل هذا السؤال بالتحليل الإشتقاقى بتاتا[1].

من كل ما سبق هل يمكن لأحد ان يطلعنى على الذى استفادة من المعلومات ، حول حذف أجزاء فى الكلمة؟ وهل اهتدى إلى أصول وقواعد فى الإشتقاق؟ إذن أعتبر نفسى عاجزة عن إدراک الأمور وذلک بسبب قصر فهمى، وبالرغم من ذلک أقول : إن هذه المحاولات كلها لم تبذل إلا لمجرد إثبات وإبراز علة، وهى دلالة الألفاظ على معناها وتحقيقا لهذا الهدف قد تمت جولات مكوكية إلى جميع العواصم اللغوية: العبرية واللاتينية والسنسكريتية واليونانية وغيرها، ولكنه هل وفق فى إكتشاف سر علاقة العلم بالمعرفة

---

[1] Science of language vol 2 lecture 07 page 329-330

والإدراك؟ لا ، وكلا، فقد علمنا بدون ريب أن الكاتب يتمتع بإلمام واسع بلغات عديدة ، فله باع طويل فى تحرير كلمة من أطر لغات مختلفة إلى مكان معلوم، ولكن الغرض الرئيسى الذى أجرى له هذاالتجوال غير واضح، وبعيد المنال .

وان البرفيسور منزعج لأن اللغويين الأوربين فى القرنين السابع عشر والثامن عشر ما بذلوا جهد افى إثبات أن اللغة العبرية غارقة فى الأصالة والعراقة، وفى ضوء هذا كاد أن يتسنى لهم إبراز اللغة العبرية كمصدر أصيل للغات الأخرى[1].

لأجل هذا أنا لا أجرؤ على القول : بأنه هكذا كان الطريق أقرب وأسهل للوصول إلى العربية والنيل منها، ورغم أنهم لم يدخروا وسعا لتحقيق بغيتهم ومراميهم المطلوبة فى إثبات قولهم، وإلا أن محاولاتهم منئت بالإخفاق والفشل الذريعين، وذلك لأن كل لفظ فى العربية يدل عى الإنسجام الدلالى بكل جلاء ووضوح ، وقد مرت أمثلة كثيرة على هذا فى المباحث التى سبق ذكرها.

وسأتطرق فى الباب السابع إلى ذكر ذاك الإنسجام الدلالى بأسلوب دقيق وشيق، فبعد هذا المبحث سيضطر المعاندون والمعارضون إلى تغيير سلوكهم العلمى فى قضية مقارنة العربية بلغات عجمية أخرى.

---

[1] ينظر: المحاضرة الرابعة ، الجزء الأول، من كتاب Science of language لصاحبه ميكس مولر

المبحث السابع

الألفاظ العربية ودلالتها على المعاني الدقيقة مبعث للإستعجاب والحيرة

الألفاظ الدالة على كنه المعاني:

الميزة الغريبة التى إتسمت بها اللغة العربية هي دلالتها المدهشة وصلتها الغريبة بكشف أسرار المعاني ، فالألفاظ العربية لاتنسجم وتتناغم مع معانيها فحسب ، بل أن النظر الفاحص والمتأني يخبر عن سر المدلول وحقيقته عسىٰ أن يتيه ويتخبط الأعاجم قروناً طويلة فيصدد تعبير ذلك المدلول ، ومع ذلك لن يوفق لهم النحاج .

ولغرض الإطلاع على تلك الميزه الرائعة لا بد لنا التمعن في هذه الأمثلة الآتية ليتسنّى لنا الإعتراف بأن اللغة العربية لغة حية ومتمكنة وأن كل كلمة منها دالة على معانيها وحقائقها وماعداها من اللغات فهي بمثابة اللغات الأعجمية حيث لاتوجد فيها إلا مظاهر تنم عن الصوت والصدىٰ فقط .

فالألفاظ الدالة على التعليم والتعلم والدرس والتدريس وهى تجرى حتّى على ألسنة الجماهير عادة وأن مفهومها الشامل ظل واضحاً في كل عصر ومصر فمجالات الصنعة والمهنة والعلوم والفنون والتي تخص بالجوارح أو الأذهان كلها تتعلق بها في شكل من الأشكال وأن مفهوم التعليم والدرس كان شائعاً في جميع العصور ، ولأجل هذا كل لغة من لغات العالم تحتوى على لفظ خاص دال على هذا المفهوم . أمّا الأسلوب الذي إنتهجته اللغة العربية للتعبير عن مدلول هذه الكلمات يبعث على الثناء والدهشة بما تكن من أسرار ونكات ، وبناء على هذا يضطر العقل الإنساني على القول : " بِمَ تمكنت اللغة العربية من وضع كلماتٍ نابعةٍ عن كنه المعاني وعمقها ؟ "

" فالعين " و " اللام " و " الميم " مادة التعليم والتعلم . وأمّا مادة الدرس والتدريس فهي (الدال) و (الراء) و (السين) والعرب تنطق وتكتب المادة في

صورة حرف مفرد دائماً .

وعندما يتم مزج هذه الحروف المفردة فيحصل تركيب " عَلِمَ " أو " عَلَّم " فالعلم يدل على معنى " الرسم والأثر " وهذا يدركه الجميع وأن المادة نفسها موجودة في لفظ " العِلْم " بعد تغيير بسيط في الحركات ولاشك أن لهذه الكلمة مدلولاً علىٰ المعرفة والإدراك لكن الحقائق والأسرار العلمية الكامنة في مدلول تلك الكلمات تنكشف للذي يعمّق وينظر في هذه المادة .

فلسفة كلمة " العلم " :

إن الفلاسفة قد أجمعوا علىٰ أن ذهن الإنسان عبارة عن مثل مرأة صافية ترتسم فيها كل مايتعرض لها وهى لايتصور إلا المحسوسات فحسب أما الذهن فهو يقوم بعملية التصوير للمحسوسات والمدركات كلتيهما على السواء.

وإن الحكماء قد اختلفوا في تعريف العلم ، هل هو إسم لحصول الصورة أو عبارة عن الصورة الحاصلة لكن جميعهم متفقون على أن وجود تصوير ذلك الشئ لامفر منه ، ولكني الآن أريد أن أستفسر هل كان واضع لفظ " العلم " مطّلعاً علىٰ هذه الأسرار الغامضة الكامنة في مضمون تلك الكلمة حيث أنه أشار إلى نكتة فلسفية لطيفة من خلال تركيب ثلاثة حروف ، فلوكان الأمر كذلك فإن استيعاب الوضاعين لهٰذه الكلمة ومدى نبوغهم في مجالات الوضع والإنشاء يستعصى للعقل الإنساني . وإن مدى دلالة العين واللام والميم على الرسم والأثر يتطلب منا النظر إلىٰ صفات الحروف ونعوتها أيضاً وهي فيما يلي :

العين : تحتوى علىٰ صفات الجهر والتوسط والإستفالة والإنفتاح والإصمات .

اللام : تحتوى علىٰ صفات الجهر والتوسط والإستفالة والإنفتاح والإذلاق والإنحراف .

الميم : تحتوى علىٰ صفات الجهر والتوسط والإستفالة والإنفتاح والإذلاق .

إن الحروف الثلاثة كلها تتوحد فيها صفات مماثلة ، ولهذا لن يفيد التركيب

إلا التوضيح وكشف تلك الصفات بصورة أفضل ، إلا أن صفات الإذلاق أو الإصمات والإنحراف تؤثر علىٰ ذلك ، ونظراً إلىٰ صفات التوسط والإنفتاح نستخلص إلىٰ مفهوم الإنفعال ، أمّا صفات الجهر والإنحراف فهي لاتريد إلا تجلية تلك الظاهرة المنفعلة ، ومن هذا المنطق تقرر لدلالة هذه الكلمة مفهوم الرسم والأثر أو الشقاق البتة. وإن العلماء في مجال الفسلسفة والمنطق قد أشبعوا مباحث تخص كلمة " العلم " وهي تستدعى إنتباه المهتمين بهذه القضية فهم قالوا في العلم : " هل هو عبارة عن زوال شئ أو إسم لدخول شئ من الخارج في العقل " . وفي تعبير آخر أن المعلم عندما يقوم بوظيفته فتتنشط آنذلك موهبة فاترة مودعة في نفس الطالب . وأن موهبته الفطرية لن تتقوىٰ وتنمو في حال من الأحوال إلا أن هناك تحصر لديه أشياء لم يكن يعهدها من ذي قبل فإنني لست أسعى وراء هذه النكات الفسلفية فالذين يدرسون كتب قاضى مبارك ومير زاهد ، وغلام يحيىٰ يمكن لهم التحكيم في مثل هذه القضايا الشائكة المتشعبة ، أمّا أنا في هذا المجال لايسعنى إلا القول : إن الحكماء قد أجمعوا على أن العلم ليس إلا نتيجة لذلك المتلقى والطالب وجهوده وسهره وولوعه بالإستقاء من كؤوس المعرفة والإرتواء من ينابيعها . ولولا الأمر كذلك فإن مجرد التنبيهات والتعليمات والملاحظات الصادرة من قبل الأساتذة والمكتوبة بين دفتي الكتاب لن تجديه فتيلاً . وأن هناك مرحلة كمالٍ وفضلٍ ونبوغٍ ، لايحتاج هذا الطالب إلىٰ الأستاذ أو الكتاب فهو نفسه جدير بأن يحل محل كتاب ، فهو معلم ومتعلم ، في وقت واحدٍ

إن علماء المنطق قد اتفقوا علىٰ أن : " العلم والمعلوم متحدان بالذات ومتغائران بالإعتبار " . فهو علم في جانب ومعلوم في جانب آخر ، ولامنافاة بين العلم والمعلوم بل هما في مرتبة الإعتبار ، وعندما لم يوجد التغاير بينهما فأنىٰ هذا بين العلم والمتلقى ، ولكن هذا لايتضح إلاّ للذين يتصفون بالنبوغ والفضل في هذا الباب . أمّا خفاء ه علىٰ من له نصيب ضئيل من المعرفة فواضح . وبالتالي تبدو هذه الفلسفة جليلة وواضحة في الذين يحظون بمناصب عالية في تلك المعارف

وهناك تبدأ مراحل معرفية أخرىٰ تكون بعيدة المنال من تعليم المعلم ونصوص الكتب ، ألا هي مرحلة الإجتهاد والإكتشاف .

ويسعدني في هذا الشأن القول : إن علماء المنطق مجمعون على أن الإنسان صالح للعلم ولأجل هذا فلايوجد بين العلم والجهل تقابل تضادٍ بل فيهما تقابل عدم الملكة ، فالجاهل هو الذي من شأنه أن يتلقىٰ العلم لكنه لم يحظ به فلفظ " الجاهل " لايطلق إلا علىٰ الإنسان دون الحيوان والنباتات ، فلايمكن أن يطلق الجاهل علىٰ حيوان أو شجر أو حجر ، لأن هذه الأشياء لاتصلح للعلم ، وأن موهبة الإنسان وإستعداده الفطري تنمو وتصقّل، فهو يجد ويتعب ويسهر علىٰ كسب العلم والمعرفة ، وآنذاك تقوم القوىٰ المدركة بخزن تلك المحاصيل المعرفية التى حصل عليها الإنسان لقاء جهوده ومتاعبه .

<u>لفظ " دَرَسَ " وفلسفته :</u>

إنطلاقاً من هذه المباحث الفلسفية والمنطقية الدقيقة والمتشعبة ، عندما نلقى النظر علىٰ تركيب هذه الكلمة والمؤلفة من حرف الدّال والرّاء والسّين ، فنجد أن الكلمة المشتقة من هذه المادة هي (درس) بمعنى الرياضة والممارسة . أمّا الدرس فهو بمعنى عفا وانمحىٰ ، تقول العرب : " درست الرسوم ، أي انمحت " ودرس الحنطة أو الأرز: داسها بالنورج ونحوه ، ودرس يدرس من الباب الأوّل العلم والكتاب: أقبل عليه يحفظ. أن النظرة المتأنية والمتعمقة تسوقنا إلىٰ الاعترافات بأن تركيب الحروف هذه يدل علىٰ أنّ وضع الدرس للتعليم والتعلم يحمل في طياته معاني الزوال ، والإنمحاء ، حيث تزول به العوارض المانعة وتقضىٰ به على آثار الجهل وعلاماته ، ويتم تشحيذ المواهب وصقلها ولن تتأتّى هذه الصلاحيات في نفس المتلقى إلا بعد جهوده المضنية وترويض النفس على مبادئ التعليم وكسب المعارف وإن مدى دلالة الحروف على معانيها قد سبق ذكرها في المباحث السالفة مفصلة ولكنه هنا تتوق نفسى إلى أن أذكر أن الدال في كلمة (الدرس) من حروف الشدة ، وبها تبدأ الكلمة، والرّاء من حروف التكرير ، والسّين من المنفتحة

فوجود حرف التكرير بعد حرف الشدة ، وفي الأخير حرف الإنفتاح خير إشارة إلىٰ ماتكنه هذه الكلمة من دلالاتٍ باهرةٍ خاصةٍ بأساليب المعرفة وطرق تلقيها وماتنتج من ثمرات لذيذة بهيجة .

فهل كان من المعقول أن واضع تلك الكلمة كان خبيراً بمسائل فلسفية دقيقة كهذه تخص بها ؟ وهل كان الواضع ملماً بجميعها ؟ وهذا مايبهت المستفسر المتسائل فلا غرو لو قالت العرب : " الناس كلها عجم غير العرب " . فليس هذا إساء ة لهم بل انه واقع يرتاد علىٰ اللسان .

(السبق) وفلسفته :

كلما نقرأه وندرسه يومياً يطلق عليه السبق ويجمع على الأسباق وفي اللغة غلبة ومن الملاحظ أن تسمية كل مايقرأ يومياً يرمى إلىٰ هذا السر الدقيق حيث أن علماء العرب كانوا متضلعين بالأسرار المعرفية والحقائق التعليمية بصورة أفضل . وذلك لأن الطالب لولم يتقدم نحو الأمام ولن تزداد فيه الصلاحات المعرفية يوماً فيوماً ، ولاتنمو القوى المدركة في ذاته فهذا ليس عبارة عن التلقى في الواقع ولايطلق عليه إسم السبق ، بل إنه عبارة مضيعة للوقت والعمر ، وهكذا لاتدل كلمة " السبق " على معناها فحسب بل تنبئ عن كنه معناها وسر فحواها . والآن لاحاجة إلىٰ القول بأن الألفاظ الآتية مثل المعلم والمتعلم والمدرس والمدرسة والكتاب وما إلىٰ ذلك ليست ناطقة بإسم مدلولاتها فحسب بل إنها تصور تصويراً دقيقاً بكنه المفاهيم والدلالات التى تنطوى عليها .

هذا وفي جانبٍ ، من الطريف أن السّين من المنفتحة والباء والقاف من حروف الشدة ، فالغرض الحقيقى من " السبق " يكمن في فتح باب القوىٰ الذهنية في أول الأمر . والسين خير دالة عليها كما أن عملية الأخذ والحفظ تتطلب المثابرة والجهود المضنية وتدل على هذا المفهوم حروف الشدة الموجودة في نفس الكلمة . وإن النسق والترتيب الجميل للكلمة مشعر بصورة أفضل أيضا فاللفظ يكشف عن فلسفة المعنىٰ والحروف تقوم بتمهيد السبل لتلك الدلالات الخفية . فيا

للعجب ! هل هٰذه لغة أو شعوذة تأخذ بالألباب !!!

استيعاب القائمين بوضع الألفاظ العربية بالمفاهيم والدلالات :

من الممكن أن تعتقد أن الإنسان الأول عندما استوطن الكون وانتشر رهطه وقبيلته فهو كان يلاحظ أعمال وحركات للبعض من أبناء جنسه ، ويسمع ماتخرج أصوات من أفواههم ، فكان البعض يتمتع بصلاحية المحاكاة والتقليد بصفة ملحوظة نسبة إلىٰ الآخرين . وهو يتفاوت من البعض في هذه الصلاحية ، من حيث الفهم والإدراك وبناءً على هذا تمّ وضع مفرداتٍ وكلمات في ضوء هذا التفاوت ، فكلمات تمّ وضعها للعقلاء وألفاظ أخرىٰ تمّ وضعها لرجال أقل درجة في الفهم والزكاء عن الآخرين .

إن القائمين بالعلوم الطبية تشير دراستهم إلىٰ أن الفطنة ومظاهر الحمق لها صلة وطيدة بالدماغ الإنساني . وبناء على ذلك قاموا بتقسيم الدماغ إلىٰ عدة أجزاء وأن كل جزء منه يمتاز بوظيفته الخاصة لايوجد في غيره من الأجزاء ، وأن جميع الحركات المتعلقة بالأعضاء البدنية والعواطف الوجدانية خاضعة لتلك الأجزاء الدماغية . وإنه مبحث شائق وطويل لست الآن بصدده في هذا المجال . ولكنه من الملاحظ أن دماغ الفطن وجد أكثر وزناً وثقلاً نسبة إلىٰ دماغ الأحمق ، هذا وفي جانب أن المخّ الإنساني المدوّر يوجد علىٰ سطحه إرتفاع وكعوبة ، فالإنسان الذي يكون على مخه هضبات وإرتفاعات يعتبر كيّساً ولبقاً ، والإنسان الذي تتقلّل في مخه هذه الهضبات والإرتفاعات فتعد نسبة الحمق في ذاته بهذا الإعتبار ، حتى أن الإنسان الذي لايعقل يعد مخه مستوياً ومعدلاً تقريباً . وهذه المحجبات تعرف بالتلافيق هى غاية من الصحة ، حيث أنها تقوم بوظيفة عقد الصلة بين العضلات والدماغ وهومصدر لأعمال وأفعال إضطرارية .

في اللغة العربية توجد كلمة " ذكوانة " وهي مؤلفة من الذال والكاف والواء وهي تدل علىٰ أشجار صغار وهناك كلمة " ذكاوة " تدل على الفهم السريع ، ومنه الذكي أي سريع الفهم . فإن كلمة " الذكي " تحيط بنا علماً أن علىٰ رأس مخه توجد

التلافيق أو الهضبات الصغيرة مثلما توجد فوق الأرض مجموعة أشجار صغار .

والسفيه يجمع علىٰ السفهاء يدل علىٰ الأحمق ، فالسفه لغة : " الخفة والإضطراب " ، فإن الكلمة هذه هل لاتدل علىٰ أن مخ السفيه يكون خفيفاً وهيناً ، ولهذا وجدت فيه تباشير الحمق فغلبت عليه .

الجزء الأسفل من المخ يطلق عليه " النخاع " والناخع هو الرجل العاقل ، وأن الكلمة هذه تدل علىٰ أن هذا الجزء من الدماغ هو مصدر الذكاء ومنبع الفطنة .

ففي ضوء هذه التفاصيل والتي تشير إلىٰ هذه القضايا العويصة بعلوم الطب، فأن وضع كلمات ملائمة لتلك الدلالات هل يعقل أنها كلها كانت جليةً للعيان لوضّاع المفردات العربية في تلك الأزمنة السالفة التى لم يتعد عدد القاطنين فيها إلا بضعة نفوس ؟

فالإنسان الأول عندما جاء في هذه الدنيا قد مسّتْهُ الحاجة إلى الماء قبل كل شئ ، وهل الماء أمر بسيط أو مركب إنه مبحث ممتع وطريف لدى العلماء فيذهب بعضهم إلى أنه بسيط بحيث يستحيل توزيعه إلىٰ أجسام مختلفة .

<u>الجانب الآخر لوضع الألفاظ وسرّه:</u>

ولندرس نبوغ العرب في هذا الإتجاه فنجد أنه كان شبه المستحيل صدور كلماتٍ مهملة من أفواههم فمثلاً لوافترضنا أنهم ذهبوا في محاكاة أصوات الطبيعة فأصبحت أصواتهم تدلّ على كلمات ذات المعانى بالاضافة إلىٰ أنها أصوات محاكاة فمثلاً ذهبت العرب في محاكاة صوت الغراب بـ " غاق غاق " أو يطلقون علىٰ أصواتٍ خارجةٍ من حوافر الخيل " طاق طاق " هكذا يعبّرون عن غليان القدر بـ " غِق غِق " ولصوتٍ خارج وقت شرب الإبل الماء بـ " شِيب شِيب " فهذه أصوات نجد محاكاتها في جميع لغات العالم تقريباً اما الأعاجم فلانجد في أصواتهم إلّا المحاكاة فحسب لكن العرب جعلوا هذه الأصوات ذات معانى ودلالاتٍ ، فالغراب هو طائر أسود وجميع كلمات مشتقة من مادة " غ ى ق " نجد فيها مفهوم السواد مثلا " تغيق بصره " أي زال بصره، وغيق في رأيه اختلط فلم

يثبت على شيئٍ فبمجرداشتقاق " غاق غاق " لمحاكاة صوت الغراب يتبادر إلىٰ الذهن معنى السواد وكيفية انتشاره وهكذا نجد في مادة " ط وق " حيث أشتقت منها كلمة " طاقِ طاقِ " والصيغ المشتقة من هذه المادة كثيرة ويتوفر فيها معنى القوة وعندما تصطدم حوافر الخيل القوية بالأرض الصلبة فتحدث أصوات وأطلق عليها " طاق طاق " وهذه الكلمة دلّت علىٰ قوة الخيل بالإضافة إلىٰ سرعته الخارقة اما مادة " غ ق ق " والألفاظ المشتقة منها فكلها تدل على مفهوم يكون أسفله أوسع والجزء الأعلىٰ منه ضيقاً وأن كلمة " غِق غِق " ليست إلا صورة لهذا الشكل التركيبى وأما مادة " ش ى ب " فيوجد في جميع مشتقاتها معنى البياض يقيناً وإن كلمة (شيب شيب) مشتقة من المادة ليتبادر الذهن إلى بياض الماء مع محاكاة صوت شرب الإبل الماء.

فمفاد القول أن الأصوات الطبيبية والحيوانية عندما تم نطقها من قبل الإنسان ففازت آنذاك علىٰ درجة أنها تحوّلت إلىٰ أصواتٍ ذات دلالات ومفاهيم ولم تبق أصوات مجردة فحسب فما أحسن هذا الأمر أن صوتاً مُهملاً في الأصل تحوّل إلىٰ معنىٰ له دلالة بمجرد إستعمال الإنسان فهذه الميزة لاتتعدّى إلا العربية دون غيرها من اللغات.

إن هذه الميزة الخاصة باللغة العربية قد سبق اللغويون القدماء بذكرها في كتبهم بكل تفصيل وبناءً على ذلك أسهبت في هذا الباب من ذكر أمثلةٍ والفاظٍ عربيةٍ.

ذكر أبوبكر الزبيدى في " طبقات النحوييين " :سئل أبو عمرو بن العلاء عن اشتقاق الخيل، فلم يعرف، فمر أعرابى محرم، فأرادالسائل سؤال الأعرابى، فقال له أبوعمرو: دعنى فانى ألطف بسؤاله وأعرف، فسأله، فقال الأعرابى، استفاد الاسم من فعل السير، فلم يعرف من حضر ما أراد الأعرابى، فسألوا أبا عمرو عن ذلك، فقال ذهب الى الخيلاء التى فى الخيل والعجب، ألا ترى تمشى العرضنة (١) خيلاء وتكبراً (٢)

الحواشى

(١) الفرس تعدو العرضنى، والعرضنة: أى: معترضة مرة من وجه.

(٢) طبقات النحويين لأبى بكر الزبيدى ، ص 29 نقلا عن المزهر، للسيوطى ج ١ ص 353

☆☆☆

الخاتمة

من أهم النتائج التى وصلت إليها من خلال بحثى وترجمة الكتاب أستخلصها

فيما يأتى:

***

إن العلم بلغة العرب واجب على كل متعلق من العلم بالقرآن والسنة، حتى لا غنى بأحد منهم عنه، وذلك أن القرآن نازل بلغة العرب، ورسول الله صلى الله عليه وسلم عربى، فمن أراد معرفة ما فى كتاب الله – جل وعز – وما فى سنة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – من كلمة عربية أو نظم عجيب، لم يجد من العلم باللغة بدا، ولست أقول: إن الذى يلزمه من ذلك الإحاطة بكل ما قالته العرب، لأن ذلك غير مقدور عليه، ولا يكون إلا لنبي كما ذهب إليه ابن فارس فى الصاحبى، بل الواجب علم أصول اللغة والسنن التى بأكثرها نزل القرآن وجاءت السنة.

***

إن موضوع نشأة اللغة قد شغل الناس منذ القديم، ولايزالون يشغلون به، ذلك لأن موضوع اللغة إنما هو – فى الحق – موضوع وجود الانسان، ومنذ زمن بعيد والانسان يحيره عدد من الأسئلة: كيف نشأت اللغة؟ أهى وحى من عند الله وعلمها للانسان، أم هى من صنع الانسان؟ وكيف صنعها؟ ولهذا لم يظفر بحث من

البحوث اللغوية بقدر وافر من التأمل والتفكير مثل الذى ظفرت به نشأة اللغة، ومع هذا فقد كانت النتيجة دائما سلبية، ولم يهتد الباحثون بعد كل ما بذلوه من جهد إلى رأى يجمعون عليه أو يطمئنون إليه.

***

المحاولات التى بذلها جرجى زيدان فى الضمائر والأعداد وأسماء ضروريات الحياة للوصول إلى التدليل على أوجه الشبه بين اللغات السامية والحامية من جهة والهندية الأوربية من جهة أخرى، حاولها العلماء ولاتزال البحوث عنها مستمرة دون الوصول إلى نتيجة.

***

الفكرة التى سادت بين العلماء والتى حاولوا فيها إرجاع لغات العالم إلى أصل واحد، فقد نبذوها فى أوائل القرن الماضى حين بدأ علم اللغة نهضة.

***

إن اللغة العربية أفضل اللغات وأوسعها، فقال تعالى: "وإنه تنزيل رب العالمين، نزل به الروح الأمين على قلبك، لتكون من المنذرين، بلسان عربى مبين" (الشعراء)، فوصفه سبحانه بأبلغ ما يوصف به الكلام وهو البيان، وقال تعالى: "خلق الانسان، علمه البيان" (الرحمن) فقدم ذكر البيان على جميع ما توحد بخلقه وتفرد بإنشائه من شمس وقمر ونجم وشجر، وغير ذلك من الخلائق

المحكمة، والنشايا المتقنة، فلما خص – سبحانه – اللسان العربى بالبيان علم أن سائر اللغات قاصرة عنه وواقعة دونه.

***

الفضائل والميزات الخاصة باللغة العربية والتى ذكرها العلامة سيد سليمان أشرف مستمدة من مصادر العربية ومراجعها ولمزيد من الاطلاع يمكن الرجوع إليها، وهى لا تبنى على الانحياز والغرابة بتاتا.

*****

المحتويات

المقدمة.....1-6

الباب الأول

نبذة من حياة العلامة سيد سليمان أشرف رحمه الله

الفصل الأول.....8-22

مولده وأسرته * فى مهد التربية والتعليم* على كرسى التدريس* خبرته بآداب التعليم ومناهجه ودقائقه* شخصيته الأبية* وصفه سيد سليمان الندوى* وصفه الخواجه حسن النظامى* وصفه البروفيسور رشيد احمد الصديقى* معتقداته الدينية وموقفه من القضايا المعاصرة السياسية*

الوضع السياسى فى عصره* مجالسه فى عليجره* مؤلفاته العلمية* وفاته*الحواشى والهوامش*

الفصل الثانى:.....24-41

كتاب "المبين" دراسة تحليلية* تقسيم الكتاب فى سبعة مباحث* المبحث الأول المبحث الثانى والثالث* المبحث الرابع* المبحث الخامس* المبحث السادس* المبحث السابع*

الباب الثانى

الفصل الأول.....43-58

نظرة على حياة جرجى زيدان الإبداعية* المولد والنشأة* الهجرة إلى القاهرة ورحلاته الأخرى* العودة إلى بيروت، وتاليفه الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية* الاستقرار بالقاهرة* نشاطه الفكرى* مجلة الهلال* الروايات التاريخية* أهم كتبه* آراءه بين عرض ونقد* وفاته* الحواشى والهوامش*

الفصل الثانى.....59-76

الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية دراسة تحليلية* موضوع الكتاب* القضية الأولى* القضية الثانية* القضية الثالثة* القضية الرابعة* القضية الخامسة* النتيجة* الحواشى والهوامش*

الباب الثالث

المبحث الأول.....78-103

الميزات التى تمتاز بها اللغة العربية* قضية اللغة للانسان الأول* مذهب المعتزلة والأشاعرة* مذهب المعتزلة يتفرع إلى ثلثة أقسام* الطبقة الأولى* الطبقة الثانية* الطبقة الثالثة* اللغة العربية فى ميزان الألسن* اللغة العربية واللغات الأعجمية الأخرى* قضية

اللسان والمخارج* نبذة عن مخارج الحروف العربية* نظرة على دعوى اللغة السنسكريتية* حقيقة اجتماع الأضداد* الحروف العربية فى ميزان مخارجها ونعوتها* المحاكاة الصوتية*

المبحث الثانى.....104-117

بيان الحروف ومخارجها ونعوتها* قاعدة سهلة معروفة* فلسفة الإعراب والحركات* مخارج الحروف ونعوتها ومن فوائدها المعنوية*

فصاحة الكلمات العربية* أثر الحروف ونعوتها ومخارجها على فصاحة الكلمات*اللغة العربية واحتوائها باآلات الصوت* وحدةالمعنى والشكل *

المبحث الثالث 118-124

تركيب الحروف وأثره فى تقريب المعنى* الهمزة والباء* الهمزة والزاء* الباء والحاء* الباء والدال المهملة* الباءوالذال المعجمة* الباء والراء المهملة* الباء والزاء المعجمة* الحاء والجيم* الحاء والراء* الحاء والخاء*

المبحث الرابع.....125-157

الحرف الثالث فى ميزان الحقيقة* دلالة الحرف الأول* دلالة الحرف الثانى* دلالة الحرف الثالث* تتفرع الأنواع المختلفة من الفصول المختلفة* الثلاثى ومشتقاته* خلاصة المباحث

السابقة* دلالة الحرف القاف* دلالة القطف على معناه*
دلالة كلمة القطب* دلالة قطع*
دلالة قطم* دلالة قطل* الحرف الثالث ليس حرفا زائدا* نكتة لطيفة*
الاستشهاد بالعلل الأربعة* الحروف الأصلية بمثابة العلة المادية*
جرجى زيدان فى ضوء ادعاءاته الزائفة* الإيراد الأول على ادعاءاته*
الإيراد الثانى* الإيراد الثالث* تدليس مفتعل والرد العلمى عليه*
كلمة (قط) ثلاثية لا ثنائية* جرجى زيدان يتخبط فى متاهاته*
التحقيق السليم* نسبة الألفاظ إلى معانيها* علم التجويد وسبب وضعه* القطن ودلالته*
المبحث الخامس.....158-185
فلسفة تطور اللغة* خلاصة الاستدلات الثلثة* الحاجة إلى الاجتماع*التجمع والحاجة إلى التفاهم* مرحلة المحاكاة* التفاهم الصوتى* الدور النطقى
نظرة على دراسات المستشرقين* الحواس الظاهرة والباطنة*فترة توظيف الحواس* إعتراض* القدر المشترك بين النوعين العالى والسافل*
فساد أساس المحاكاة الصوتية * نظرة متأنية على نظرية المحاكاة الصوتية*

مرتبة الأولوية والصدارة فى الحواس الخمسة* الشيخ أبو على سينا يؤيد أهمية القوة اللامسة* حقيقة السمع* اللسان ناطق باسم الأحاسيس والمشاعر*

القوة السامعة محك التعبير والبيان للمحفوظ والمسموع*

بحث المستعمل والمهمل*

المبحث السادس.....186-231

الاشتقاق الصغير والكبير* الفرق بين الاشتقاق الصغير والكبير*

الاشتقاق الكبير من مادة (ق،م،ر)*رد على شبهة* الأمثلة على الأشكال الستة* أسباب ترك الاستعمال* من عرف على الاشتقاق الكبير؟* التجاهل المعرفى للبروفيسور "وتنى"* لهجات بعض القبائل* إجراء الاشتقاق الكبير فى الألفاظ الرباعية والخماسية* اللغة العربية ليست مأخوذة من الأعجمية* أسس التمييز بين العربية والعجمية * دراسة بضعة ألفاظ لغرض التمثيل والبيان* لا يستوى الأعمى والبصير* وإنا له لحافظون* مقاصد المستشرقين الأساسية*

المبحث السابع.....232-240

الألفاظ ودلالتها على كنه المعانى* فلسفة كلمة (العلم) *

لفظ (دَرَسَ) وفلسفته* (السبق) وفلسفته* استيعاب القائمين بوضع الألفاظ العربية بالمفاهيم والدلالات* الجانب الآخر لوضع الألفاظ وسره*

الخاتمة.....241-243
المحتويات.....244-249
ثبت قائمة المصادروالمراجع.....250-253

ثبت أهم المصادر والمراجع

1- القرآن الكريم

2- الجامع الصحيح لمحمد بن اسماعيل البخارى، ج 1، طبع رضا اكاديمى، مومباى، الهند.
3- الخصائص لأبى الفتح عثمان ابن جنى، تحقيق محمد على النجار، طبع دارالكتاب العربى، بيروت.
4- القانون لأبى على سينا، ترجمه إلى الأردية حكيم سيد غلام حسين، طبع نول كشور، لكناؤ عام 1930م.
5- الصاحبى فى فقه اللغه وسنن العرب فى كلامها، تأليف ابن فارس، طبع بيروت.
6- المعرب من الكلام الأعجمى، تأليف أبى منصور الجو اليقى تحقيق احمد محمد شاكر طبع دارالكتب المصرية، القاهرة.
7- لسان العرب، تاليف ابن منظور، طبع بيروت.
8- الصحاح، تاليف اسماعيل بن حماد الجوهرى، طبع دارالكتب، بيروت.
9- المزهر فى علوم اللغة وأنواعها، تاليف جلال الدين عبد الرحمن السيوطى طبع دارالفكر بيروت.
10الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية، تاليف جرجى زيدان، طبع دارالهلال مصر، عام 1974م
11- جرجى زيدان منشئ الهلال، تاليف انور الجندى، طبع مكتبة الانجلو المصرية القاهرة.
12- جرجى زيدان، تاليف محمد عبد الغنى حسن، طبع الهيئة المصرية العامة، للتاليف والنشر، القاهرة.
13- النثر العربى فى مأة عام، تاليف انور الجندى، القاهرة

14- مذكرة جرجى زيدان المنشورة فى الهلال عام 1955م

15- دائرة المعارف الاسلامية، طبع دارالمعارف، بيروت

16- مرأة العصر فى تاريخ ورسم أكابر العصر، تاليف الياس زاخوره، طبع القاهره، 1997م

17- صفوة العصر فى تاريخ ورسوم مشاهير رجال العصر، تاليف ذكى فهمى، القاهرة 1955م.

18- العباسة اخت الرشيد مع مقدمة كلود فارير (Claude Farrere) تاليف جرجى زيدان، طبع باريس 1912.

19- أوقات الفراغ تاليف محمد حسين هيكل، طبع القاهرة

20- بئس الهذيان من تاريخ جرجى زيدان، تاليف امين المدنى بجائى، طبع القاهرة.

21- البرهان فى انتقاد رواية عذراء قريش، تاليف يوسف طبشى، طبع القاهرة.

22- انتقاد كتاب تاريخ التمدن الاسلامى، تاليف شبلى النعمانى، طبع القاهرة.

23- مقالات شبلى النعمانى، طبع دارالمصنفين، اعظم جره، 1975م.

24- علم اللغة، تاليف الدكتور على عبد الواحد وافى، طبع النهضة المصرية القاهرة.

25- تاريخ الأدب العربى، تاليف عمر فروخ، طبع دارالعلم للملايين، بيروت.

26- المبين، تاليف سيد سليمان أشرف، طبع المجمع الاسلامى، مباركفور، الهند.

27- تذكره علماء أهل سنت، تاليف محمود أحمد القادرى، طبع كانفور، عام 1319ھ

28- مقالات حبيب الرحمان خان الشيروانى، تاليف حبيب الرحمن خان الشيروانى، طبع مكتبة الجامعة المحدودة، عليجره.

29- گنجهائے گران مايه (الكنوز الغالية) تاليف رشيد أحمد الصديقى، طبع مكتبة الجامعة المحدودة، 1976م

30- حياة صدر الأفاضل، تاليف سيد غلام معين الدين النعيمى، طبع لاهور.

31- قومى زبان (لغة الشعب) تاليف محمد مقتدى حسن خاں الشيروانى طبع كرانشى، 1963م

32- مقالات يوم رضا، تاليف الدكتور سيد عابد أحمد على، طبع لاهور.

الرسائل والمجلات

33- مجلة معارف الشهرية الصادرة من أعظم جره، رئيس تحريرها سيد سليمان الندوى، يونيو 1939.

34- مجلة العلم الشهرية الصادرة من كراتشى، ابريل ويونيو عام 1974م

35- شذرات منشورة فى مجلة معارف شباط 1939

36- درويش جنترى 1923، تاليف خواجه حسن النظامى، نقلا عن مجلة "كتابى دنيا" الشهرية، شباط، فبرائر 1976م

37- مجلة معارف، كانون الأول 1950م

38- مجلة معارف، مقالة سيد بدر الدين العلوي، كانون الأول 1950م

المراجع الأفرنجية

(1) The Science of language, Author: Max Mullar.

(2) New lectures on the science of language, Author: Max Mullar, lecture4, vol:1

(3) Language and the study of language, Author: Witney.

الموقع على الانترنيت

ur.wikipedia.org/wiki/جرجی_زیدان

www.tahoorkotob.com/page.php?pid=7273 - 54k

"Allama Sayed Suleman Ashraf and his book "Al-Mubeen Fi Fiqh al-Lugha al-Arabia:" An Analytical Study"

DISSERTATION SUBMITTED TO JAWAHAR LAL NEHRU UNIVERSITY IN PARTIAL FULLFILMENT OF THE REQUIREMENT FOR THE AWARD OF THE DEGREE OF:

MASTER OF PHILOSOPHY

By

Mohammad Merajul Haque

Under the Supervision of

Prof. S. A. Rahman

Centre of Arabic and African Studies
School of Language, Literature & Cultural Studies
Jawahar Lal Nehru University, New Delhi,
India 110067